الفصل الأول

الأسطورة

1.2- مقدمة الأسطورة:

دراسة (عبد الحميد يونس)"الحكاية الشعبية" فقد آثرت أن اجتزئ منه ما له صلة وثيقة بمفهوم الأسطورة لا سيما قوله: (إن الأسطورة تروي تاريخاً مقدساً ، وتسرد حدثاً وقع في عصور ممعنة في القدم،وتحكي بوساطة أعمال كائنات خارقة كيفما برزت على الوجود) [1].

دراسة (محمود سليم الحوت)" في طريق الميثولوجيا عند العرب " وهي من الدراسات الجديرة بالاهتمام؛ وتفصح عن الفرق بين مفهوم الأسطورة عند العرب وغيرهم،ويقول:" لعل امتناعنا عن البحث في الميثولوجيا ناتج عن الظن بأن الميثولوجيا هي وقف على العلاقات بين الآلهة والأبطال كما كان عند الإغريق...وإن كان عند العرب ما يشبه ذلك.ليس هذا كل ما تعطيه الميثولوجيا من معانٍ؛فهي علم يبحث في أساطير التكوين والآلهة والأبطال،وهي كلمة تطلق على هذه الأساطير نفسها.أما كلمة ميثولوجيا بمعناها الاصطلاحي: فهي تطلق على القصة الخرافية نفسها أو مجموعة أساطير تتعلق بالمعتقدات الخرافية أو الدينية لقطر من الأقطار أو شعب من الشعوب أو على تلك الناحية من العلوم التي تعنى بالخرافات [2].

دراسة(محمد عبد المعيد خان)" الأساطير والخرافات عند العرب" وفيها يرى أن دراسة الأسطورة هي دراسة كل ما سطر عند الجاهليين تاريخا أو دينا،لأنه لم يكن قد وجد في العصر الذي نسميه عصر توليد الأساطير ذلك التفريق الصحيح، فالعلم كان محددا وممتزجا بالدين لأن الأسطورة صورة من صور الفكر البدائي حسبما كانت مسطورة أو مطبوعة في ألواح الأذهان.ومفهوم الأسطورة في رأيه"عبارة عن

1- يونس،عبد الحميد، الحكاية الشعبية،مطابع دار الشؤون الثقافية،مشروع النشر المشترك،بغداد،(د:ت)،ص19

2- الحوت، محمود سليم، في طريقة الميثولوجيا عند العرب، مطبعة دار الكتب، بيروت،1955،ص 17.

تفسير علاقة الإنسان بالكائنات،وهذا التفسير هو رأى الإنسان فيما يشاهد حوله في حالة البداوة" تلخصي:إنها الدين والفلسفة جميعا عند القدماء، وهي ليست فكرة مبتدئة أو خاطئة، بل إنها فكرة بدوية صبغت بصيغة الإطناب والمغالاة.[1]

دراسة (عز الدين إسماعيل)في مقالته"النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير"يقول: "إنّ قطعة النسيب كانت تقوم على عنصرين أساسيين هما:الوقوف على الأطلال،وذكر المحبوب،وإن الشاعر لم يجمع بينهما عبثا واعتباطا في موقف واحد أو صورة واحدة،بل يجمع بينهما ليرمز إلى الحياة والموت"وإنّ الشاعر الجاهلي جمع بين شعورين في إطار واحد هو ما نسميه النسيب،أي الحب المهدد دائما برحيل المحبوبة،ويتابع أيضاً :أما من الناحية النفسية فهو انعكاس لذلك الصراع الأبدي في نفس الإنسان،وفي الحياة من حوله بين حب الحياة وغريزة الموت.ثم يتابع قوله:"ليس هناك تناقضاً بين النسيب المألوف الذي يتحدث فيه الشاعر عن الأطلال والأمكنة،وعن رحيل المحبوبة من ناحية وبين مقدمة "عمرو بن كلثوم"الخمرية من ناحية وإنما بدت هذه الصورة خارجة عن المألوف ليست سوى مقابلة تماما للصورة المألوفة. ويخلص في النهاية للقول: إنّ هذا يدعونا إلى أن ننظر إلى مقدمة النسيب في القصائد الجاهلية بصفة خاصة على أنها كانت تعبيراً عن أزمة الإنسان في ذلك العصر وموقفه من الكون وخوفه من المجهول.وخلاصة رأيه يتألف النسيب من عنصرين هما:الوقوف على الأطلال،وذكرالمحبوبة ويقول بعدم وجود التناقض بين النسيب المألوف الذي يتحدث عنه الشاعر عن الأطلال والأمكنة وعن رحيل المحبوبة.ويقول بأن مقدمة النسيب في القصائد الجاهلية هي تعبير عن أزمة الإنسان في ذلك العصر وموقفه من الكون وخوفه من المجهول"[2]

دراسة (يوسف خليف) في مقاله" صورة أخرى من المقدمات الجاهلية

1- خان،محمد عبد المجيد،الأساطير والخرافات عند العرب،دار الحداثة للطباع والنشر، بيروت ،ط3، 1981،ص20.

2- إسماعيل,عز الدين، النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير,مجلة الشعر,ع2,س1،فبراير 1964, ص3-14.

(اتجاهات ومثل)" يرى في المقدمات الطللية صورة صادقة لحب البادية في العصر الجاهلي. ويتراءى لنا في المقدمات الطللية مناظر الرّحلة والظعائن،مع ما تحمله المقدمة الغزلية من وصف الحبيبة،والتغني بجمالها،وتصوير ما تجيش به نفس الشاعر من حب وفتنة،ووجد ولوعة،وهيام وحنين ثم يتابع"ولم تعد المسألة في المقدمات مسألة العشق والمحبوبة،وإنما أصبحت مسألة رجل وامرأة نستشفها جيدا في صورة الأعشى التي وضع داخلها صورة جميلة رسمها لجسد المرأة،في محاولة بارعة لإظهار مفاتنها ومحاسنها،تأكيداً لفكرة (الرجولة والأنوثة). ثم يتابع قوله:فإذا ما رسم الشاعر صورة مثالية،فإنه يركّز على ثلاثة جوانب تبرز امرأته في أجمل أوضاعها:فهي مثالية مع زوجها،ومثالية مع صاحباتها"وخلاصة رأيه"في المقدمات الطللية صورةصادقة لحب البادية في العصر الجاهلي،حيث يُظهر لنا مناظر الرحلة والظعائن،وتصوير ما يظهر من حبّ ووجد ولوعة وغيرها من أنوع الغزل.تأكيداً لفكرة "الرجولة والأنوثة"ثم يعبر بثلاثة أمور لإظهار جمال المرأة، وهي المثالية مع زوجها والمثالية مع نفسها والمثالية مع صاحباتها[1].

دراسة (عبد الله الطيب المجذوب)"المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" تعرض الباحث في الفصل الخامس إلى لوحة الطّلل .تحدث أولا:عن آراء القدامى في اللوحة الطللية من أمثال(الجاحظ وابن قتيبة وابن رشيق)في رصدهم للمنهج الفني التقليدي المورث في القصيدة الجاهلية لم تكن هذه الآراء تشفي صدور الباحثين الجدد في هذا المجال حيث رصدوا اللوحة الطللية من زاوية أسطورية أو دينية قديمة.فاصطلح على تسمية هذه المقدمات (بلوحة النسيب أو التشبيب)والمطالع الأخرى مثل:الشكوى والظعن والخمر وحديث الطيف.حيث يرجع ظاهرة النسيب إلى "قدم الحياة الجاهلية،وما كان عليه أمر العرب من الأوثان" ويرى المرأة في هذا المطلع "رمزاً مؤلهاً؛أنها كانت إله العرب المقدم في باب العبادة الوثنية بادئ ذي بدء،ألهوها م أجل الخصوبة"وخلاصة رأيه:بعد رفض الباحثين الجدد آراء الجاحظ وابن قتيبة،يقول:

---

1 خليف،يوسف، صورة أخرى من المقدمات الجاهلية (اتجاهات ومثل) ،المجلة، القاهرة،س9،ع104،أغسطس-آب،1965، ص4-15

فقد رصدوا اللوحة الطللية من زاوية أسطورية ،أو دينية قديمة،فسميت المقدمات (بلوحة النسيب أو التشبيب)وكذلك المطالع الأخرى"الطلل والخمور والطيف،والشيب.فهو يرجع ظاهرة النسيب إلى قدم الحياة الجاهلية،وما كان عليه العرب من الأوثان.ويعتبر المرأة في هذا المطلع رمزاً مؤلهاً للعبادة الوثنية من أجل الخصوبة [1].

دراسة (نصرت عبد الرحمن) في كتابه"الصورة الفنية في الشعر الجاهلي- في ضوء النقد الحديث-"ترى أن الباحث يتمسك بفكرة إن المرأة هي (الشمس) حيث يقول" إن رحلة المرأة في الشعر الجاهلي هي رحلة الشمس كل يوم،فالشمس معبودة الجاهليين مانحة للخصب ويميل الدكتور نصرت للقول:"إلى الجانب القبلي في أسماء النساء كابنة مالك،وابنة عجلان،وابنة معبد وغيرها يمكن ربطها بالحياة الدينية في الجاهلية،ويظهر أنه استساغ دراسة المرأة وربطها بالحياة الدينية مع أنّ"سلمى"إذا ما ذُكرت في قصائد الصيد،فإنه لا يقصد من ذكرها إلا اللهو والسمر"ويقول بأنّ بعض الأسماء ترمز لما يلي:أما(سعاد) فهي ترمز للربيع،وترمز (أسماء) لحياة الرعي،وترمز(أميمة) للأم الحانية العطوف،أما(خولة) فهي ترمز إلى سيدة الزرع. ثم انتقل للقول"ومن الرموز الإنسانية التي شبّه الطلل بها:الكتابة، والأطلال، وقد استطاع الشعراء الجاهليون أن يقرأوا من الأطلال كأنهم يقرءون من كتاب مفتوح،خلاصة رأيه: يعتبر المرأة(الشمس) وأن الطلل والصورة لها ثلاثة رموز في الشعر العربي وهي:اليأس والأمل والعمل. واعتبر الطلل هو الكتابة والأطلال تقرأ والكتابة تقرأ،كما وأنه وضّح أسماء بعض النساءوتحدث عن الشمس كميقات بطلوعها يأتي النهار وبغروبها يقدم الليل. العنصر الجمالي, وفيه تظهر الشمس مثلا أعلى للبياض. والعنصر المكاني, وفيه تظهر الشمس في مكان سني في الارتفاع لا يمكن الوصول إليه. والعنصر الحيواني, وفيه تظهر الشمس ذات قرن

1- المجذوب،عبد الله اللطيب،المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها،دار الفكر،بيروت،ط2، ج3،ص74.

والكتابة تقرأ،كما وأنه وضّح أسماء بعض النساءوتحدث عن الشمس كميقات بطلوعها يأتي النهار وبغروبها يقدم الليل. العنصر الجمالي, وفيه تظهر الشمس مثلا أعلى للبياض. والعنصر المكاني, وفيه تظهر الشمس في مكان سني في الارتفاع لا يمكن الوصول إليه. والعنصر الحيواني, وفيه تظهر الشمس ذات قرن واحد.والعنصر الإنساني, وتخرج فيه الشمس من خدرها ولها سهام, أو لعاب يراه. الضاحكون أشبه بخطوط مضيئة. والعنصر الإلهي، وتظهر فيه الشمس مانحة للجمال ويقول، إن ما تنتجه الشمس وهي –اللآت الجاهلية– تبدو الإطار العام لرمز المرأة في الشعر الجاهلي, ويبدو أن الرمز الديني العام يحوي رموزا خاصة لكل اسم من أسماء النساء اللاتي وردن في الشعر الجاهلي".وفي دراسته المتخصصة عن الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي, لا يجد من النجوم غير الشمس والعيوق . أما الشمس فعند أبي ذؤيب الهذلي ميقات , ورمز للعلو الذي لا يبلغ, ويبعث الحرارة اللاهية وهي ميقات لأن الدهر ليله ونهاره, وطلوع الشمس وغروبها" فالشمس عالية, ولكنّ علوّها لا يمنع المنية من الارتقاء إليها, "وخلاصة رأيه عن الشمس"اعتبارها ميقات لطلوع الفجر ومغيبه. وأما عن الخيل فيقول: نحن نتحدث عن صورتين هما صورة العقاب وصورة القطاة وتشبيه الشعراء أفراسهم بالعقبان يجعلونها تفتك بفرائسها،وهي صورة أثيرة لدى الشاعر الجاهلي، والقطا في الصورة تجد في طيرانها نحو الماء فيلاقيها عقاب فينقض عليها ثم تفلت منه، وتختفي بين الأعشاب وتعود القطا إلى أفراخها تمجّ في أشداقهاالماء" ويتابع" بأن الفرس في الإطار الرمزي رمز الشمس وموجود مثلها في السماء في المجموعة الشمسية التي تسمى الجوزاء،وخلاصة رأيه في الخيل"صورة الفرس رمز الشمس.وصورة الإبل بالعقاب القوي.وصورة الإبل بالقطاة القوية الذكية.وعن النعام،يقول:إن بيض النعام يكفل استمرار الحياة والذرية وهو دليل على الأمومة ويقول في الثور أن العراك موجود دائما بين الكلاب والثور، ويرى وراء ذلك جوانب ميثولوجية عميقة،فالثور الوحشي الذي كرره الشعراء له نظير في

السماء،وبجانب الثور مجموعة من النجوم تسمى الجبار والكلاب المهاجمة لها مثيل من مجموعات النجوم[1].

دراسة (نبيلة إبراهيم)"الأسطورة" تقدم عرضاً لوجهات النظر الغربية بشأن الأسطورة. أفعال الإلهة،والأسطورة حكاية مقدسة تقليدية،تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفوية).[2]

دراسة(فراس السواح)" مغامرة العقل الأولى ،دراسة في الأسطورة لسوريا وبلاد الرافدين" كرّر ما نادى به الغربيون، ورأى أن: الأسطورة حكاية مقدسة، يلعب أدوارها الآلهة أو أنصاف الآلهة،أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة،بل وقائع حصلت في الأزمنة المقدسة إنها مجمل أفعال الآلهة،والأسطورة حكاية مقدسة تقليدية،بمعنى أنها تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفوية"[3].

دراسة الأولى (مصطفى ناصف)في كتابه"قراءة ثانية لشعرنا القديم" يقول: إنّ فن الأطلال كغيره من فنون الشعر العربي في العصر الجاهلي ينبع من إلزام اجتماعي؛فالشاعر هو فنان يوشك أن يكون ملتزما،وهذا الالتزام يأتي من ارتباط بحاجات المجتمع العليا، ولهذا لا يغيب عن الذهن أن الأطلال والشعر الجاهلي كله ، يثير التأمل في معنى الانتماء وسلطان اللاشعور الجمعي؛فالشاعر الجاهلي لا يتصور الفن عملا فرديا بل يتصوره بطريقته الغامضة على أنه أهم درس وأعمقه.وذكر من الأطلال (الوشم المجدد،الكتابة الباقية على الحجر،الظباء التي انتشرت في الطلل،والسيول والريح) يقول:هذه الصور متقاربة الدلالة يكّمل بعضها بعضا وتنتمي إلى نظام واحد. وهذا الطلل ينبغي أن ينظر إليه على أنه بحث عن

1-عبد الرحمن،نصرت،الصورة الفنية في الشعر الجاهلي،(في ضو النقد الحديث)،مكتبة الأقصى،عمان،1976،ص35.

2- إبراهيم، نبيلة، الأسطورة ،الموسوعة الصغيرة،ع54،منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،1976،ص16وما بعدها .

3- السواح ، فراس، مغامرة العقل الأولى،دراسة في الأسطورة لسوريا وبلاد الرافدين، مطبعة دار الشرق،دمشق (د.م).

عناصر الحياة أو مشكلة النمو، وهذه المشكلة تعني مشكلة الصلة بين الماضي والحاضر .وتعتبر مسألة الظعائن مظهر النمو المثير الذي أصاب الطلل، ويمكن القول إن علاقة الانتماء من أخفى العلاقات وأكثرها تعقيدا والذي يبدو أن الظعائن بالنسبة للطلل مثل الذرية بالنسبة للأم وكذلك تشبيه الظعائن بالسفن كما في قصيدة طرفة" وينظر مصطفى ناصف في أساطير العرب،في العصر الجاهلي، فيقول لم تكن الناقة مجرد حيوان عادي وإنما كانت حيوانا مقدسا،وكانت صورة الناقة العظيمة تتعرضّ للحرب"ويتابع قوله:"والناقة عندهم أشبه بطقوس التطهير المقدس التي ترفعها إلى رتبة الوليّ المقرّب"ويقول:" كان الشعار الروحي في العصر الجاهلي أنّ الحرب هي مفتاح باب الطهارة،وما هي إلا نفثات السحر أو الشيطان التي ترتبط بفكرة الناقة،وخلاصة رأيه:إنّ الحرب ضروريةٌ لحياة الناقة فهي أشبه بطقوس التطهير المقدس التي ترفعها إلى رتبة الولّي المقربّ.وإنّ الناقة لم تكن مجرد حيوان عاد وإنما هي حيوان مقدس لديهم يمنع قتله وذبحه.وإنّ الحرب هي مفتاح باب الطهارة.وعقر الناقة هو استنزال اللعنة ودعاء الموت،وتحديّ الآلهة،والثورة على ما فوق الطبيعة. ويتحدث مصطفى ناصف عن الخيل والإعجاب بقصة البطل عند امرىء القيس ويرى اعتماد فرس امرىء القيس اعتمادا غريبا على فكرة السيل، حيث يبدو من هذه اللفظة أهم من الصخرة نفسها المعاناة في سبيل المطر وهو لا يشك في كون الفرس صورة أسطورية، ويتابع قوله بأن الفرس أهم حيوان بعد الناقة في الشعر الجاهلي، وهي رمز لأشياءَ كثيرةٍ منها الصبر ودواعيه،وخلاصة رأيه: الإعجاب بصورة الفرس وقوتها عند امرىء القيس،وإن صورة الفرس صورة أسطورية،ويعتبر الفرس أهم حيوان بعد الناقة في الشعر الجاهلي.وعن الحمار الوحشي يقول: إن الناقة (تشبه) الحمار الوحشي،والحمار الوحشي والثور الوحشي(يشبها) الناقة" "ويتابع قوله: نخلص إلى نتيجة أنّ صورة الثور وكذلك الناقة لم تكن مجرد حيوان ،بل كانت حيوانا أسطوريا مقدسا احتضن الشعراء أشياءها بخيالهم وحواسهم" "فالإنسان يقاسي من الإنسان على

نحو ما يقاسي حمار الوحش من سائر الحمر, وهو كذلك يقاسي من تدخل قوة أخرى غريبة, ويقول كذلك: إنّ الحمار مشغول بحياته والإبقاء عليها, وإن منظره وفقا لذلك هو منظر الشبع بعد الجوع وخلاصة رأيه التشابه بين الناقة والثور الوحشي في القيمة.والثور الوحشي حيوان أسطوري.وعن المطر يتحدث أولا: عن صفة التشابه بين صورة المطر وصورة الحرب لأن لكل منهما رقة وعنف ويقول أيضا: إنّ المطر حينما مرّ على الجبال أفزع الحيوان فنزل جميعا من منازله. ويتابع قوله إن المطر لم يترك جذع نخلة, ولم يترك بيتا إلا مبنيا من الصخر, وغرقت في المطر السباع, ويدرك السباع الغارقة كالثبات الصغير من البطل، ثم يعقد فصلا خاصا عن المطر فيقول: إن المطر سماء الأرض الظامئة ويقول: إن المطر مربوط بفكرة البكاء لكونهما يكثران إنزال الماء باستمرار مثل البكاء. ويقول: "أيضا إنّ رمز المطر عبث براحة الأشياء واستقرارها وأمنها وسلامتها وعنده كذلك إن صورة المطر أولها: مناجاة الصاحب وله جذور ميثولوجية ترتبط بوظيفة الشاعر الساحر, صانع المطر في عصر قبل العصر الجاهلي"وثانيها: الوصف القصير للبرق والرعد, وثالثها:ذكر البقاع التي هطل عليها المطر, ورابعها: الآثار التي خلفها المطر, وخامسها:العنصر الوجداني, ويقول:وإن أكثر مواضع المطر يأتي في بداية القصائد الجاهلية بعد الطلل وهو صورة موجزة يركز فيها الشاعر على الرعد أكثر مما يركز على غيره من عناصر الرعد. وإن أكثر صور المطر مرتبطة بموضع المرأة فإن كثيرا من المطر في الشعر الجاهلي لصيق بالمرأة لصوقا بيّنا؛ فالشاعر يستقي لديارها. وكذلك تشبيه ريق الحبيب بخمرة عاتق قد شعشعت بماء المزن من التشبيهات التي تتكرر في الشعر الجاهلي، ويقول أيضاً: إنّها ذكرت مع الأوابد كثور الوحش, وحمار الوحش, والنعام, والوعول, والضباع, وغيرها ويقول: يأتي المطر في موضع اعتقاد عند بعض الجاهليين هو إن للمرء روحا على هيئة الصدى أو الهامة,أو البوم، وهي تتردد في الشعر الجاهلي فتظل بجانب القبر دهراً ويتابع كذلك: بأن سيدة المطر في شعر أبي ذؤيب إذ يرتبط المطر عنده بامرأتين هما:أم عمرو, وأم شعبان وخلاصة رأيه" التشابه بين صورة المرأة وصورة الحرب

لاشتراكهما في العنف. ووجه المطر العنيف في قلع الأشجار وخراب البيوت.ثم جعل فصلا خاصا للمطر سماه الأرض الظامئة.ويقول:كأن الثور في جريتنه كأنه جذوة من النار،حيث أخذ الثور في تصور امرئ القيس شكل النار حيث تحدث المطاردة هما يطالبان بالموت لواحد منهما وهذا نراه في الشعر الجاهلي[1].

دراسة الثانية(مصطفى ناصف،)كتابه "دراسة الأدب العربي"يقول"عن الطلل في دراسته للشعر العربي بأنّ الشاعر لا يتحدث عن عاطفة شخصية، وإنّما يفكر- بطريقته الخاصة- في مشكلات أساسية،كأن يحاور نفسه في معنى الحياة،ويلتمس لها العون حين يخاطب الطلل.لقد جعل الشاعر الجاهلي نقطة البدء في تفكيره:البكاء على الحياة"ويتابع حديثه "حيث يقدم صورة أخرى للمرأة في ظل مغامرات اللهو والمتع عند امرئ القيس ويرى في هذه المغامرات ضربا من الهرب لا ضربا من اللهو فقط،وخلاصة رأيه: يعتبر الطلل في الشعر العربي لا يتحدث عن العرضية بين هذا الشاعر أو ذاك،ويقسم يوسف اليوسف الطّللية إلى ثلاثة عوامل هي: القمع الجنسي وقحل الطبيعة والانهدام الحضاري، ويقول لا يمكن تفسير النظرية الطللية كحالة فردية عن المجتمع كله،ولهذا يعتبر الموقف الطللي أشبه بطقس ديني يكرره الشعراء.ويعتبرأن بيض النعام يكفل استمرارية الحياة وأن البيض دليل على الحياة الجنسية الخصبة والذرية [2].

دراسة الأولى (عادل البياتي)في مقالته"مقدمة القصيدة الجاهلية"وهومن الباحثين الذين فسروا الطلل في الشعر الجاهلي، ورحلة المرأة فيه تفسيرا رمزيّا، فعدّه بعضهم رمزا بمقدسات الشاعر،وبامتداده في ماضيه الذي تتقمصه الأرواح وخلاصة رأيه: أنه فسّر الطلل ورحلة المرأة في الشعر الجاهلي تفسيرا رمزيا[3]

دراسة الثانية (عادل البياتي)في مقالته"رمز المرأة في أدب أيام العرب"حيث

1-ناصف،مصطفى، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس،بيروت،1977. ص292-297.

2-ناصف،مصطفى، دراسة الأدب العربي،دار الأندلس،بيروت،ط1983، 3،ص258،وص236-237.

3- البياتي،عادل، مقدمة القصيدة الجاهلية، مجلة أفاق عربية،بغداد،آب،1977،ص42.

يقول:إنّ الأطلال جاءت موروثة من مرحلة اقتران الشعر بالتراتيل الدينية التي

كانت وسيلتها التعلق بالحجارة المقدسة وبقايا الهيكل الديني، وخلاصة رأيه: إنّ الأطلال تعتبر موروثة بواسطة اقتران الشاعر بالتراتيل الدينية والتعلق بالحجارة المقدسة وبقايا الهيكل الديني. [1].

دراسة (نوري حمودي القيسي وزميلاه)في كتاب" تاريخ الأدب العربي-قبل الإسلام-"يقول:إنّ المرأة في المقدمة الطللية هي امتداد لإحدى الغواني العاملات في المعابد والهياكل وبيوت الآلهة.عندما كتان الشاعر كاهناً يعمل في المرحلة الأولى،ويحاول التقرب إلى الآلهة والتماس الرضا منها عن طريق الغزل بتلك الغواني،وخلاصة رأيه:أنّ المرأة في المقدمة الطللية هي امتداد لإحدى الغواني العاملات في المعابد والهياكل وبيوت الآلهة[2].

الدراسة الأولى (أحمد كمال زكي)في كتابه"الأساطير: دراسة حضارية مقارنة-"يقترن الطلل بالحزن،لأنه فراق،لا يسعد الشاعر وهو يفارق صاحبته، ويقول: بأنه لا بدّ أن يكون وراء الأبّهة شيء آخر يتصل باعتقاد الشاعر،فإذا دققنا النظر،نعرف أنّ هذه المرأة المذكورة في الطلل هي: (الشمس) نفسها،والشمس تمنح الخصب بحضورها،فلا بدّ أن ييأس الشاعر من عودتها بعد نزوحها, وتبدو المرأة- التي تشبه الشمس-فاتنة،ضاحكة،وخلاصة رأيه: اقتران الطلل بالحزن باعتباره فراق وجفاء وبُعد،كما يعتبر المرأة في الطلل هي الشمس لأنها تمنح الخصب والنماء لكونها فاتنة ضاحكة كالشمس.وأنّ الطلل يرمز للعالم المفقود-يقول:في أسطورة الناقة إلى نوع من المعرفة هيّأ في الواقع لظهور ناقة صالح ونهيه عن قتلها" ويتابع قوله:" وهذا النوع من المعرفة هو ما تحدث عنه الشعراء في ذكرهم الثور،والنملة،والناقة وغيرها بأن هذه الحيوانات مقدسة لديهم ويحظر قتلها"[3]

1- البياتي،عادل، رمز المرأة في أدب أيام العرب،مجلة آفاق عربية،بغداد،آب،1977،ص21.

2- القيسي ،نوري حمودي، وغيره،تاريخ الأدب العربي-قبل الإسلام-، دار الحرية للطباعة، بغداد،1979،ص57

3-زكي،أحمد كمال، الأساطير-دراسة حضارية مقارنة، دار العودة،بيروت،ط2، 1979،ص84

الدراسة الثانية(لأحمد كمال زكي)كتابه"دراسات في النقد الأدبي" يعقد فصلا عن "التشكيل الخرافي للشعر القديم" إذ يحدد أولا ما يعنيه بالمضمون، مقدرا كل ما قدمته التشكيلات الشعرية من قيم جمالية.ولهذا فقد أثر تقصي المحتوى من منطلق لخرافة التي تعتبر أساسا للدين،وقد تكون أساسا كذلك للأسطورة،ويختار شعر الأيام ميدانا لبحثه لأنها تفي بالغرض،والسبب الأول لاختياره شعر الأيام أنها تتضمن خلاصة الثقافة العربية الأولى ممتزجة بالأساطير والقصص الخرافية،والسبب الثاني إنّ ملاحم الأيام زاخرة بإشارات ورموز حول آثار الشخوص الأسطورية المنقرضة والبلدان الطامسة مثل:عماليق يوم اليمامة،ومعمري حرب البسوس ويوم المشقر.ويقول عن نجم سهيل ونجم الدبران،إذ كان الجاهليون يحسبون أنه إذا وقعت عين البعير على س"سهيل"مات من ساعته،وتصوروا أن "الدبران"يجمع قلاصه كل ليلة ويسوقها صداقاً إلى "الزهرة"ويدعو كذلك ؟إلى تعمق التشكيل الشعري الذي صدر عند طفيل الغنوي[1].

الدراسة الثالثة: (لأحمد كمال زكي) "التفسير الأسطوري للشعر القديم،" يعترف الباحث بأن بحثه محاولة مقترحة لقراءة الشعر الجاهلي في ضوء المنهج الأسطوري،الشعر الجاهلي تفسيرا أسطوريا، والكشف عن أصوله الميثولوجية، وفهم مغزى التركيبة الغريبة التي عرفت بالأغراض الشعرية التي كتب بها الشعراء، ثم حللّ ما يكشف عن نمطية شكلية غلابة على قصائد الشعراء،وأشار أخيرا إلى وجود ميثولوجيا دينية عند الجاهليين.وقد اتخذت عبادات الجاهليين في هذا الطور شكلا بعينه هو شكل ديانات الشعوب المجاورة،وهو عبادة الكواكب مثل:القمر والشمس والزهرة والنخلة وغيرها [2].

الدراسة الرابعة(لأحمد كمال زكي)" تراثنا الشعري والتاريخ الناقص" يقرر وجود نقص في دراساتنا التاريخية المتصلة بالشعر وهذا أدى إلى قصورفي القوانين

1- زكي،أحمد كمال، التشكيل الخرافي في شعرنا القديم،من كتاب دراسات في النقد الأدبي،دار الأندلس، بيروت،ط2، 1980، ص151-164.

2- زكي،أحمد كمال، التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، مجلة فصول،ع3، 1981،ص 127-140.

القوانين التي ارتضينا أن نحكمه بها، ويحدد المعوقات التي حالت دون وصول الشعر الجاهلي كاملا في ثلاثة محاور وهي: إعراض أغلب الذين أرخوا لأدبنا عن تناول جزء من هذا الشعر تناولا غير تقليدي، وكانت النتيجة عصفا عاتيا بقصائد كاملة ومقطوعات ومطولات جاهلية تتدرج في سلك الشعر الأسطوري،وأما المحور الثاني: فتلك الأحكام الجزافية التي أطلقت على ذلك الشعر، مما ترك أثره في تصورنا المبتور لتاريخ الأدب العربي.وأما المحور الثالث:فمتعلق بالمنهج وهو إبقاء الشعر،كما بينا،على السطح واختفاء ما عداه ثم يقرر جملة من الحقائق هي:

1-إن مدار فكرة أي موضوع من تلك الموضوعات الوثنية كان من أهم أسباب تحول بعضها

إلى الخرافات والحكايات التي تضمنتها السير الشعبية.

2-وعلى ذلك يمكن أن تكون أيام العرب البداية الطبيعية والصحيحة لتاريخ أدبنا.

3-إن الشعر الجاهلي لم يكن شعرا غنائيا كما زعم الكثيرون.

4-إن العقيلة العربية التي أبدعت الشعر هي نفسها التي أبدعت أساطير الأولين.[1]

أما إبراهيم عبد الرحمن، فله عدة دراسات، "الشعر الجاهلي:قضاياه الفنية والموضوعية" "والتفسير الأسطوري للشعر الجاهلي" "ومن أصول الشعر العربي القديم"

الدراسة الأولى(لإبراهيم عبد الرحمن) "الشعر الجاهلي:قضاياه الفنية والموضوعية " يتناول قضايا كثيرة متصلة بالشعر الجاهلي،منها "الصورة"حيث يرى أن الاقتصاد في اللغة،ألفاظا وأساليب،قد حمل الشعراء على إيثار الأسلوب التصوري في التعبير عن معانيهم بحيث صارت الصورة الشعرية أصلا من أصول الشعر الجاهلي.وكان هدف الشاعر من بناء هذه الصورة التعبير من خلالها عن قضاياه وأحاسيسه لذا فقد غلب التعبير الرمزي على التعبير المباشر وعلا الشعر الجاهلي القديم على الواقع الحقيقي ليصبح خلال هذه الصورة بناء لغويا مجازيا

1- زكي،أحمد كمال، تراثنا الشعري والتاريخ الناقص، مجلة فصول،مج4،ع2، 1984،ص11.

بالرموز والمعاني، ويضرب مثالا بمعلقة امرئ القيس.ولتحقيق الغايــة مــن الفهــم والتفسير يرى أن ندخل إلى دراسة الشعر من خلال الملاحظات التالية:

1-غلبة الأسلوب التصوري على موضوعات بعينها تتردد في قصائد على اختلاف أغراضها.

2- في جميع صور الشعر على كثرتها تتردد أو تتكرر عناصر لغوية وموضــوعية وروحية واحدة.

3- إن أطراف هذه الصورة وعناصرها المتقابلة تتداخل في الموضوعات المختلفــة فيما بينها.

4-هذه الموضوعات المختلفة التي استأثرت بالأسلوب التصويري هي التي تــشكل عناصر الهيكل العام الذي حققته القصيدة الجاهلية.

أما الزهرة فلقد غلبت الأنوثة على صفة الذكورة،وقد اتخذها عبادها رمزاً مزدوجــاً على الحب والحرب فتكون ربة العشق حين تكون أنثى في المساء ترعــى الحــب والشهوة وتسعى وراء اللــذة والإغواء،لهــذا ارتبطــت عبادتهــا بهــذا الجانــب العاطفي،ويقول:في الثور الوحشي أن تشبيه قرنيّ الثور بصورة القمر عندما يكــون هلالا،سبباً لذلك،حيث كان السبئيون يرمزون للقمر في كتابــاتهم بــرأس ثــور،وأن الثيران كانت من أكثر الحيوانات التي يقدمون لها الضحايا،ويرمزون لها في بعض الأحيان بصورة النسر،وصورة الحية.[1]

الدراسة الثانية(إبراهيم عبد الرحمن) "**التفسير الأسطوري للشعر الجــاهلي**" يعتــرف الباحث بأن بحثه محاولة مقترحة لقــراءة الــشعر الجــاهلي فــي ضــوء المــنهج الأسطوري، وينطلق في تفسير الشعر الجاهلي تفسيرا أسطوريا،والكشف عن أصوله الميثولوجية، وفهم مغزى التركيبة الغربية التي عرفت بالأغراض الشعرية التي كتب بها الشعراء،ثم حللّ ما يكشف عن نمطية شكلية غلابة على قصائد الشعراء، وأشار

1- عبد الرحمن،إبراهيم،الشعر الجاهلي:قضاياه الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية، بيروت،ط2، 1980. ص195.

أخيرا إلى وجود ميثولوجيا دينية عند الجاهليين.وقد اتخذت عبادات الجاهليين في هذا الطور شكلا بعينه هو شكل ديانات الشعوب المجاورة،وهو عبادة الكواكب مثل:القمر والشمس والزهرة والنخلة وغيرها [1].

الدراسة الثالثة"(لإبراهيم عبد الرحمن) "من أصول الشعر العربي القديم" يرى أن حرص النقاد المحدثين على تقويم التطور الذي حققه هذا الشعر بارتباطه بالشعر الإنجليزي الحديث من جهة،واتجاهات النقد الأدبي الحديث في أوروبا من جهة أخرى،ويلاحظ أن التأصيل الفني في هذه المحاولة له فائدة وخطورة في آن واحد؛لكونها ضخمت الدور الغربي في تطوير الشعر العربي الحديث.وظهرت آراؤهم من مقولة تتلخص في أن الشعر العربي القديم بقي أربعة عشر قرنا أسير صبغة تقليدية ثابتة تحقق شكلها وبناؤها ومقوماتها الفنية والموضوعية في العصر الجاهلي،فقد غلب عليها(عنصر الوحدة)الأمر الذي جعل القصيدة في صيغتها المعهودة أداة فنية عاجزة عن مواكبة التطور الذي أخذ يجد في الحياة العربية عبر عصورها المختلفة،والتعبير عنه، ونجم عن ذلك ظهور ظاهرتين هما: انصراف الدارسين المحدثين عن ملاحظة ظواهر التطور المختلفة التي أخذ الشعر القديم يحققها في مسيرته التاريخية والفنية الطويلة. والثانية:التفاتهم إلى الآداب الغربية وحدها لتفسير ما أخذ بجد على الشعر الحديث.وينتهي الباحث إلى القول: رغم أن الشعراء الجاهليين درجوا على بناء قصائدهم في أغراض وصور وأوزان واحدة،فقد نجحوا في بناء قصائدهم في قضايا ورموز متعددة، يظهر مدى الإبداع لديهم[2]

دراسة (عبده بدوي)في مقالته"وجهة نظر حول قضيتي :الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة"يرى أنّ تشبيه امرئ القيس لحبيبته بالمهاة والظبي، وتشبيه الشعر بعنق النخلة،والخصر بالزمام.....وقد جعل التشبيب يكثر في "وصف المرأة"، ولكنه

1- عبد الرحمن،إبراهيم،التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي،مجلة فصول،مج3،ع1981،3،ص127-135.

2-عبد الرحمن،إبراهيم،من أصول الشعر القديم،مجلة فصول،مج4،ع1984،2،ص11-20.

يتطلع من التشبيه إلى قضية ذات علاقة بالمعتقدات،ومثّل على ذلك باعتبار النخلة وهي ممّا يشبه به كانت تعبد في نجران،ومثل هذا يمكن أن يُقال عن التشبيه بالغزال، والشمس،والقمر،وعن "المرأة الأنموذج"يصل الدكتور بدوي"إلى أنّ البعض من الشعراء كان همه إظهار البراعة،والتنفيس عن المشاعر، والرغبة في الترف المفقود[2].

دراسة(مصطفى الجوزو)" من الأساطير العربية والخرافات" نراه يسرد ما ذكره الآخرون لا سيما الغربيون، ويعدّد الآراء المتباينة في تعريف الأسطورة، ولكنه يتوصل بعد ذلك إلى استنتاجه الآتي:"الأسطورة أولا: حكاية، وثانيا:تتحدث عن عالم وهمي يرمز إلى أشياء وأحداث حقيقية لكنها محرفة أو مضخمة.ويتابع حديثه قائلا:إنه لا يجوز ربط الأسطورة بعقلية ثابتة معينة بمنطقة ما،بل يستحسن نسبتها إلى التراث العالمي الذي تطبعه كل منطقة بطابعها الخاص،دون أن تمحو جوهره وتنسى مصدره".[3]

دراسة(قيس النوري)" الأساطير وعلم الأجناس"يرى إنّ الأسطورة تعني حكاية أو مجموعة من الحكايات المنسوجة عن الآلهة أو القوى الغيبية المتداولة بين الناس لتفسير تجاربها وعالمها فرديّا أو جماعيّا، وقد تفسر الأساطير خلق الكون،والإنسان، ونشأة الموت والقرابين، وبطولات الأبطال... وقد ينظر إلى مجمل ميدان دراسة الأساطير باعتباره حقلا مضادّا لدراسة التاريخ أو الفلسفة أو الفكر الموضوعي بصورة عامة، وإن لم يكن كذلك. ويرى بعض الدارسين أن الأسطورة تعبير رمزي يجري بلغة حسيّة "مرئية بشكل خاص" لظواهر الطبيعة:المظاهر الشمسية،والجوية،وهي إلى جانب ذلك تغطي القوى والظواهر المتصلة بالأرض،

1- بدوي، عبده، وجهة نظر حول قضيتّي:الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة، فصول،القاهرة،م1،يوليو،1981،انظر:ص23،26،31،39.

2- الجوزو، مصطفى،من الأساطير العربية والخرافات ، دار الطليعة،بيروت،ط1، 01980،ص9

تعبير رمزي يجري بلغة حسيّة "مرئية بشكل خاص" لظـواهر الطبيعـة:المظـاهر الشمسية،والجوية،وهي إلى جانب ذلك تغطي القوى والظواهر المتصلة بـالأرض، لتعبّر عن الحاجات النفسية والتطلعات التي أحسّها الإنسان في العصور القديمـة،ولا يزال يشعر بها المرضى العصبيون في عصرنا الحاضر،ومن جانب آخر تعبّر عن مكامن الكبت والدّوافع الغريزية في الإنسان [1].

دراسة(فريال جبوي غزول)" المنهج الأسطوري مقارنا"أكدّت أن الأسـطورة تاريخ بدائي يعتبره أصحابه حقيقة فيفسر لنا رمزيّا بداية التعامـل مـع الظـواهر الطبيعية،أو أنّ الأسطورة البدائية مصدر تاريخي عند التأويل،والشعر والأسـطورة يرجعان إلى عامل حـسيّ انفعالي،وهو رغبة الإنسان في تحسين الظواهر الطبيعية وتشخيصها، مسقطا عليها إنسانيته، وهذا قد يؤيّد فكـرة ربـط الـشعر بالـشعور والأحاسيس والانفعالات.ويرى كذلك"أن الإنسان القديم كان ينظر إلى الكـون بفكـر شمولي محاولا تفهم الكون بكليّة وشمولية،ولكن هذا الطمـوح لا يتحقـق إلا علـى صعيد الوهم،والأسطورة تحقّق للإنسان القديم إطارا يفهم فيه هـذا العالم،ولكنهـا لا تعطيه القدرة المادية للتحكّم فيه كما يفعل العلـم.ويتـابع حديثـه قـائلا:"إنّ الفكـر الأسطوري لم يتميز عن الفكر العلمي إلا في القرنين السابع عشر والثامن عشر،وإن أساطير الأمم جميعها مرتبطة ببعضها ،وكلها تعنى بأمر واحد،هو الأصل والبدايات التي دخل فيها الإنسان مرحلة الثقافة[2].

دراسة(شكري عياد)" كتاب الأسطورة والرمز"يقول:"البحـث النقـدي فـي الأساطير مرجعه إلى فلسفة الظواهر،وهي أساسا مذهب فـي نظريـة " المعرفـة "وليست فلسفة" ميتا فيزيقية " وخلاصتها أن المعرفة الإنسانية لا تتنـاول الأشـياء الخارجية كحقائق موضوعية،سواء أكانت مادية أم مُثلا روحية،بل الـصور التـي يصنعها الذهن للأشياء، وكثيرا ما تسمى هذه الصور أساطير،ومن هنا لا يتناول إلا

1-النوري،قيس،-الأساطير وعلم الأجناس،دار الكتب،الموصل،1981،ص10.

2- غزول،فريال جبوي، المنهج الأسطوري مقارنا،مجلة فصول،م1،ع3،إبريل،1981،ص109-113

تصورات ذهنية، ففلسفة الظواهر تسوغ مد المصطلح بحيث يشمل هذا المعنى، إذ لا فرق جوهريّا بين الأسطورة بمعناها المتعارف عليه، وهوا لمعتقدات البدائيــة عــن الكون، وتلك المبادئ التي يصوغها العلم،ليفسر لنا الكون أيضا، فكلاهما تــصورات ذهنية،وهذا المعنى الذي تشتمل عليه فلسفة الظواهر هو المحور الذي تدور حولــه أبحاث"ليفي شتروس:"في الأساطير والعقلية البدائية[1]

أنور أبو سويلم له عدة دراسات هي "الإبل في الشعر الجاهلي (دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث) و دراسات في الشعر الجاهلي ومظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي والمطر في الشعر الجاهلي.

الدراسة الأولى (أنور أبو سويلم) كتابه"الإبل في الشعر الجاهلي (دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث)" يقول:إنّ المرأة– من وجهــة نظــره– تقــوم بأدوار كثيرة في الشعر الجاهلي،فهي تمثّل سيّدة الحكمة،والحبّ العُذري،والعفة،وحياة الرعي، والزراعة، والأم الحانية العطوف،والحياة اللاهية،والجنس،وهــذا مــا ذكــره الدكتور نصرت"في الصورة الفنية في الشعر الجاهلي."ويتابع حديثه فيقول"بإن المرأة كانت العنصر الأساسي في حث الزوج على الرحيل إلى الأمــاكن الخيــرة الــوافرة المرعى، وهي المشجعة له ،وهي التي تحثه على الثراء،ليصل بــذلك إلــى الثبــات والاستقرار"ثم يصل مرة أخرى للقول:"وإنّ أمرين يدعوان الشاعر للهجــرة همــا: المرأة الشاكية،والإبل العجفى، وبهذا يوحّد الدكتور بين المــرأة والناقــة، وخلاصــة رأيه:عدم توفر صور واضحة في صور الظعن عند الشعراء. والتشبيه للناقة الــسّانية ما هو إلا لتفجير الدموع من العين الحزينة.واحتفال الشعراء بناقة الرحلــة احتفــالا لتصوير وحشد مختلف الصور الحيّة البديعة للناقة.والتركيز علــى الليــل المــوحش والحر اللافح والظلام والهموم في رحلة الناقة الليلية، ويعتبر بيض النعــام اســتمرار للحياة المستمرة وإنجاب الذرية ويشبه قول علي البطل ويقول: عن الثور يوجد تشابه بين الناقة والثور الوحشي، وتشبيه الشعراء لذلك ،وقصة الثور تبرز عنصرين فهو

1– عياد, شكري، البطل في الأدب , دار المعرفة بغداد ,ط2،,1971,ص84.

يصارع الطبيعة–الليل ويصارع الإنسان–الكلاّب.ويقول:إن بيض النعام يعتبر استمرار للحياة ولإنجاب الذرية والتكاثر والخصب والأمومة [1].

الدراسة الثانية (أنور أبو سويلم) كتابه "دراسات في الشعر الجاهلي"حيث تعرض **في الفصل الثالث مقدمة لدراسة آثار الأسطورة في جانب من الشعر الجاهلي. حيث تحدث عن** الوشم والطلل، قال:"إ ن الوشم من الطلاسم السحرية المعروفة عند الإنسان القديم،ولكنه استخدم في الشعر الجاهلي مقترنا بوصف الأطلال فهو تعبير عن الثبات والبقاء والدوام "وضرب مثالا على ذلك بمعلقة طرفة بن العبد لأنها تعطي مثالا جيدا بصورة لافتة للأنظار يقول:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ ببُرقةِ ثَهْمَدِ تَلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليدِ

وخلاصة رأيه:يرى أن الوشم من الطلاسم المعروفة لدى الإنسان القديم،ولكنه استخدم في الشعرمقترنا بالأطلال،فهو يعبر عن الثبات والاستقرار والدوام والبقاء من وجهة نظره،ويقول بأن الطلل يرمز إلى الشمس.[2]

الدراسة الثالثة (أنور أبو سويلم) "مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي" تناول في كتابه في فصل متخصص باحثا في أنواع النار المختلفة مثل: نار الطلّل, نار القرى, ويقول: منذ عرف الإنسان النار وعرف فوائدها المختلفة في حياته فحاول أن يستأنس بالنّار ويفيد من دفئها الجميل,كما لاحظ أنها من أقوى عناصر الطبيعة تأثيرا في حياته نيران براكين أخرى غير التي عبدوها,ونار الطلل هو وقوف الشعراء على الأطلال يبكونها أحرّ بكاء ويندبون" الرماد"و"الأثافي السغ المحترقة"التي غادرتها المرأة وقومها، فهم يبكون النار،

---

1 – أبو سويلم،أنور، دراسات,الإبل في الشعر الجاهلي ،ج1و2,دار العلوم,الرياض،1983 ص31–45,ص50–55.

2– أبو سويلم،أنور، دراسات في الشعر الجاهلي، دار الجيل،بيروت، 1987،ص122–123.

فالمظهر الأول من النار:هو القسم بالنار والمظهر الثاني هو التحالف مع النار والمظهر الثالث هو الاستسقاء بالنار والمظهر الرابع هو نار البراكين والمظهر الخامس هو نار الطلل والمظهر السادس هو نار القرى والمظهر السابع هو نار الحرب والمظهر الثامن هو نار الغدر و المظهر التاسع هو نار السّليم,.واعتقد العرب بوجود قوى سحرية في النيران قادرة على شفاء المرض, والمظهر العاشر من تقديس العرب للنّار هو نار السلامة وهي النار المخصصة للمسافر ليعود لأهله غانما سالما،وخلاصة رأيه،ومن مظاهر تقديس العرب للنار لما تحمله من مظاهر مختلفة لكل نوع من الأنواع السابقة وقدرتها على شفاء المرضى [1].

الدراسة الرابعة (أنور أبو سويلم) "المطر في الشعر الجاهلي" يتناول الدكتور صورة الإبل والمطر فتبدو صورة الناقة من أكثر الأفكار تعقيداً،وليس من السّهل تكوين تصوّر كامل لمعتقد الجاهليين في الإبل.حيث يدخل في هذا التعقيد تصور الجاهليين للمطر،فقد ربطوا بين نزول المطر والمجاديح [2] والأنواء واستسقوا بها"ويتابع قوله:"عن الصور الشعرية عن السحب النوق، والرياح هي التي تلفها،والرعد هو إرزام[3] النوق،ويرجح أن الجاهليين تصوّروا في السماء ناقة حقيقة،وأن المطر هو دّر هذه الناقة المباركة،وهذا ما عُرف في الأساطير القديمة"ويتابع حديثه:"بأن صورة المطر في الفكر الجاهلي حدث كونيّ عظيم،وإنه –في تصورهم–لا يولد إلا بعد إلقاح،وإخصاب وتزاوج؛فرياح الصبا الرقيقة،أو الرياح الجنوبية المخصبة تلفح السحب العجفاء، فيمتلئ بطنها بالمطر"ويستمر قائلا:"وعن فكرة الاستسقاء في الشعر الجاهلي، تبدأ بالاستسقاء بالمطر"ويستمر قائلا:"

1– أبو سويلم،أنور، مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، دار عمار،عمان،1991،ص129–160.

2– ابن منظور، لسان العرب ، مادة"مجديح" ص421. المجاديح:نجم تزعم العرب أنها تمطر به كالأنواء، وقيل:هو الدّبران ويسمى:حادي النجوم.

3–المصدر نفسه،مادة"رزم"مج،12ص238.الإرزام:صوت الرعد الشديد الذي يكون رزاماعلى الإبل التي رزمت من الإعياء،فلا تتقطع حركتها.

وعن فكرة الاستسقاء في الشعر الجاهلي، تبدأ بالاستسقاء بالنجوم والتحكم في المطر بواسطة السحر،وحجر المطر،والمطر والفرس،الاستحمام المطر، وغسل الثياب والمطر،والمطر وبيوت الله،إلى غير ذلك من الصور،وحول التحكم بالمطر بوساطة السحر ،يقول:وفي المجتمعات القديمة يعد "صانع المطر"من أهم الشخصيات،وكثيرا ما توجد طبقة خاصة من السحرة يتولى أفرادها مهمة السيطرة على الرياح والتحكم في نزول الأمطار[1] ويختم حديثه:"بذكر مواضع ورود المطر في الشعر الجاهلي،والتي وضحها " نصرت عبد الرحمن"مبتدئا بموضع المرأة،فالضيفان،فالجيش، والناقة،والفرس،والحمار الوحشي، فالظليم،وخلاصة رأيه:تحديد مواضع المطر في الشعر الجاهلي وصوره بالمرأة والناقة، والجيش، والضيفان وغيره وتحديد أنواع الاستسقاء بالمطر،والارتباط بين الناقة والمطر.[2]

دراسة (علي البطل) كتابه"الصورة في الشعر الجاهلي حتى آخر القرن الثاني الهجري–دراسة في أصولها وتطورها"يقول:إنّ التحول الحاصل في الصور الدينية المحضة إلى قوالب فنية صرفه،قد تخالف أحيانا النماذج القديمة، ولكنها في كثرتها تسير بتتبع لهذه النماذج،من حيث ظهور الصورة المقدسة للأم بشكل غير واع عند حديثهم عن المرأة، إذ جمعوا لها صفات الخصوبة والأمومة المعبودة،التي ارتبطت بالربة الشمس في القديم،لكنه يرى تخلف عبادة المرأة المرتبطة بالشمس،لتظهر صورة المرأة المثال،وهي صورة لا تتعلق بامرأة بعينها، وإن وضعت لها الأسماء.وخلاصة رأيه: يعتبر أن المرأة شيءٌ مقدسٌ وأنها رمز الخصب والنماء عند الجاهليين وعن صورة الحمار الوحشي "يؤكد على التشابه صورة الحمار, صورة الثور, وإن الجاهليين وعن صورة الحمار الوحشي"يؤكد على التشابه صورة الحمار, صورة الثور, وإن أختلف في تفاصيل عناصرها، حيث ينجو حمار الوحش مع أتانه من أسهم الصياد, الذي لا يصحب كلابه في الصيد, لأنها صورة مرتبطة

1- أبو سويلم،أنور، المطر في الشعر الجاهلي،دار عمار،عمان دار الجيل؛بيروت،1987، ص61

2- المرجع نفسه، ص45.

بمعاني الماء الخصب والنماء"ويتابع"كما أنهم كانوا يتصورون أن الجنّ تصدّ البقر عن الماء عند صدورها, لأنّ الشيطان يركب "قرنيّ الثور"وخلاصة رأيه: إنّ التشابه بين صورة الحمار الوحشي والثور الوحشي وإن اختلفت التفاصيل. وإن صورة الثور الوحشي مرتبطة بمعاني الماء والخصب والنماء. نقلا عن "جواد علي"بصحة عبادة الإبل في الديانات القديمة،لكنه يرى أنّ المعايشة القريبة تغلّبت في تصويرها على الظلال الميتافيزيقية المترسبة حول هذا الحيوان فتعامل معه الشاعر تعامله مع معالم الواقع من حوله؛ لتوفر إشارات لروابط بعيدة، تربطه بمعاني الأمومة، كما في الربط بين الناقة والمهاة والمرأة فكلها نماذج للأمومة التي تتركز في الشمس بوصفها أمّا وأنثى جميلة"ويتابع حديثه"وترتبط صورة الإبل بالخصب والنماء أيضا ولهذا فإنّ لها تقديساعند العالم"ويقول أيضا:"عن ناقة طرفة المنفردة،تظهر الناقة منفردة بعدد الرموز المقدسة،وعن الناقة المطولة ليست هي المثال الوحيد عند طرفة، بل نلاحظ ذلك عند أكثر الشعراء، ثم يصف الناقة بكل أعضائها وفروعها بصور بديعة جميلة أخاذة"ويتابع قائلا:"بأنّ عبادة الإبل هي جزء من العقيدة الطوطمية وقد رمزوا بها عن آلهتهم التي تعددت واختلفت وقد جسّدوا الآلهة، ثم يعرض تفصيلا لكل نوعمن أنواع الناقة". وخلاصة رأيه: إنّ عبادة الإبل في الديانات القديمة بُعدأسطوري قديم.وربط الناقة بالأمومة والمرأة والمهاة نوع من الخصب والنماء. ويشك علي البطل في ارتباط صورة النعام بصورة الحمار والثور الوحشي،رغم أن الملامح منهما تشير إلى الخصوبة الجنسية الواضحة والمحافظة على النسل ويقول:عن الثور انه رمز إلهة القمر ولا يظهر قدومه إلا مع ظهور الليل وبالقرب من الأشجار في سبيل الاحتماء،وهذا يشبه القمر الذي لا يظهر إلا ليلا [1].

دراسة (يوسف اليوسف)كتابه"مقالات في الشعر الجاهلي"يرى الباحث ما في بداية الشعر الجاهلي من " غزل "، يراه صلاة لإلهات وآلهة الشعر، وهذه الصلاة

1- البطل،علي، الصورة في الشعر الجاهلي-حتى أخر القرن الهجري-،دراسة في أصولها وتطورها،دار الأندلس،بيروت،ط3، 1983،ص 183-185.

تدهورت وانقطعت أسبابها ونتج عنها هذا الغزل مطلقا،وإنما هي قصائد كتبت للحرب ،أو الموت أو الرثاء.ودليله على تأكيد بداية الصلاة الشعرية،في بداية الملحمة وتفسير نظرته إلى مطلع القصيدة الجاهلية أنه انحدار وتدهور وانقطاع عن التراث القديم، وهو ما يسمى "شياطين الشعراء" وهو بهذا يشير إلىالجذور الأولى التي كان يستخدمها الشاعر الجاهلي القديم حين يبدأ بكتابة ملحمة في تمجي أبطال القبيلة أو رثائهم .وخلاصة رأيه: إنّ الغزل الموجود في بداية القصيدة الجاهلية ما هو إلا صلاة للآلهة.[1]

دراسة ("داود سلوم)كتابه"الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة" لقد وضع" نظرية في الطّللية"حيث يقول: يتعذر تفسير الظاهرة الطّللية كحالة فردية تخص هذا العضو أو ذاك من أعضاء المجتمع، بل الواجب علينا فهمها بوصفها توضيحاً لمكنون الجماعة وللمخزون المجتمعي والتاريخي،ووفقا لهذه النظرة ،فإنه يرى أن الموقف الطّللي أشبه بطقس ديني يتكرر باستمرار،دون فوارق جوهرية بين أدائه في وقت ما، وإقامة شعائره في وقت واحد،فهو في جوهره أحادي المضمون والضمير لدى الشعراء كافة،وإن اختلفت دلالاته التفصيلية وأشكاله[2].

دراسة (حسن البنا عزّ الدين) كتابه "الكلمات والأشياء "يسعى للكشف عن الأنماط البنائية لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي مُحققا الكشف عن هذه الأنماط نفسها،ومهتما بنمط شائع للقصيدة الجاهلية تمهيدا لمقارنته بالأنماط الأخرى،ويريد بذلك من الأطلال أن تكون قصيدة نموذجا فيها مُقدمة طللية فنسيب فرحلة. "ويتابع قوله :"عن علاقة الطلل بالمرأة يضع الدكتور حس البنا رأيه بأنّ المقدمة الطللية والمفاخرة الشخصية هما من مكونات قصيد "الذكرى". ويستخلص الدكتور حسن البنا " بأنّ ليس ثمة رحيل في القصيدة عبر المكان على الناقة، وإنّ حركة الشاعر عبر

1- اليوسف،يوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، المطبوعات الجامعية،ط3،الجزائر، 1983،ص30

2- سلوم،داود، الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة،عالم الكتب،بيروت،ط2، 1985،ص52

الزمان من خلال أفعال الشجاعة،والكرم،والمخاطرة الإرادية،قد وقعت في الحقبة الزمنية الماضية"ويقول :"وفي المقدمة الطللية يقف الشاعر عند حدّ تعرف الديار،ومعاناة الجزع،وعلى الطرف الآخر إغراق في الردّ على العاذلة، والاسترسال في قول الحكمة عن الدّهر والأخلاق والموت وظلم ذوي القربى.وبين هذين الطرفين نجد الشاعر إما أن يتحرك داخل النسيب،ومفرداته الأخرى محاولا نسيان صاحبته أو يرفضه نتيجة لوعيه بحتمية الموت المتمثّل بالطلل، وخلاصة رأيه: يكشف عن الأنماط البنائية لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي، ليصل بالتالي لأن تكون الأطلال قصيدة نموذجا فيها مقدمة طللية فنسيب فرحلة".ويقول:" بأن المقدمة الطللية والمغامرة الشخصية هما من مكونات قصيدة الذكرى،وليس هنالك رحيلٌ في القصيدة عبر المكان على الناقة، وأن حركة الشاعر هي من أفعال الشجاعة والكرم والمخاطرة والحب الكثير. وعن الحمار يقول"بأن الحمار ما يزال يقوم بأداء مهمته, وتختلط صورته بصورة الماء وكذلك بصورة الطير. " مؤمنا" بفكرة الموت, أو فكرة المصير المحتوم التي تنطوي عليها صورة الأطلال ،وخلاصة رأيه:الحمار يقوم بمهتمه ولا يزال تختلط صورته بصورة الماء.يقول:إن الشاعر كأنه في داخل الموقف وخارجه في الوقت نفسه، أشبه بالثور الوحشي الذي انتصر على الكلاب بثقة وعزة نفس،وإن يكن بعد صراع ومواجهة[1].

دراسة (ريتا عوض) كتابها" بنية القصيدة الجاهلية:الصورة الفنية لدى امرئ القيس"تبدأ تحليلها بمعلقة امرئ القيس من الفعل "قف"وهو فعل الأمر والوقوف فعل طقسيّ ينطوي على الشعور بالرهبة والاحترام.والأطلال تقليدٌ شعريٌ؛بسبب تلك الأبعاد المنحدرة في التراث الثقافي والاجتماعي.وفي وقوف العربيّ على الطلل إحساس بأنّ الطلل صورة للزمن الذي يسلب الحياة من الإنسان،والحيوان والأرض وتقول بالنسبة للطلل: إنّ الشاعر لا يتعامل مع موضوع شخصي ولا يبكي حبيبا

1-حسن البنا عزّ الدين، الكلمات والأشياء،(بحث في التقاليد الفنية للقصيدة الجاهلية)،دار الفكر العربي،القاهرة،1988،ص 223-224.

بعينه،بل يُبدع من قلب تراثي وثقافي،هذا الإبداع الذي شكلّ البكاء على الأطلال أحد عناصره"وتخالف بأنّ البكاء صورة من صور الجدب؛لأن الدموع(ماء ملح) "وتعلل ريتا عوض" كون الشاعر لم يكن بمقدوره أن يُلزم الطبيعة بأن تجود بالماء، فليفجر الماء من عينيه استمطارا للسماء، وخلاصة رأيها:الوقوف فعلٌ طقسّيّ ينطوي على الشعور بالرهبة والاحترام،وتعتبر الأطلال تقليداً شعرياً بسبب الأبعاد المنحدرة في التراث الثقافي،وأن الوقوف على الطلل إحساس بأن الطلل صورة للزمن الذي يسلب الحياة من الإنسان،والحيوان والأرض وتقول بالنسبة للطلل: إنّ الشاعر لا يتعامل مع موضوع شخصيّ،ولا يبكي حبيبا بعينه،بل يُبدع من قلب تراثي وثقافي،هذا الإبداع الذي شكلّ البكاء على الأطلال أحد عناصره"وتخالف بأنّ البكاء صورة من صور الجدب؛لأن الدموع(ماء ملح) "وتعلل ريتا عوض" كون الشاعر لم يكن بمقدوره أن يُلزم الطبيعة بأن تجود بالماء، فليفجر الماء من عينيه استمطارا للسماء، وخلاصة رأيها:الوقوف فعلٌ طقسّيّ ينطوي على الشعور بالرهبة والاحترام،وتعتبر الأطلال تقليداً شعرياً بسبب الأبعاد المنحدرة في التراث الثقافي،وأن الوقوف على الطلل إحساس بأن الطلل صورة للزمن الذي يسلب الحياة من الإنسان وبالنسبة للطلل فإن الشاعر لا يتعامل مع موضوع شخصي،ولا يبكي حبيبا بعينه بل هو إبداع تراثي ثقافي.وعن الخيل تقول: تتجمع لنا المقولات السابقة في صورة الفرس والتي تغطي ساحة كبيرة من الأبيات ويعد مشهد الفرس مشهد التجاوزفي القصيدة؛ فتظهر صورة الاندفاع والحيوية والانتصار في قوله"وقد أغتدي"هي انطلاقة مع الفجر،وهي انبثاق الشمس كل صباح، فلا تختص بزمن محدد، وبذلك يتحقق الترابط بين فعله ريتا عوض" كون الشاعر لم يكن بمقدوره أن يُلزم الطبيعة بأن تجود بالماء، فليفجر الماء من عينيه استمطارا للسماء، وخلاصة رأيها:الوقوف فعلٌ طقسّيّ ينطوي على الشعور بالرهبة والاحترام،وتعتبر الأطلال تقليداً شعرياً بسبب الأبعاد المنحدرة في التراث الثقافي،وأن الوقوف على الطلل إحساس بأن الطلل صورة للزمن الذي يسلب الحياة من الإنسان وبالنسبة للطلل فإن الشاعر لا يتعامل مع موضوع شخصي،ولا يبكي حبيبا بعينه بل هو إبداع تراثي

ثقافي.وعن الخيل تقول: تتجمع لنا المقولات السابقة في صورة الفرس والتي تغطي ساحة كبيرة من الأبيات ويعد مشهد الفرس مشهد التجاوز في القصيدة؛ فتظهر صورة الاندفاع والحيوية والانتصار في قوله"وقد أغتدي"هي انطلاقة مع الفجر،وهي انبثاق الشمس كل صباح، فلا تختص بزمن محدد،وبذلك يتحقق الترابط بين فعله وفعل الشمس"وتتابع قولها:"وعن لفظة" الأوابد وهي الوحوش"لها دلالة رمزية وأسطورية،فيصبح الفرس قيدا للأوابد،أي الزمن المحيط بها كالحلقة،لا تستطيع منه فلوتا ويصبح الفرس معادلا موضوعياً لذاته الفائزة، والثائرة المزدهية"وتخالف فتقول:"إنّ الصيد يشير إلى تحمل الشاعر المسؤولية كرجل بالغ لكي يعيل القبيلة ويقاتل لكي يدافع عنها،ويغدق الشاعر على الفرس طاقة سحرية عجيبة، تحقق له انتصارا أسطورياً خارقا. إنه انتصار الواحد على المجموع،والفرس يضرب بعشوائية فيصطاد ما يشاء ولها يكون الفرس الصورة المثال والرمز الأسطوري المجسدّ لما يعتمل في أعماق اللاوعي الإنساني من رغبات."ثم تتابع قولها:"إن تجمع ما قالته في تصور المبدع لتجاوز الواقع؛ لتصبح صورة الفرس والصيد:التجاوز المبدع للواقع،وأما اتهام زوجته بأنه كبر عن اللهو فتقول الدكتورة:"هو إن الحيوية الجنسية المخترقة للنظم الاجتماعية القائمة.والمرأة ليست أداة لهو،ولكنها رمز حيوي واجتماعي ونفساني؛فالعلاقة معها تثبت فورة الطاقة الجنسية وتؤكد الشباب وإن استمالتها من زوجها فعل تحدّ للمجتمع،ومنها عن الآخرين وصونها"وتتابع"عن الاستعارات الرائعة لامرئ القيس عن فرسه وتمثيله بالعقاب وعن الصورة الرمزية للفرس بأنه في شعر امرىء القيس يرتبط إمّا بلذة الركوب،والانطلاق،وإمّا بالحرب،وإمّا بالصيد،وخلاصة رأيها:بأن الصور المتعددة لفرس امرىء القيس تعتبر مشاهد يظهر فيها الاندفاع والحيوية والانتصار لتحقيق الترابط بينه وبين الشمس وأن الصورة الرمزية للفرس في شعر امرىء القيس مرتبطة بالركوب والانطلاق والحرب والصيد.واعتبرت أن الصيد في قصيدة امرىء القيس همّ تحمل الشاعر المسؤولية كرجل يصطاد ليعيل القبيلة.وعن الحمار الوحشي تقول" ومشهد الصيد مربوط مع صورة المرأة التي تلحظ فيه أن الصيد هو دائما صيد إناث الوحش بقرا

كانت أم أمّا. وهذا تحديد له دلالته: إذ يعقد الصلة بين فعل الصيد, وبين السعي إلى امتلاك المرأة, فيغدو الصيد رمز العلاقة الجنسية بين المرأة والرجل." وأخيرا وصل إلى القول:" بأن الطعن بالرمح يرمز إلى الفعل الجنسي المشتمل على دلالات الحيوية والخصب". وخلاصة رأيها:إن مشهد الصيد مربوط بصورة المرأة فكلاهما مختص بالإناث.والصيد هو رمز العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة من حيث الالتقاء وعن النجوم دعت ريتا إلى تلمس البعد الرمزي،والطقسي،والأسطوري للقصيدة وعن معلقة امرئ القيس فتقول:هو عمل فني ينبثق من تراث جماعي،ويتوجه إلى الجماعة، لا وثيقة ذاتية، ولا انعكاس لواقع خارجي.وعن الحديث عن الثور، تعتبر الصراع دائما قائما بين الثور والكلاب،وأن المعركة الكونية بينهم مستمرة، بل هي استمرارية الوجود الإنساني والكوني،فالكلاب رمز للشك والالتباس والتوجس الذي يعاني منه الشاعر،فانتصار الثور هو صمود أمام الشكوك وانسحاب الكلاب ليس إلا استعدادا لهجوم جديد،والكلاب هي الزمن ونوائبه،فالصراع بينهما صورة لصراع الإنسان مع الزمن[1].

دراسة (محمد عجينة) " **موسوعة أساطير العرب**" يتحدث" في أساطير المظاهر الطبيعية عن الأساطير ذات الصلة بالماء والأباء ومنابع المياه ذاكرا أسطورة الخلق من الماء والدلالات الرمزية للماء التي تمثلت عنده بالماء المقدس, فالماء والدم والفداء وسائر عناصر التربة والنار والهواء أصل جميع المخلوقات في أساطير بدء الخلق،وخلاصة رأيه:ربط منابع المياه بالأساطير،إن عناصر التربة هي أصل المخلوقات في الأساطير.ويتحدث عن النار فيقول:إن أنواع النار المختلفة هي: نار القرى, نار الزائر,نار المسافر,نار الحرب, نار الطرد, نار السلامة،جاء كلامه مشابها لكلام أنور أبو سويلم" ليصل كما يقول:" إلى تعدد أبعاد رمز النار فهي تتصل بالحياة والموت على حدّ سواء ويمكن وجود الترابط الشديد بينهما ويتحدث عن" أصل النار في الأساطير, فإنه ليس لنا أسطورة شبيه بأسطورة" بروميشيوس "

1- عوض،ريتا، بنية القصيدة الجاهلية،(الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)،دار الآداب، بيروت، 1992، ص185-187.

سارق النار من الآلهة, ويقول إن البطولة عند العرب تتمثل في إخماد النار،وخلاصة رأيه:الاشتراك مع زميله أنور أبو سويلم في أنواع النّار المختلفة، وعدم توفر أسطورية عربية عن النار مثل أسطورة" بروميشيوس"وأبعاد رمز النار تتصل بالموت والحياة على حدّ سواء. ويتحدث عن الخيل قائلا: "إن محاولة الوصول إلى ربط الخيل بالأساطير والشمس والريح والماء والمرأة، فيجد أنّ الخيل رمز من رموز الشمس الآلهة الربة "ذات حميم"و"ذات حمين"وكذلك تنسجم تلك الرمزية مع اقتران الحصان رمزا بصورة المرأة،لأن الحصان أو صورته تقدم لها قربانا. ثم يروي روايات عن الخيل ويقول:بأنّ أصلها من الماء والريح معا وأنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة فهي مائية هوائية في آن، لنفس السبب المذكور،وخلاصة رأيه: ربط الخيل بالأساطير، ويعتبر الظليم مع النعامة من مراكب الجن،كما تركب الجن الثيران عندما تصد البقر عن الشرب،فهو يشارك علي البطل من تحيف التاريخ له،وأنه لم يكشف لنا عن صورته في الدين القديم.والشمس والريح والماء المرأة.وإن أصل الخيل من الماء والريح فهي:مائية هوائية. وعن الشمس يقول" يدخل إلى الشمس من خلال احتفاظ اللغة العربية في طياتها بأسماء ما تزال تطلق على الشمس, ومنها ما يحيلك إلى معنى طبيعي وهو: الحر واللهيب مثل"ذكاء" وحناذ" أو إلى لونها وشعاعها مثل "الجو ناء" "والجونة" "والضحى" والصبح"والشارق"الشرق" ويقول: ومن الأسماء القديمة للشمس ما يتصل بمناطق أخرى من العالم الطبيعي"غير المقدس" مثل "الجاري" و "الغزالة" ويقسم الأسماء في ثلاثة مجالات:

أ- العالم الطبيعي (عالم النار,النور,الأرض, السماء الكواكب).

ب- مملكة الحيوان (فالشمس هي الجارية والغزال).

ج- مملكة الإناث, ذلك أنها في العربية مؤنثة.

ويقول: إن هذا الاتحاد الذي تقيمه الشمس بين مناطق من الكون ما هو إلا اشتراك في التسمية أو ما يسمى باشتراك المعنى. وإن كل الصور البلاغية ما هي إلا معتقدات أسطوريةينبغي أن تحمل محمل الحقيقة لا المجاز" ثم يذكر صورا كثيرة

للشمس مثل المرأة والفرس والمهاة والغزال وكلهم يشتركون في معنى الخصوبة والأنوثة. وخلاصة رأيه:اطلاق أسماء على الشمس مثل "ذكّاء"دليل على حرارتها.وكذلك الصور البلاغية عند الشعراء هي معتقدات أسطورية تحمل على الحقيقة وليس على المجاز.وعن القمر يقول: يروي أولا ما قاله الدكتور إبراهيم عبد الرحمنفي تعداد أسماء القمر من (المقة، ودّ، سين،كهل،هبل) ثم يستعرض القبائل التي عبدت كل من الآلهة السابقة, ثم يقول: إن لهذه الآلهة دلالة رمزية مثل "هبل" هو ذكر وبناته" اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى"والقمر على الصعيد الرمزي راجع إلى أن قرون الثور تذكرهم بالهلال، " ويتابع" بأن الحية كانت رمزاً من رموز القمر فكلاهما أغوته بالأكل من الشجرة الممنوعة, وحية الكعبة التي منعتهم من تفويضها وإعادة بنائها بعدما أصابها. وخلاصة رأيه:في الزهرة إنها ربة الحسن وهي من معبودات عرب جنوب الجزيرة،وكانت عندهم"عشتر" وهي كذلك من معبودات عرب الشمال،وإن لها علاقة لا شك بعشتار البابلي نجم الصباح في عصر حمورابي، ويقول بأنها اكتسبت بذلك دلالات جديدة أضيفت إلى النواة الأولى بل لم تعدم القصة من أخذها مأخذ اللغز،أو الرمز:فأوّلوها تأويلا أضفى عليها دلالاتٍ رمزيةً قد لا يبدو أنها تمت إلى أصل القصة بصلة ما.يقول:عن الثور إنه يعتبر ضمن أساطير الكواكب،حيث كان الثور في جنوب الجزيرة العربية–مثلما كان في مصر القديمة– حيوانا مقدسا،فقد كان رمز للإله "المقة" في سبأ وفي مأرب.والثور من رموز الإله"ايل"إله الساميين قديما،ولعل العلاقة بينهما تتمثل في التشاكل بين الهلال قرني الثور،ومعنى الفحولة والقوة والخصب المقترن هو الآخر بعنصر الماء.كما يقول:فقد كان العرب قبل الإسلام يستمطرون السماء متخذين البقر واسطة وذريعة ضمن عملية طقوسية [1].

دراسة (أحمد إسماعيل النعيمي)الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام"

يقول:إن الطلل هو رمز (الفناء والموت) الذي كان هاجس الإنسان الأول ولا يزال،

1– عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب،(عن الجاهلية ودلالاتها)،دار الفارابي،بيروت، 1994،ص –285– 286،وص161–162.

يزال،مرورا بعصور الإنسان المختلفة،بمعنى أدق إنه التجسيد العياني لقدرة الموت التي لا تقهر،وحسبنا في ذلك أن "الخرائب،بوصفها صورة الطلل الحقيقية،هي وحدها الكفيلة باستثارة خيال الشاعر،وبعث الماضي السعيد وأنها قواسم مشتركة في كل الصور الطللية سواء أكانت للحبيبة أم للأهل،أم للأسلاف. وخلاصة رأيه:الطلل في نظره هو(الموت والفناء)والذي يعتبره هاجس الإنسان في العصور،وأن "الخرائب"بوصفها صورة الطلل ،هي وحدها الكفيلة باستثارة خيال الشاعر وبعث الماضي السعيد. وعن الناقة يقول:إن الدخول في تحديد الملامح الأسطورية المحاطة بالإبل لدى المجتمع الجاهلي،من منطلق أنّ دراسة الأسطورة هي دراسة كل ما سطر عند الجاهليين تاريخا كان أو دينا"ويتابع حديثه"ومن هنا يمكن أن تكون بعض المعتقدات الأسطورية التي دارت حول الإبل مستوحاة من قصة "ناقة صالح عليه السلام"ومن هنا جاء لها التقديس والإجلال والاحترام" ويقول أيضا:" تحديد الملامح الأسطورية المحاطة بالإبل من منطلق دراسة الأسطورة.ويعتبر أن بعض المعتقدات التي دارت حول الإبل مستوحاة من قصة ناقة صالح" عليه السلام".وعن الحمار يقول" في مشهد الثور, بعد عرض آراء المطلبي, وعلي البطل, نصرت عبد الرحمن, ليقول:" بحلول أرواح شريرة في الثور, وكان الواقع على ظهر الثور بمثابة طرد للأرواح التي حلت فيه" ويقول في الاستمطار بالبقر : إن البقر المستخدم هو من نوع القربان الذي يقدّمه المعنيون بالجدب رضاء للأرواح المتحكمة بالمطر "ويقول: "لقد وجدوا في أسطورة (ضرب الثور) قدرة استيعاب التجارب الخاصة التي ظل الشعراء مؤهلين لبثّ تفاصيلها من خلالها, كما رأوا تشبيه الثور بالكواكب المعبودة, بقايا ذلك التراث الديني القديم الذي اندثرت طقوس عبادته"ويختم حديثه قائلا:" بأن التاريخ تحيّف للثور الوحشي, ولم يكشف لنا عن صورته في الدين القيم كما رأى ذلك علي البطل،وخلاصة رأيه:استيعاب التجارب الخاصة التي بقي الشعراء مؤهلين لبثّ تفاصليها.وعن الشمس يقول: يرفض الدكتورالنعيمي فكرة إسقاط قدامة الشمس على المرأة والغزال, ويظهر أن ذلك من قبيل " التأويل" والافتراض القائم على التشبيه, لا على شيء آخر كما ورد عند القدماء في تأنيثهم

الغزال والشمس, ولهذا قدامة الغزال بصفة رمز الشمس" أما المرأة فليست دائما هي "الأم" كصفة مشتركة مع الشمس التي تعد(الأم العظمى). وقد تكون جارية, أو زوجة, أو أختا, أو حبيبة, يتعاود الشعراء على ذكرها, ويتغزلون بها مستخدمين تشبيهاتها من عوالم الطبيعة, ويخلص إلى أن نظرة العرب إلى الشمس, لم تختلف عن نظرة الأمم الأخرى إليها من حيث إنها: إحدى القوى الطبيعية المهمة وأعظم لآلهتهم،(عم،ودّ،سن،سين). ويرىإسماعيل النعيمي أيضا: في "ود" أكثر الأساطير شهرة فيما نسب إلى القمر, ومعناه"حب" وكان بطوافهم بهذا الإله صلة بشعيرة الحب المقدسة, ولا سيما العلاقة الخفية بين دوار العذارى, بالموضع المقدس من الصفة والحب،وخلاصة رأيه: تسميات إلهة متعددة للقمر."ودّ"مربوط برمز الحب الإلهي ضد الحب الجنسي. ويتعرض إسماعيل النعيمي إلى الزهرة باعتبارها ثمرة الزواج بين القمر والشمس ليتشكل بذلك الثالوث الإلهي الرئيس كما كانت الإلهة عشتار إلهة الخمر عند البابليين القدامى [1].

1.1- مقدمة في الأسطورة

مما لا شك فيه أن الأمة العربية قبل الإسلام،آمنت بأفكار ومعتقدات ، ومارست طقوساً وشعائر في ظل بيئتها الطبيعية ، ونظامها الاجتماعي ، وبواعثها النفسية .

وقد غدت هذه الأفكار وسيلتها في إدراك عوالم غامضة ، تثير تساؤلاتها ، وتزيل حيرتها وكانت الطقوس غاية لدرء الأخطار المحدقة بها ، ودفع الشر عنها ، لأن العالم الذي تعيش فيه – آنذاك – وفقاً لرؤيتها ، كان محاطاً بكائنات غيبية ، أو وجود أرواح في الأشياء المادية مما تراه حولها ، كالأشجار والحجارة ، أو مما في مظاهر الطبيعة ، كالرياح والأمطار والنجوم والكواكب.

ثم أضحت هذه القوى الطبيعية – في نظرها – آلهة عزي إليها التحكم بمقدرات البشر ، والسيطرة على مجريات الكون ، فكان لا بد من كسب ود هذه الآلهة بالشعر والقرابين والتعاويذ والسحر.

1- النعيمي، إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة،1995،ص-111-124.

كما شغل (العالم السفلي) عقلية تلك الأمة ، التي راحت ترسم أبعاده بخيالها،إذ كانت تراه مصدراً تأتي منه الشياطين والأرواح الشريرة ، وهو خيال يشبع رغبةً ، ويبدد قلقاً .

ومن الخطأ أو الوهم أن نتصور طبيعة عقلية الأمة ، ومحتوى تفكيرها ، بمعزلٍ عن تياراتٍ فكرية تصب في هذا الاتجاه ، سواءً أكانت موروثة من الأسلاف ، أم وافدة من اتصال العرب بغيرهم من الأمم ، بتأثير العلاقات الاجتماعية ، والسياسية والتجارية ، أي كان العرب مؤثرين ومتأثرين ، لكن ذلك لم يمنع من انصهار هذين التيارين في بوتقة الفكر العربي قبل الإسلام.

ويبدو أن الحشد من تلك الأفكار والمعتقدات ، وما رافقهما من شعائر في احتفالات بعينها، تقدم فيها القرابين والذبائح ، مع إيفاء النذور لقوى غيبية أعظم من الإنسان هو ما ينضوي تحت مصطلحٍ اتفق الباحثون على تسميته بـ " الأسطورة " بوصفها تراثاً موجوداً عند الأمم جميعها بلا استثناء ، بيد أن ذلك لا يشكل اكتشافاً ننسبه إلى أنفسنا ، لأن غيرنا قد أكدوه . ولأن هدفنا الأساس هو تحديد ملامح الأسطورة العربية ، ورصد آثارها في المجتمع العربي ، وإن كان هذا الهدف يبقى في حاجة إلى وسيلة تسعى لتحقيقه ، ولما كان الشعر الجاهلي هو المحور الآخر من هذه الدراسة ، بل غايتها أصلاً ، ونظراً لوجود مسوغات أُخر تدفعنا إلى اتخاذه كذلك، فقد غدا وسيلتنا وغايتنا في آنٍ واحد .

وهناك جملة مؤشرات تفصح عن حقيقة التجانس القائم بين الأسطورة والشعر بوجه عام ، نشأة ووظيفة وشكلاً . فالنسبة إلى النشأة ، إن كليهما موغل في القدم ، فضلاً عن امتزاجهما في عصور الأساطير الأولى ، التي هي عصور الشعر ، بما دلت عليه الألفاظ من دلالات حسية ، ثم أسطورية ، تتخذ فيها المدلولات التجريدية صورة شكلية ، تتدرج تحت المدلولات الحسية[1].

1- هلال، محمد غنيمي،النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية،القاهرة،663،ص1973.

ثم كان الشعر في نشأته أو في جذوره الأولى محض ترديدات وترانيم بدائية، يقصد بها السحر ، ومخاطبة المجهول. [1] ، مما يتوافق مع جذور الأساطير في هذا الجانب ، من حيث إن أقدم الأساطير كان غناءً دينياً ثم ملاحم شعرية". [2] قبل أن يحدث ذلك الانفصال غير الحاد بينهما ، إذ ظل يرتد الشعر إلى جذوره الغيبية الأسطورية بهذا القدر، وهو في أجواء مرحلته الواقعية الجديدة .

ومما له صلة وثيقة بالنشأة ، أن وظيفة الشعر – في مراحله الأولى – هي نفسها وظيفة الأسطورة ، إذ إن أقوى النظريات وأكثرها رواجاً هي تلك التي تعزو الأولية الشعرية إلى وظيفة دينية [3] .

أما فيما يتعلق بالشكل ، فيبدو تطابق الأسطورة والشعر في هذا الجانب من حيث إن الأسطورة مادة أدبية ، ولا شيء أكثر من ذلك ، ومما يعزز مثل هذا التصور ، ويزيده رسوخاً من يرى ((أن الأسطورة نصٌ أدبي وضع في أبهى حلّة فنية ممكنة ، وأزهى صيغة مؤثرة في النفوس))[4] وأنهما فضلاً عن تطابقهما في الشكل ، يمتلكان قوى آسرة، تزيد في سيطرتها وتأثيرها،وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا إن لعنصر الخيال أثراً في خلق هذه القوة الآسرة بوصفه أي الخيال جوهر الأسطورة والشعر معاً ، وأداة التشكيل الأولى فيهما فقد أكدت بعض الدراسات هذه الحقيقة، في إشارتها إلى أن ((كتّاب أساطير العصور السومرية التاريخية الأولى، كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على الخيال،دون الالتزام بقواعد المنطق والاستدلال العقلي)) [5] ولا يتردد باحث عربي في اعتبار ((إن كل الميثولوجيا تخضع وتسيطر وتحدد قوى الطبيعة ضمن حدود وخلال الخيال)) [6] .

1- القيسي،مرجع سابق، ص43

2- زكي، مرجع سابق، ص199.

3- القيسي، مرجع سابق، ص51.

4- السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى،مطبعة دار الشرق، دمشق،ص16.

5- حنون،كامل، عقائد ما بعد الموت–في حضارة بلاد الرافدين القديمة–،دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط3، 1976.ص16.

6- ريد،هر برت، الفن والمجتمع،ترجمة: فارس متري ظاهر،دار القلم،بيروت،1975،ص97.

وحسبنا أن نعرّف أن الخيال هو : الفعل النفساني المكلف بصياغة الصور وتنسيقها في رموزها الخاصة . ومن خلاله تمثل أشياء غائبة ، كأنها ماثلة حقا لشعورنا ومشاعرنا ، ومن المؤكد أن يكون للفنان أو الشاعر أثر بالغ الأهمية في استثمار عنصر الخيال الجامح بين الأسطورة والشعر، وخلق القصيدة التي تكون مرتبطة بالمادة الأسطورية ارتباطاً شديداً – أو في الأقل – ارتباطها بعالم شبه أسطوري اعتماداً على مخيلته [1].

وإذْ نطمئن إلى هذا التلاقي بين الأسطورة والشعر (نشأة ووظيفة وشكلاً وتأثيراً) دون النظر إلى هويتهما ، أو جنسهما ، فبإمكاننا أن نمضي قدماً في تبيان أبعاد العلاقة بين مضمون الفكر الأسطوري عند العرب، ونتاجهم الشعري بوصف هذا المحور الركيزة الأساسية التي تستند إليها هذه الدراسة [2].

يمكن القول إن من الضروري أن تكون دراسة الشعر عبر عصوره المختلفة، سائرة جنباً إلى جنب مع دراسة الفكر ، إذ ما أضر الشعر العربي غير الفصل الحاد بينه وبين الفكر . وإذا أخذنا في الحسبان أن (الأسطورة) تمثل فكر الإنسان ، في مرحلة حياته وتمتلك القدرة على الحضور الدائم ، والالتقاء بتجارب الإنسان في مختلف عصوره . فمن الطبيعي عندئذ أن تكون دراسة الأسطورة في الشعر هي دراسة الفكر العربي قبل الإسلام تحديدا بوصفها أي الأسطورة تمثل جوهره وجانباً مهماً في جوانبه النفسية والوجدانية ، وتصوراته للكون والحياة في ظل عوامل أسهمت في ذلك، أبرزها شيوع المعتقدات الدينية ذات المحتوى الوثني لدى غالبية أفراد المجتمع العربي،فضلاً عن التقاء هذه المعتقدات مع الفكر الأسطوري في هذا الجانب أو ذاك [3].

وعلى هذا الأساس ، لا يمكن فصل صور الشعر الجاهلي عن الفكر الذي يحمله

1– ريد،هر برت، الفن والمجتمع،ترجمة: فارس متري ظاهر ،دهر القلم،بيروت،1975،ص98.

2–المرجع نفسه،ص99.

3– الصفار،ابتسام مرهون، أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري،دار الرسالة للطباعة،بغداد،1974،ص54.

الشاعر أو يؤمن به ؛ لأن هذه الصور تحمل ثقلاً وجـدانياً ، وتجـارب خـصبة ، وتراثاً دينياً ، مثلما لا يمكن فصل صور الشعر عن الصور القرآنية التـي أخـذها الشعراء واستفادوا منها في تصوير أفكارهم وآرائهم في شتى أغراضهم الشعرية،لا سيما في القرن الأول الهجري،وقد بلغت الصورالمستقاة من القرآن الكريم من الكثرة بحيث تعذر حصرها وترتيبها.نسوق هذا تأكيداً لأثر الفكر الذي ينهل منه الـشعراء في نتاجهم وصورهم الفنية من جهة ، والتمسك بالرأي القائل إن الأسـاطير تـشكل جانباً كبيراً من التفكير الإنساني بصورة عامة،والتفكير الجاهلي بصورة خاصة" [1]. ومن جهة أخرى دون إغفال حقيقة نفاذ بعض معتقدات هذا الفكر إلى عصور أدبيـة لاحقة ، بشكل متفاوت من عصر إلى أخر .

ولكي لا يساور الشك نفوس بعض المهتمين بدراسة الأساطير ، فيترددون في الاعتماد على الشعر العربي قبل الإسلام لاستنباط الملامح الأسطورية وتحديدها في الفكر العربي عصرئذ يعمد الدكتور طه حسين إلى قطع دابر هـذا الـشك، ويعلـن مؤكداً : إنا لا نعرف شعراً يصور حيا ة الأمة اصدق تصوير، ويضطرنا أن نلمسها بأيدينا كالشعر العربي ، فإذا لم توجد عندنا (الإلياذة والأوديسا) فليس من شك أن ما أدته الإلياذة والأوديسا قد أداه لنا الشعر القديم وليس ذنب الأدب العربي ألا يقـرؤه الناس ولا يعرفوه)) ثم يجمل هذا الرأي بقوله: ((إن شخصية العرب ظهرت قوية في الشعر والنثر والعلم)) [3].

ويشاطر أحد الباحثين رأي طه حسين ((عندما يرى الأسـاطير التـي مـلأت الإلياذة ليس مما يقدح في الشعر العربي خلوه من أم أمثالها)) [4]. ولكن كيف نوفق بين الشعر الجاهلي بوصفه حديث الميلاد وصغير السن مائة وخمسين عام أو مائتي عام بغاية الاستظهار ، والأسطورة موغلة في أعماق التاريخ .

1- القيسي،نوري،الأساطير وانتفاع الشاعر الجاهلي،مجلة الأقلام،ج4،س5، 1968.ص100.

2- حسين،طه، حديث الشعر والنثر،دار المعارف،1936،ص16-18.

3- الجيزاوي،سعد الدين، الملحمة في الشعر العربي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،القاهرة، (د:ت)،ص24.

4- القيسي،مرجع سابق،ص53.

وللإجابة على هذا التساؤل نلخصه بأن هذا العمر هو عمر الشعر المتكامل فنياً . لا يلغي أصوله وجذوره الممتدة مع الأسطورة عبر التاريخ ، إذ كانت للشعر مكانته المقدسة يستمدها من أصله الديني،ومن بقايا ارتباطه بالغيب ، ومخلوقاته الأثيرية من جن وشياطين، ولم تكن القصائد سوى أدعية دينية طويلة لاستنزال المطر[1].

وهذه من أبرز نقاط الالتقاء بين الأسطورة والشعر العربي قبل الإسلام من حيث الزمن. ومعنى هذا أن القصيدة العربية قديمة قدم الأسطورة نفسها ، ويمكننا القول إن شعرنا العربي ليس إلا ثروة معطاء تمتد في جذورها إلى أقدم حضارة عربية ، هي: (حضارة وادي الرافدين) حيث الأساطير والقصص والترانيم لتشكل سلسلة متصلة الحلقات .

إذن هناك الماضي والحاضر والمستقبل ، هي أبعاد زمنية متواصلة لا تقبل الانفصال ، ومما لا شك فيه أن للآثار الأدبية بعامة ، والشعر بخاصة أثراً في هذا التواصل على مستوى الأساطير وغيرها وإن كان الشعر يظل الميدان الحقيقي للأساطير [2].

لم يبقَ سوى أن نأخذ في الحسبان بيئة الأساطير العربية (الطبيعية والاجتماعية) حتى نظفر – لا محالة – بملامح أسطورية عربية ، تعكس لنا طبيعة نظرة الفكر العربي ومضامينها نحو العالم بجانبيه المادي والروحي ، بمنظور الشعر ، للأسباب التي أسلفنا الحديث عنها ، فضلاً عن ارتباط الشعر خلال (عصوره التاريخية) بالسحر والكهانة والخوارق وألغاز الطبيعة وأسرارها [3] . إذ كانت العرب تطلق الآلهة على ما كانت تعبده في الجاهلية، [4]

1–أبو عبيدة،(معمر بن المثنى):أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق :عادل قاسم البياتي،مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر،بغداد، (د:ت)،ج1،ص147.

2– زكي، مرجع سابق، ص266

3– الزبيدي،علي، ثقافة الشاعر القديم،مجلة آفاق عربية،ع1، 1988،ص76.

4– الحوت، محمود سليم، في طريق الميثولوجيا، مطبعة دار الكتب، بيروت،1955،ص94.

وهذه المحاور شكلت نسيج الأساطير العربية ، حيث نشأ الشعر الجاهلي كغيره من شعر الأمم في أحضان الأساطير ، وإن العلم بالأساطير يثري فهمنا للشعر وبالعكس [1].

وهناك مصادر أخرى تشكل رديفاً للشعر وسنداً له ، فالقرآن الكريم في مقدمة ما يعتمد عليه لدى دراسة فكر المجتمع العربي عبر عصوره المختلفة ، وهناك الأحاديث النبوية الشريفة الموثقة ، هي الأخرى مصدر مهم يعين على رصد ملامح الحياة الفكرية عند العرب قبل ظهور الإسلام وبعده،فضلاً عن أمثال العرب وخطبهم وأسجاعهم وقصصهم المتناثرة في المظان الدينية والتاريخية،دون إغفال المادة التاريخية والنقوش ، ومخلفات الآثار ، بوضعها وسائل في استيعاب مضامين الأساطير ، مع عدم إغفال الربط بين اتصال جزيرة العرب بحضارة القرآن الكريم ووادي النيل .

وإذا سلمنا بحلقات الامتداد التاريخي للأسطورة والشعر ، وأشرنا إلى انقطاع بعض الخيوط ، أبرزها المرحلة الزمنية الطويلة التي قطعها الشعر والأسطورة معاً ، فحريٌ بنا أن نجيب عن تساؤل هو : ما حجم الإشارات الأسطورية التي نفذت إلى الحياة الجاهلية ؟ وهل تحمل القصيدة الجاهلية من أولها إلى آخرها مضامين أسطورية ، استطاع الشعراء ، استلهامها وتوظيفها يبدو أن الباحثين المحاضرين لم يغفلوا عن هذه الحقيقة ، ولكنهم حصروا تلك الإشارات الأسطورية ب(أيام العرب) بوصفها (خزيناً على جانب كبير من الأساطير التي تخللت تلك الأيام أوحدثت فيها، أو قامت بسببها)) [2].

وفي النهاية ينبغي أن نكشف عن حقيقة الأسطورة نفسها ، حتى يتسنى لنا أن نمضي قدماً في ولوج عالم الشعر ، واستقصاء ما اختزنته من أساطير وفقاً لذلك .

1- داود،أنس،الأسطورة في الشعر العربي الحديث، دار الجيل للطباعة،القاهرة، 1975،ص20.

2 -القيسي، نوري، البطل في التراث العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،1982،ص95

2.1-الأسطورة في القرآن الكريم

جاءت لفظة " الأسطورة " في القرآن الكريم بصيغة الجمع ، فضلاً عن اقترانها بكلمة الأولين ، في تسع آيات احتوتها تسع سور جميعها مكية وهي:(سورة الأنعام / آية 25 ، سورة النحل / آية24 ، سورة المؤمنون / آية 83 ، سورة الفرقان / آية5 ، سورة النمل / آية 68 ، سورة الأحقاف / آية 17 ، سورة القلم / آية 15، سورة المطففين / آية 13 ، ما عدا " الأنفال/آية31.

فهي مدنية وكلمة الأسطورة مشتقة من سطر واسم المفعول منها " مسطور "

(**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**) [1]وقال تعالى أيضا: (**وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**)[2]

وبشأن قوله تعالى :(**أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**) في هذه الآيات كلها ، يرى علماء التفسير منهم(الطبري) و(ابن النحاس) و (الزمخشري)هذا القول قيل في ((النضر بن الحارث)) مع اختلافهما في عدد الآيات التي نزلت فيه [3]. .

وفيما نقل عن (ابن عباس) : " كان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وينصب له العداوة وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ جلس مجلساً، فذكر الله ، وحدّث قومه بما أصاب قبلهم من الأمم ، من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم ، ثم يقول : يا محمد أنا أحسن حديثاً منك". وهو أي النضر بن الحارث ((المقتول صبراً ، حين سمع اقتصاص الله في أحاديث الأقوام السابقة ...)) [4].

وفسر الطبري قوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**) [5]بجحود المشركين بآيات الله.

1- سورة القلم، آية .1.

2- سورة الإسراء، آية 58 .

3- الطبري،جامع البيان عن تأويل القرآن،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،1954، ج18،ص182.

4-المصدر السابق، ج18،ص182-183.

5-سورة الأنعام، آية 25.

وإنكار حقيقتها [1] " ويتفق الطبري وابن النحاس والزمخشري على أن معنى قوله تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)**[2]

أي الأباطيل والأكاذيب ، وهو قول المقتسمين الذين اقسموا لينفروا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا سألهم [3]. ونورد هنا ما أنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . قالوا: أحاديث الأولين وأباطيلهم. [4]

ومن معانيها إنكار أن يكن ذلك من عند الله ، كما يقول الطبري في تفسير قوله تعالى:(**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)**[5] وقوله تعالى: **(:وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)** [6]

فضلاً عن ذلك كان غرض المشركين أيضاً مرتكزاً على تكذيب ((البعث)) كما جاء في هذه الآيات البينات **(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** [7] **(لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** [8].(**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)**[9].

نلاحظ في جميع هذه الآيات أن لفظة الأساطير قد تختلف في مفهومها ، عما ورد في المعاجم وكتب التفسير،فهي هنا تأتي بمعنى ((الأباطيل)) التي تداولت عن الأقدمين ، أي الروايات التي لا يوثق بها ، والأكاذيب المؤلفة والمكتوبة أو المروية عن الآخرين.

1- الطبري،مصدر سابق،ج7،ص171.

2- سورة النحل،آية24.

3- الطبري،مصدر سابق،ج9،ص231

4- الزمخشري،الكشاف، تحقيق :مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة،القاهرة ،1953، ج2،ص468

5- سورة الأنفال،آية 31.

6- سورة الفرقان، آية 5 .

7- سورة المؤمنون،آية 83 .

8- سورة النمل،آية 68.

9- سورة الأحقاف،آية 17

بقي أن أشير إلى أن الأسطورة وردت في القرآن الكريم بمعنى الخط والكتابة في عدة مواضع.(**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**)وكذلك(**كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**) [1]

1.2.1-موقف القرآن من الأساطير

لقد احتفظت لنا كتب التفاسير والتاريخ والأدب وقصص الأنبياء بأساطير تصف الكون وترتيبه وهيئة الأرض والسماء، وبناء على أن قصة الخلق كانت تكتسب دلالاتها الخاصة من خلال تمايز الروايات بعضها عن بعض،أو ما كان رائجا لدى اليهود والنصارى من أساطير" أهل الكتاب"لا سيما ما اصطلح على تسميته بالإسرائيليات منها،وقد استقى قسم منها لا بأس به من معين أساطير السومريين والبابليين والكنعانيين[2]. لذلك انطلقنا من ثلاث روايات طوال أساسية و جامعة اعتبرناها أساسا في دراستنا لهذا الباب.

أما الرواية الأولى:فهي أسطورة تتردد في المصادر السنية، ونجدها ضمن ثلاثة مجالس من قصص الأنبياء هي:

1-مجلس في صفة خلق الأرض.

2-مجلس في ذكر خلق السماوات.

3-مجلس في قصة آدم عليه الصلاة و السلام.

أما الرواية الثانية:فهي رواية شيعية تنسب إلى علي بن أبي طالب.أوردها المسعودي بنصها بعد رواية سنية منسوبة إلى ابن عباس وتختلف عن الأولى، في جمعها بين خلق الكون وخلق الإنسان وترتيب المخلوقات والغاية التعليمية الواضحة من خلال الانقلاب في السرد في آخرها فإذا هي إلى الخطبة السياسية أعلق وبالدعوة السياسية الدينية ألصق.[3]

أما الرواية الثالثة:يرى "مؤلف كتاب موسوعة أساطير العرب" أنها مؤلفة من الروايتين السنية والشيعية شكلا،مع إغراق واضح في الخيال عند وصف

1-سورة القلم، آية1 .وسورة الإسراء، آية58.

2-فراس السواح،مرجع سابق،ص70.

3- المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج1،دار الأندلس،بيروت،،1965ص31-32.

بما فيه، ولا سيما خلق آدم[1].

3.1-أسطورة خلق الشمس:

لقد احتفظت اللغة العربية في طياتها بأسماء كثيرة درست أو لا تزال تطلق على الشمس، وعند التدقيق فيها ندرك إنها تخرج بها عن الكوكب المعروف، وتسبغ عليها صفات قد يكون من الأهمية بمكان ضبط محاورها الدلالية، والبحث عن أبعادها الرمزية في الإطار الذي كانت نزلت فيه مع اعتبار عامل التطور[2].

فمن معانيها الحرّ واللهيبُ مثل"**ذَكّاء**"و"**حناذ**" أو إلى لونها وشعاعها مثل"**الجَونَاء**" "و"**الضَحَى**"و"**الجَونَة**"و"**الشرَقَ**"و"**الشّرِيق**"**الشرفةْ**"[3].

وإذا بحثنا في دلالة الأسماء السابق نلاحظ أنها تنتظم في مجالين هما:

أ-العالم الطبيعي وهو" عالم النور والأرض والسماء والكواكب"

ب-جنس الإناث؛ لأنها في العربية مؤنثة بينما هي في لغات أخرى مذكرة،وجاءت في اللغة البابلية مذكرة؛ لأن الإله (شمس)عند البابليين مذكّرٌ.

1.3.1-أسطورة الزّهرة: وتتبدّى الزُهرة في مظاهر شتى:

أ-فهي المرأة وما توحي به من معاني الأنوثة والأمومة وما ترمز إليه من خصوبة في عالم الجدب والمحل ولذلك مثلوها بصورة امرأة عارية[4].وهي "الفرس" لما بلغنا من أنهم كانوا يهدون إليها صورة الفرس نذرا،كما هو الشأن عند بعض الشعوب الأخرى، ومن الغريب اقتران عقر الخيل بالشمس، في أسطورة النبي سليمان، والخيل الخضر التي أخرجت له من البحر.وإذن فقد لا يكون تسمية الشمس "بذكاء" والخيل "بالمذكيات"من باب الصدفة.

1- المسعودي، مصدر سابق، ،ص119.

2- عجينة، محمد، مرجع سابق،ص120.

3-ابن منظور، مصدر سابق، ذكاء،مج14، ص289،الضحى، مج9،ص32،الجونة،مج3 ،ص 245،الشرق والشريق،مج8،ص،65والشرفة،مج8 ،ص61 .

4- علي، جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار الملايين،بيروت،1970.،ص55 .

فالمثل: الذي يروى عن حرب داحس والغبراء يقول :**(وجَرْيُ المذُكيّاتِ غِلاَبٌ)**[1] عن علي بن أبي طالب –كرّم الله وجهه–.

وعن علي أيضا:"كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس،وأنها تخاصمت إلى الملكين هاروت وماروت،فراوداها عن نفسها،فأبت إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلمت به يعرج بها إلى السماء.فعلّماها فتكلمت به،فعرجت إلى السماء فمسخت كوكبا[2].

وعن ابن مسعود وابن عباس:"لما كثر بنو آدم وعصوا ربهم،دعت الملائكة عليهم والأرض والسماء والجبال:ربنا ألا تهلكهم!فأوحى الله إلى الملائكة،إنّي لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ونزلتم لفعلتم أيضا.قال:فحدثوا أنفسهم أن لو ابتُلوا اعتصموا،فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم.فاختاروا هاروت وماروت،فهبطا إلى الأرض، وأنزلت الزّهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس،وكان أهل فارس يسمونها "بيذخت"[3].وتختلف هذه الرواية عن سابقتها إذ تتعقد القصة بكثرة الفاعلين فيها وزيادة الأحداث.وجميع ما عثر عليه من الروايات يشترك وإياها في بنيتها مع بعض الفوراق التي ينبغي ألا نستهين بها،بل ينبغي أن نقر حسابها في عملية التحليل والتأويل لأن الروايات جميعها تشكل رواية واحدة، أو نصا جامعا واحداويمكن اختزال الحكاية إلى ستة مقاطع قصصية هي:

1–حوار بين الخالق والملائكة.

2– كثرة خطايا وعصيان بني آدم.

3–المحنةوهي تعرض امرأة لهما وهي الزّهرة.

4–الشروط والموانع:وهي شروط محولة مبدئيا دون ذلك هي نقيض ما أنزلا

1–الميداني،مجمع الأمثال،ج1،ص158. رقم المثل:821. غلاب:مغالبة.المذكيات:الخيل.ويضرب المثل لمن يسبق أقرانه.

2– الطبري،مصدر سابق،ج2،ص429.

3– عبد الحكيم،شوقي، موسوعة الفولكلور وأساطير العالم العربي،دار العودة،بيروت،1982.،ص264.

لاجتنابه أي الشرك والزنا وشرب الخمر وقتل النفس.

5-الأمر باختيار هاروت وماروت والنزول والقبول على ترك الشرك والزنا وشرب الخمر وقتل النفس بغير الحق.

6-نهاية القصة وتشمل ما يلي:

أ- يكون للمرأة ما أرادت.

ب-عدم قدرة الملكين على الصعود إلى السماء.

ج- إقرار الملائكة بعلم الله،وتغيير موقفهم من بني آدم [1].

2.3.1-أساطير خلق الكون:

نقتبس من هذه القصص قصة خلق آدم وحواء.

1 . 4-خلق الإنسان في أساطير أهل السنة:

1 . 4 . 1-خلق آدم:

الأساطير التي تصف خلق آدم كثيرة متعددة ومتنوعة، تطورت في التاريخ شأنها شأن قصص خلق أساطير الكون. تقول القصة الأولى:إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض والأحمر فجاءت الأولاد على ألوان الأرض. والقصة الثانية تقول:"إن الله لما أراد خلق آدم عليه الصلاة السلام، أوحى الله إلى الأرض إني خالق منك خلقا، منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني، فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار.ثم بعث إليه جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من تراب،فلما أتاها ليقبض منها القبضة قالت له الأرض: إني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن تأخذ مني شيئا يكون فيه غدا للنار نصيب. فرجع جبريل عليه السلام إلى ربه، ولم يأخذ منها شيئا.فقبض قبضة من زواياها الأربع، ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها،ولهذا كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح وبهذا المعنى.قال تعالى:**(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)** [2].

1- عجينة، مرجع سابق،ص210-211

2- سورة الروم، آية 22.

ثم صعد بها ملك الموت إلى الله، فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح، ولهذا اختلفت أخلاقهم،ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار، ومن الطين اليابس،ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط إلى السماء، وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى: **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)** [1]. فدخلت دماغه ثم نزلت في عينيه.والقصد من ذلك لابن آدم عدم الزهو والعجب بنفسه. ثم تابعت المسير في خياشيمه ثم تابعت المسير إلى فيه ولسانه فلقنه الله (تعالى) أن قال: الحمد لله رب العالمين، فكان ذلك أول ما جرى على لسانه، فأجابه ربه(عز وجل) فقال:يرحمك ربك يا آدم.وبعدها نزلت الروح إلى صدره وذلك قول الله تعالى: **(وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً)**[2]وقوله :**(خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ)**[3]. ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا، وكساه الله (تعالى) لباسا من ظفر،وجعل يزداد كل يوما حسنا, فلما قارب الذنب بدّل بهذا الجلد وبقيت في أنامله، ليتذكر به أول حاله [4].

سنختار في هذا الباب **قصة"آدم وحياته في الجنة،وخلق حواء"**،وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعلمه ويحفظه،وأوصى الرب الإله آدم قائلا:من جميع شجر الجنة تأكل أكلا،وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها،لأنك يوم تأكل منها تموت موتا،وقال الرب الإله:ليس جيدا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينا نظيره. وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانـــات وكل طيور السماء.فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها،وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها.فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية،وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره، فأخذ الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب

1- سورة الإنسان، آية1.

1-وسورة الإسراء،آية11.

3- سورة الأنبياء،آية37.

4-الثعلبي،مصدر سابق،ص24.

الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم.فقال آدم:هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي،هذه تدعى (امرأة) لأنها من امرئ أخذت،لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته،ويكونان جسدا واحدا،وكانا عريانين:آدم وامرأته وهما لا يخجلان.وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة:أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية:من ثمر شجر الجنة نأكل،وأما ثمر الشجرة في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا.فقالت الحية للمرأة:لن تموتا،بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر.فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر.فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل. فانفتحت أعينها وعلما أنهما عريانان.فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر [1]

أما ابن الأثير فإنه يسوق المشهد بالتعاقب وبالأسلوب الذي نتعرف عليه تحت عنوان:"**ذكر إسكان آدم الجنة،وإخراجه منها**"قال ابن عباس وابن مسعود:فلما أسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فردا ليس له زوج يسكن إليها،فنام نومة واستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ،فسألها فقال:من أنت؟قالت:امرأة.قال:ولم ؟خلقت؟قالت:لتسكن إليّ,فقالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه:ما اسمها قال:حواء، قالوا:ولم سميت حواء؟ قال:لأنها خلقت من حي.

وقال الله : **(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)**[2]

2.4.1-خلق حواء:

لم يتعرض القرآن لخلق حواء، ولم يتحدث عنها مثلما تحدث عن آدم، بل لم يذكر اسمها،ولكن ما نجده في كتب التفسير والعقائد والأساطير عن خلق حواء لا

1- العهد القديم:سفر التكوين:الإصحاح2و3،ص 75.

2-سورة الأعراف،آية19.

يختلف كثيرا عمّا في العهد القديم ،أو في "الأسفار المنحوتة". فحواء قد خلقت من ضلع من ضلوع آدم من شقه الأيسر بعد أن ألقي عليه النعاس[1]ثم ألقى السّنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل العهد القديم، وغيرهم من أهل العلم،ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولمّ مكانها لحما،وآدم عليه السلام نائم لم يهب من نومه،حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء. فسواها امرأة يسكن إليها،فلما كشف عنه السنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه فقال:فيما يزعمون "والله أعلم"لحمي ودمي وزوجتي فسكن إليها[2].

وخلاصة القول بعد استعرا ضنا للمادة الأسطورية في خلق آدم وحواء وفي خلق الماء أو النور القيام بتحليل تلك المواد باعتبارها "جداول أسطورية"ومن خلال التحليل والتأويل يظهر لنا ما يلي:

1-إنها من الأساطير القديمة المتجددة، وهذا ما يفسر الحلقات وارتباطها منذ السومريين والأكاديين مرورا بالعبرانيين والمسلمين الأوائل. كالطبري وابن عباس مرورا بمراحل أخرى متطورة لما ظهر عند القزويني، حيث صاغتها شعوب المنطقة صياغة رمزية لا صياغة واقعية.

2-إنها تعبر عن فكر ديني كلامي إسلامي داخل الأمة،وهي ضد مختلف الملل والنحل التي ضمتها بيضة الإسلام،واختلاف وتباين النصوص حول كيفية الخلق.

3-وتعبر أيضا من خلال خلق آدم واختلافهم فيه أهو نبي أم لا؟عن فكر سياسي مداره النبوة والخلافة وكثرة الصراعات الاجتماعية السياسية المذهبية ولا سيما بين أهل السنة والجماعة وأهل العصمة والعدالة،ولهذا كانت لنا أسطورة الخلق المنسوبة إلى الأمام علي أفضل دليل وأصدق برهان.

4-تعبر عن فكر أسطوري،أي له خصائص الفكر الأسطوري في النظر إلى الذات والموضوع وفي طريقة ربط الأسباب بمسبباتها، الذي كان موجودا قبل ظهور"الدين

1- الطبري،مصدر سابق،ج2،ص52.

2- الثعلبي،مصدر سابق،ص25.

السماوي" وأسهم في أساطير خلق الكون.[1].

وأبلغ ما في هذه الأساطير لغتها الرمزية المعبرة عن إدراك حدسي لضرب من الوحدة المقدسة الجامعة بين مختلف مظاهر الكون فإذا العالم الكبير والعالم الصغير متماثلان،وإن خلق العالم من الماء لا يكاد يختلف عن خلق الإنسان من الماء الدافق،أو من النور كما يولد النهار من الليل كل يوم أو من القلم الأول النموذجي فيقترن بالورقة والشجرة رمزا للعلم والحكمة[2].

1 . 5-الأسطورة في المعاجم اللغوية:

يُقال (سطر تسطيراً ألف علينا أتانا بالأساطير) [3] السَّطْر والسّطَرُ لغتان فصيحتان "[2]. سطر يسطُر إذا كتب من الفعل الثلاثي (سطَر) ، ومن هذا الباب أيضاً ((يقال هو يُسطّر ما لا أَصل له ، أي يؤلف وسطّر يسطِّرُ إذا كتب [3]، ومن معاني السطر أيضا ((الخطّ والكتابة)) [4] وجاء عن بعض اللغويين قولهم: ((السّطرُ هو في الأصل مصدر ، وبابه(نَصَرَ)،وجمع السَّطر : أسطُر وسطور ، كأفلس وفلوس،وسطر أيضاً – بفتحتين ، والجمع أسطار كسبب وأسباب ، وجمع الجمع أساطير، [5]وقال آخرون: ((أساطير جمعُ أسطار جمع سطر، وقيل ((جمع سَطر على أسطُر ، ثم جمع أسطر على أساطير(فالأساطير) الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها، جمع أسطار وأسطير إلى العشرة. ثم أساطير جمع الجمع ، قيل:أساطير جمعُ سَطُر على غير قياس [6] و((أسطر على أساطير [7])).

1- عجينة، مرجع سابق،ص183-184.

2-ابن سيرين،تفسير الأحلام الكبير،،(د.ن:د.م)،(د:ت)،ص387-388.

3- الزمخشري،أساس البلاغة، مادة (سطر)ج1،ص438.

4-ابن منظور، مصدر سابق، **مادة** (سطر)ج1،ص363.

5-الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد):تهذيب اللغة،الأزهري،تحقيق:عبد السلام هارون، الدار القومية للطباعة،القاهرة،1964، مادة (سطر)، ج12،ص326-327.

6- الفيروزآبادي،القاموس المحيط،دار الجيل،بيروت،1979، مادة (سطر)،ج2،ص48.

7- ابن منظور،مصدر سابق، مادة (سطر) ج2، ص 363.

أما واحد الأساطير : فأسطورة ، كما قالوا : أحدوثة وأحاديث [1])) ومـــن المجـــاز المتعلق بالسطر ، يقال : بنى سطراً من بنائه ، وغرس سطراً من ودّيه)) [2] قال ابن مقبل : [3].

لهم ظعَنٌ سُطُرٌ تَخالُ زَهاءَها إذا ما خَزاها الآلُ من ساعةٍ نَخْلا

ومن ذلك أيضاً ((السطر : الصف من الشيء كالكتاب والشجر والنخل وغيره [4]. يقول رؤبة بن العجّاج : [5]

وإني و أسطارٍ سُطِرنَ سَطراً لقائلٌ يا نصرُ نصراً نصرا

تلك كانت اوجه اشتقاق لفظة أسطورة ، وعندما نلج المعاجم مـــرة أخـــرى بحثاً عن مدلولها ، فإننا نطالع ما نصه (سَطّر علينا فلان تسطيراً إذا جاء بأحاديـــث تشبه الباطل) أو (إذا جاء بالأباطيل). [6]

ويقال ((سطر علينا فلان : قص علينا من أساطيرهم)) [7] و((سطر تسطيراً ألّف علينا أتانا بالأساطير [8] ((فالأساطير)) الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها ، جمع أسطار وأسطير إلى العشرة ، ثم أساطير جمع الجمع ، قيل:أساطير جمع سُطُر على غير قياس [9])) ثم يضيف :((ويقال : وورد سطّر فلان على فلان إذا زخرف

1- ابن منظور،مصدر سابق، مادة (سطر) ج1، ص364.

2-المصدر نفسه، مادة (سطر) ج4، ص 356.

3- ابن مقبل ،الديوان، تحقيق: عزة حسن ،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم،دمشق،1962، 128/204 ، وسطر : أي صف واحد ، زهاؤها : شخوصها ، وخزاها الأول: رفعها السحاب

4-الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت ،ج3،ص266

5- رؤبة بن العجّاج ، الديوان، ضمن (مجموع أشعار العرب) اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم ابـــن الـــورد، طبعة ليبزغ، برلين،1903، ص 174

6- ابن فارس،مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة للطباعة، والنشر، بيروت،ط1، 1984،مادة(سطر) ج2،ص460.

7- المصدر نفسه،مادة(سطر)،ج2،ص460.

8- الزمخشري، مصدر سابق،مادة(سطر)،ج1،ص438.

9- الفيروزآبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب،1979القاموس المحيط، دار الجيل،بيروت،،مادة(سطر)،ج2،ص48.

له الأقاويل ، ونمقها وتلك الأقاويل الأساطير والسطر [1])) ورد أيضاً : ((الأسطارُ والأسطارةُ ، والأسطورة ، والإسطير بالهاء في الكل ما يُسطّر: أي يكتب.وتستعمل في الحديث لا نظام له والحكايات [2]

ولدى متابعتي لهذه اللفظة في دائرة معارف القرن العشرين ، وجدنا من يذهب على أن كلمة ((الأسطورة))هي ما يعبر عنه الأوروبيون ب((الميثولوجيا)) [3] ، وهذا خلط بين مايعرف بـ ((علم الأساطير)) الذي يقابله في المصطلح الأجنبي ((**Mythology**)) المتكون من مقطعتين **Mytho** و **Logy** ، أو مجموعة الأساطير بخاصة المتصلة بالآلهة ، وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين عند شعب ما ، وكلمة **Myth** الإنجليزية التي تعني أسطورة أو خرافة [4]. مأخوذة من الأصل اليوناني ((**Mythos**)) وهي نفسها(**Myth**) والمعنى الشيء المنطوق والعلاقة بين هاتين الكلمتين وكلمة ((**Mouth**))**:**أي فم واضحة.[5]وهذا يفسر لنا دواعي تعريف "رولان بارت" للأسطورة بأنها كلمة [6] .

وفي لسان العرب، وردت بمعنى الأوهام والأباطيل ((والأساطير :الأباطيل. والأساطير : أحاديث لا نظام لها)) . وقال : يقال سطَّر فلان على فلان :إذا زخرف له الأقاويل ونمقها" [7] ويقول نورثورب فراي : ((والأسطورة عبارة عن مجهود بسيط وبدائي يقوم به الخيال لتوحيد العالمين البشري وغير البشري" [8] .

1- الجوهري،مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت،(د:ت)،مادة(سطر)،ج3،ص266.

2-المصدر نفسه،(سطر)،ج3،ص266-267.

3- وجدي،محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين ، نسخة مصورة،دار الفكر،بيروت، (د.ت) مادة(سطر)،ج5،ص127.

4- البعلبكي،منير، المورد، (قاموس إنجليزي-عربي)،دار العلم للملايين، بيروت، 1994 ص602،معنى **Mythology** .

5- زكي،مرجع سابق،ص56-57.

6-الزبيدي،مصدر سابق،مادة(سطر)،ج3،ص 266.

7-ابن منظور،مصدر سابق، مادة(سطر) ج4، ص 367.

8- بارت، رولان، الأسطورة اليوم،ترجمة: حسن العزفي، الموسوعة الصغيرة،ع245،مطابع الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1992،ص 5.

ويرى" أيريك فروم " أن الأساطير تعدُ جزءاً من الدين. [1]

ويرى حسين الحاج حسن، أنّ الأسطورة على الغالب الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات حتى الخرافات أحياناً ، وتفيد أيضاً الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها ، حتى أنها تشبه الكلام الباطل ، وهي تتناول مختلف النشاطات الاجتماعية من أدبية وحربية وصناعية ودينية . [2] وقد وردت الأسطورة في اللغة الفرنسية بمعنى الحادث (**Histoire**)وفي اللغة الإنجليزية بمعنى التاريخ **Historic)**) .

وقال الزبيدي في تاج العروس: يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف.وفي حديث الحسين سأله الأشعث عن شيء من القرآن فقاله له : والله إنك ما تسطر علي بشيء أي ما تروّج .ويقال سطر فلان على فلان إذا زخرف له ا؟لأقاويل ونمقها[3].

ويرى (ميخائيل سعود) أنّ الأسطورة تفيد معنى الإخبار والسرد والحكاية والقصّة والخرافة وتكون غنية بالأخيلة والإضافات والأحداث ، وترد دائماً مضافة إلى ((الأوّلين)) ؛ وفي هذا دلالة على قدمها وعلى أخبارها الملفّقة .[4]

وورد في دائرة المعارف(للبستاني) [5] أن "الخوري ميخائيل غبرائيل" هو أول من استعمل لفظة أسطورة [6]. للتعبير عن مضمون الميثولوجيك (**Mythologies**) بمعنى الحكايات القديمة .

والأسطورة في أصلها اللغوي تعني الخط والكتابة بشكلهما المنظم الذي يتألف من سطور متتابعة، وهذا واضح في معجم كالعين إذ يقول :(السطر: الصف

1- أيريل،فروم، اللغة المنسية،دراسة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير،ترجمة:محمود منقذ الهاشمي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1991،ص30.

2- حسن، حسين الحاج،الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع،بيروت،1998، ص18.

3-الزبيدي،مصدر سابق،مادة(سطر)،ج3،ص 266.

4-سعود،ميخائيل، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام،دار العلم للملايين،بيروت،1994،ص15.

5- البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف، م 13، (د.م)، بيروت، 1980 مارس، ص75.

6- المصدر السابق،ص70.

من كتب ومن شجر مغروس ونحوه ، والسطر : الخط والكتابة ، والطرّس : الكتاب يحمى ثم يعاد فيه) [1].

وترى "بشرى الخطيب"أننا إذا ربطنا معنى الخط والكتابة بالأساطير يصبح لدينا معنى متكامل.[2].

فالأسطورة إذن قصة مؤلفة فيها من التنسيق والتلوين والجهد الفكري والخيالي ما يدعو إلى التأني في روايتها ونقلها إلى الآخرين بوصفها تضم أباطيل وأكاذيب وبعداً عن الواقع فهي أذن عملية خلقٍ وإبداع ، ويتوسع حجم الأسطورة مع الزمن؛ لأن كل من يحكيها يضيف إليها ما شاء من خياله ومبالغاته ، وبهذا تصبح قصصاً شعبية إنسانية تتمثل في الشعوب الساذجة في بداية تقدمها الإنساني والحضاري ، فهي إذن (قصص شعبي يعبر عن تجارب الإنسانية البدائية، وتهتم بالحديث عن موقف الإنسان من قوى الطبيعة ومن الآلهة الخيالية كما تخيلها القدماء وموقفه من الكائنات الواقعية، والأسطورة تشرح بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة وتأتي في ذلك السبيل بكل ما هو عجيبٌ وغريب) [3].

(ويرى بهجت عبد الغفور الحديثي، أنّ الأسطورة لم تزد على أن تكون روايات خرافية تطورت من أجل تفسير طبيعة الكون ومصير الإنسان و أصول العادات والعقائد والأعمال الجارية في أيامهم وكذلك أسماء الأماكن المقدسة والأفراد البارزين وهي ذخائر مهمة.)

6.1-آلهة العرب(الصنم، الوثن ،النصب):

الصنم:هو كل ما اتخذ من دون الله آلها.هذا تعريف عام نأخذه من كتب التفسير والمعاجم وغيرها،وقد ندر ذكر هذه اللفظة في الشعر الجاهلي،ويصعب التحقيق في أسباب ذلك لما نقرؤه

1- الزبيدي،،مصدر سابق، (سطر)، ج3،ص266.

2- الخطيب،بشرى محمد ،القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1990،ص 260.

3- محمود، علي عبد الحليم، القصة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف،القاهرة،1975، ص18-19.

من تعظيم العرب للأصنام،وانتشارها بين القبائل.وروي:لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه،[1] ووردت كلمة "صنم"في القرآن الكريم على صيغة الجمع في خمس آيات: واحدة في الحديث عن قوم موسى حينما أتوا على قوم يعكفون على أصنام. والأربع في الأحاديث عن إبراهيم وأبيه وقومه قال تعالى: **(فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)**[2] **وقوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ)**[3] **وقال تعالى:(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)**[4] **وقوله:(وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ).**[5]**وقوله :(قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ)** [6]

فالصنم:هو ما كان معمولا من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان.وقال بعضهم: إذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب،وإن كان تمثالا سمي صنما ووثنا[7]. وكثيرا ما خلطوا بين تعريف الوثن والصنم،وإن قيل إن الوثن هو الصنم الصغير.وفي "تاج العروس"سمي وثنا لانتصابه وثباته على حالة واحدة من وثن بالمكان،أقام به فهو واثن [8]. وقال ابن الأثير:الفرق بين الوثن والصنم إن الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد،والصنم الصورة بلا جثة.[9].

"ووثن" وردت في القرآن الكريم على صيغة الجمع كقوله تعالى:**(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)**[10]

وقال تعالى**(إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** [11]

1- الحوت،مرجع سابق،ص36.

2- سورة الأعراف،آية 138.

3- وسورة إبراهيم، آية35.

4- سورة الأنعام،آية74.

5-وسورة الأنبياء،آية 57.

6-سورة الشعراء،آية71.

7-ابن منظور،مصدر سابق،مادة(وثن)ج8،ص358.

8- المصدر السابق، مادة(وثن)ج15،ص333.

9- الزبيدي،مصدر سابق، مادة(وثن)ج8،ص371.

10- سورة الحج ،آية30.

11 - سورة العنكبوت،آية17.

وقال تعالى: **(وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ)**[1].

والظاهر إن معناها في هذه الآيات هو المعنى نفسه الذي تعطينا إياه كلمة الأصنام في الآيات السابقة.وقال الفراء:كأن النصب هي الآلهة التي تعبد من أحجار. وفي كتاب الأصنام:" ومن لم يقدر على صنم،ولا على بناء بيت،نصب حجرا أمام الحرم،أو أمام غيره مما استحسن،ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب" [2]

7.1-الأسطورة في الشعر

أقدم نص بين أيدينا هو للشاعر المخضرم (عبد الله بن الزبعرى) في قوله:[3]

إلهي قُصيّا عن المجد الأساطير ورُشوَةٌ مثل ما ترشَى السّفاسيرُ

وأكلها اللّحم بحتاً لا خليطَ لهُ وقولُها رحلتْ عيرٌ أتَتْ عِيرُ

وقد استشهد به ابن سلام الجمحي ، في معرض سرده واقعة يلخصها قوله:" وأصبح الناس يوماً بمكة ، وعلى دار الندوة مكتوب :(البيتان السابقان) فأنكر الناس ذلك ، وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى،واجمع على ذلك رأيهم ، فمشوا إلى بني سهم ، وكان مما تنكره قريش وتعاقب عليه ، أن يهجو بعضها بعضاً ، فقالوا لبني سهم : ادفعوه إلينا نحكم فيه بحكمنا " [4]

8.1-نشأة الأساطير:

كان لطائفة من الباحثين فضل في استقصاء النظريات المتعلقة بنشأة الأسطورة، وتسمية المدارس التي تنتمي إليها ، مما كفانا مشقة البحث في هذا الجانب وإيجاز مضمون تلك النظريات بوجه عام اعتماداً على دراسات تلك الطائفة التي تكاد كلمتها تتفق على وجود أربع مدارس رئيسية اهتمت بنشأة الأسطورة وهي:

1.8.1- المدرسة التاريخية :

إذ ترى أن الأساطير التي وصلت إلينا ليست في أصولها إلا تاريخ البشرية الأولى ، نُسيت

1- سورة العنكبوت، آية25 .

2- ابن الكلبي(أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب) كتاب الأصنام،تحقيق:محمد عبد القادر أحمد وزميله،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،(د:ت)، ص48.

3- ابن الزبعرى،عبد الله،الدبوان، تحقيق :يحيى الجبوري،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط2، 1981،ق11،ص37 .

4-ابن سلام الجمحي،طبقات فحول الشعراء ،تحقيق:محمود شاكر،مطبعة المدني،القاهرة،1952،ص30.

ملامحه الدقيقة وأضفى الخيال الإنساني عليه جواً فضفاضاً ، وتاريخ الآلهة ما هو إلا تاريخ لعصر الأبطال ، حين كان الإنسان يعجب بالقوة والجبروت . ويتطور هذا الإعجاب عند الأجيال إلى نزعة من التقديس تتلاشى معها الحدود الفاصلة بين حقائق الواقع الإنساني وخفايا الوجود الغيبي ، فتصل إلى حد عبادة الآباء ، ثم تصل إلى تناسي هذه الأبوة ودخولها في مرحلة التأليه ، وهو رأي يفسر نشأة الأساطير على أساس مرتبط بالتاريخ المحلي للشعوب ، بوصفه تعبيراً رمزياً عن الأبنية الاجتماعية والحضارية المعبرة عن الفكر الجماعي ، وبالأساليب البدائية القديمة ، ومن أبرز أصحاب هذا التوجه مالينوفسكي [1].

1.8.2 - المدرسة الطبيعية:

ترجع هذه المدرسة كل الأساطير إلى منشأ طبيعي ، يتصل بالظواهر الكونية، مثل المطر والزرع والبرق وغيرها. وقد ربط الإنسان القديم كل هذه الظواهر بقوى غيبية بعيدة تسيطر عليها، وتتحكم فيها وتتصارع فيما بينها ، بحيث ينتهي الصراع بخلق حالة من التوازن بين الخير والشر، متوخياً من ذلك كله السيطرة على قوى الطبيعة بالأساليب العلمية والمتمثلة بالطقوس والترانيم، وغيرهما لتحقيق أهداف علمية ونفعية محددة وكان(جيمس فريز وأندرولانج) من دعاة هذا الرأي [2] .

1.8.3 - المدرسة التعبيرية:

خالفت هذه المدرسة آراء من ربط نشأة الأسطورة بالظواهر الكونية ، وأنكرت أن يكون الإنسان البدائي قد انشغل بالكون ونظامه إلى حد التأمل والتعجب والتساؤل ، وترى أن أي تعبير عن نظام الكون ، وعن المبادئ الأساسية للنظام الأخلاقي في الحياة يتطلب استخدام لغة واصطلاحات تجريدية.

أما (ماكس مولر) فيؤكد هذا المعنى بقوله: (إن الأسطورة إنما نشأت نتيجة

1- إبراهيم،نبيلة،الأسطورة،الموسوعة الصغيرة،منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،1976،ع54،ص 16-17.

2- يونس،عبد الحميد،الحكاية الشعبية،مطابع دار الشؤون الثقافية،بغداد،(د:ت)، ص 18-19.

وعيب في اللغة مما أدى إلى أن يكون للشيء الواحد أسماء متعددة ، كما أن الاسم الواحد كثيراً ما يطلق على أشياء مختلفة ، وكان من نتيجة ذلك أن خلط الناس بين الأسماء ، ومالوا إلى الاعتقاد بان الآلهة المتعددة ليست إلا تصورات مختلفة لإله واحد ، وجنحوا كذلك إلى تصور الإله الواحد على هيئات متعددة [1].

4.8.1 - المدرسة النفسية:

ترى مدرسة التحليل النفسي أن الأسطورة صنو الحلم ، إذ يمكن أن تكون بمثابة أعراض تدل على وجود حقائق أخرى ، فتبدو رموزاً لظواهر نفسية لاشعورية ، تمثل قوى تتحكم في مسيرة الفرد ، وسلوكه الاجتماعي ، في إشارتها إلى حاجات حيوية تكمن فيما سماه (مزوير) بـ ((عقدة أوديب)) ، وفيما جعله ((يونج)) لقاء ثقافياً نفسياً على صعيد اللاوعي الجمعي ، ويوافق ((أريك فروم)) رأي "فرويد" في العلاقة بين الأسطورة والحلم ، ولكنه يخالفه في النظر إليها في كونها نتاج العقل اللاشعوري ، إذ يرى أن العقل في حالة الحلم إنما يفكر ويعمل ، هي لغة الرمز،وما علينا إلا أن نفهم تلك اللغة لينفتح أمامنا عالم مملوء بمعان [2].

9.1-أنواع الأساطير وتقسيماتها

هناك من يقسّم الأساطير إلى ثلاثة أقسام :

1-**الأساطير المتسائلة:**عن أصل بعض الكائنات أو الفئات من الكائنات في الكون ، من آلهة ونبات أو بشر .

2- **أساطير التنظيم** : التي تبحث عن كيفية نشوء بعض أنظمة الدنيا أو تبلور بعض تقاطيعها ، وكيف حصل هذا الإله أو ذاك على منصبه .

3- **أساطير التقسيم** :وهي التي تدورحول حق هذا الإله وذاك في ملء منصبه في دولة الدنيا[3]

1- كريمر مرجع سابق،8-10.

2- عياد،مرجع سابق،ص38-40.

3- هنري، فرانكفورت، وآخرون،ما قبل الفلسفة،ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1974،ص 177-178.

بينما نطالع رأياً آخر يفصح عن كون أساطير العالم القديم ((تتألف من قصص الأرباب والأبطال من حيث مولدهم وموتهم وحبهم وبغضهم ، وهناك غير قليل من الأساطير القديمة مما يتعلق بالخلق ونظام الكون وشكل الإنسان وإقامة الحضارة [1].

ويرى "كرم البستاني، أن الأسطورة نوعان : بشرية ومؤلهة . فالبشرية: حكاية محدد مكانها ، معينة أشخاصها ، وتشتمل على تقاليد الشعب الذي استنبطها وتداولها واعتقاداته. والمؤلهة: ترتبط بما وراء الطبيعة ارتباطاً تفسره العلاقات المتبادلة بين المؤلهين والبشر ، ولكن الدور الأسمى لأولئك الآلهة ، فإليهم مرجع كل شيء وبيدهم مدار كُلّ أمر [2].

ونجد شبه اتفاق عند "الدكتورة نبيلة إبراهيم والدكتور أحمد كمال زكي" في تحديد أنواع الأساطير ، فقد ذهبت الدكتورة نبيلة إلى إيراد خمسة أنواع من الأساطير التي صاحبت التطور الحضاري للإنسان ، وهي الكونية [3] والتعليلية [4] والحضارية [5] والبطل المؤله [6] والرمزية [7].أما الأنواع التي يراها "الدكتور أحمد كمال زكي" فهي الطقوسية والتعليلية والرمزية .و الأنواع نفسها قد أرتآها "الدكتور إبراهيم عبد الرحمن" أيضاً [8]

ما تقدم يمثل رأي المتخصصين في تحديد أنواع الأساطير وأشكالها ، دون

1- هنري،مرجع سابق،ص 7-10.

2- البستاني،كرم،أساطير شرقية،دار المكسوف،بيروت،ط1، 1944، ص6.

3- إبراهيم،مرجع سابق، ص 27-34 . (انظر في شكل حكاية: والمقصود بها : إن الإنسان القديم شغلته الظواهر الكونية ، فخلع عليها إحساسه وشعوره).

4- إبراهيم،مرجع سابق،ص36-34.انظر: (وهي وليدة التأمل الموضوعي في ظاهرة تبدو غريبة وتحتاج إلى تعليل).

5- المرجع نفسه،ص37-59.انظر:(تلك التي تكشف عن صراع الإنسان مع الحياة ، لإصراره على الانتقال من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية)

6- المرجع نفسه،ص34-37.انظر: تمثل إصرار الإنسان على أن ينتزع من الآلهة شيئاً تختص به .

7- المرجع نفسه،ص65-70.انظر: وهي التي تحمل دلالات عميقة في عصور تطور فيها الفكر البشري إلى حد أن نتاجه اصبح يكشف عن اعتداد الإنسان بنفسه .

8- عبد الرحمن، إبراهيم محمد، الشعر الجاهلي- قضاياه الفنية والموضوعية-،مرجع سابق،ص 62-64 .

نسبتها إلى أمة من الأمم ، ولكننا لا نعدم طائفة من الباحثين عمدت إلى تبيان أنواع الأساطير العربية حصراً منهم "محمود سليم الحوت " الذي قسم الأساطير العربيـــة تقسيماً تاريخياً يتوزع على مرحلتين هما:

1-أساطير العرب البائدة..وتشمل قبائل،عاد،وثمود،وطسم وجديس وجرهم والعماليق.

2- أساطير العرب العاربة.وتشمل، سبأ وحمير ومعين. [1].

أما (مصطفى الجوزو) فيقسم الأساطير إلى تسعة أقـــسام هـــي : نـــشوئية وكونية وأخروية ولاهوية والنبوة والكهانة وخلقية وحربية وأساطير الحب وأساطير الغناء وآخرها أساطير الأولياء [2].

1.9.1-علاقة الأسطورة بالخرافة :

كلمة خرافة لا شك في صلتها بكلمة أسطورة بل إنها لتستوي فيها أو تكـــاد ، ولم ترد لفظة خرافة في القران الكريم ، وتعرّف في معاجم اللغة بأنها: ((الحـــديث المستملح من الكذب)) ، كما أنها تطلق على ((ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كُلّ ما يُستملح ويتُعجب منه)) [3].

وكلمة الخرافة مشتقة من مادة خرف ((خ ر ف)) ومن معانيها فساد العقل من الكبر . أما ((خُرافة)) غُفلاً من التعريف ، فاسم علم ، وقد ورد في ســـياقات عديدة منها ((حديث خرافة)) ويقال: ((إنه رجل من بني مرة أو بني عذرة أو من جهينة اختطفته الجنّ ثم رجع إلى قومه فكان يحدّث بأحاديث مما رأى يعجب منهـــا الناس فكذّبوه فجرى على ألسنة الناس)).

ومنها البيت المنسوب إلى ديك الجن والذي يعزوه بعضهم إلى ابن الزبعري[4]:

حَياةٌ ثمْ مّوتٌ ثمْ نَشرُ حديثُ خُرافةٍ يا أمّ عَمرو

1- الحوت، مرجع سابق، ص171-182.

2- الجوزو،مرجع سابق، ص 59-82.

3-ابن منظور،مصدر سابق،مادة (خرف)ج1،.ص62.

4-الجاحظ،كتاب الحيوان،دار الكتاب العربي،القاهرة،1906، ج1، ص،194 وج2 ص197.

ومهما يكن من أمر فللخرافة أيضاً صلة بالسحر إذ عرفوا الأسماء بأنها ((الخرافات الموضوعة من حديث الليل)) [1].

فالأساطير في نظر أصحابها الذين ابتدعوها عين الحقيقة . أما في نظر سواهم فلا تؤخذ أخذ الجد بل هي عين الوهم والباطل والمحال. أما الخرافة، فتتميز عن الأساطير بأن أسلوبها ليس محل اعتقاد من أي كان، لا من الذي يقصها ويرويها ولا من الذي ينصت إليها ، ولكن هل هذا هو الحد الفاصل بين الأسطورة والخرافة ؟ أليس بعض الخرافات كفّ أصحابها عن الإيمان بها؟ وبالتالي تكون بين الأسطورة والخرافة علاقة نشوئية، إذا ما نظرنا إليهما في مجرى الزمان وفي سياق التطور التاريخي . الصحيح إن في استعمالات العرب تطابقاً يكاد يكون تاماً بين أسطورة وخرافة باستثناء نوع مخصوص بعينه هو الخرافات التي على ألسنة الحيوان، وورد عن "ابن النديم" أن الخرافة هيمخصوص بعينه هو الخرافات التي على ألسنة الحيوان، وورد عن "ابن النديم" أن الخرافة هي نوع من قصص الحيوان والطير والبهائم والناس بقصد الموعظة مع الإيجاز ، وهو ما يطلق عليه بالإنجليزية والفرنسية Fables [2].

يتبين لنا من مجمل هذه الآراء ، ذلك الالتحام القائم بين الأسطورة والخرافة لا سيما في حكاية الحيوان ، وقد كان سبباً رئيسياً في أن يخلط بعض الباحثين المعاصرين بين المفهومين في عدهم الخرافة لوناً من ألوان الأساطير، أو بقايا منها. واعتقادهم بأن الآلهة التي تظهر في الأساطير عادة تتحول في الحكايات الخرافية إلى مجموعة من الكيانات الأرضية الخارقة [3].

بيد أننا لا نعدم من أقر الفصل بينهما،جاعلاً (الاعتقاد) هو الحد الذي يميز من الخرافة ، على أساس أن (الأسطورة موضوع اعتقاد) [4].

1- حميد، عبد الرزاق، شياطين الشعراء،مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر،القاهرة،1956،ص 49 .

2- زكي،مرجع سابق،ص 62.

3- خليل،خليل أحمد مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1973.ص8.

4- إبراهيم،مرجع سابق،ص 8.

والخرافة خلاف ذلك ، وهذا ما نميل إليه ، ونقـر بخـصوصية مـصطلح الأسطورة ، مؤكدين حتمية أن يكون لهذا الاعتقاد استمرار لا بوصفه خاطراً طارئاً ، أو فكرة عابرة ، أو تفسيراً عارضاً لظاهرة عرضية، بل أن تكون له وظيفة أيضاً في حياة من يؤمنون به،في مواجهة بعض الأخطار والمشكلات . وهناك من اتخـذ غاية (البطل)في كلا المفهومين(الأسطورة و الخرافة) بينهما،البطل الخرافي) [1].

وإن كان هذا الرأي لا يفصح عن جوهر هذا الاختلاف لكننا مع الرأي القائل : (إنّ البطل الأسطوري هو تمثيل لوجدان الجماعة يعبر عن وظيفة أكثر ممـا يعبـر عن شخصية،وهو بطل شعائري لا شأن له بأبطال التاريخ ، لأن الطقوس القديمـة لا تميز الفرد عن الجماعة [2]. وهذا ما يفسر لنا سبب (أن الخرافة لا تعتمـد الحـدث أساساً لها ، إنما تعتمد البطل ، وهي تختار من الأحداث مـا يلقـى الـضوء علـى شخصيته،مع أن كلا البطلين قد يكون إلهاً أو نصف إله – في مراحـل الأسـاطير الأولى أو أنساناً بعد ذلك يمتلك المقدرة على الالتحام بقوى العالم الغيبي[3].

الفصل الثاني

الأسطورة في التراث الجاهلي

قبل الحديث عن بقايا الأساطير في ثنايا الأدب الجاهلي نلّم إلماماً سريعاً بتاريخ القبائل العربية القديمة التي توارث حضارتها وأساطيرها وآلهتها ومعتقداتها عرب الجاهلية الثانية.إذ يقسّم المؤخورن العرب العربَ إلى قبائل العرب البائدة، وتضم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم والعمالقة[4].والعربَ العاربة ،وكانوا

1- عياد،مرجع سابق، ص87-88.

2- زكي،مرجع سابق،ص 63.

3- إبراهيم،مرجع سابق،ص 8-9 .

4- ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب،تحقيـق:عبـد الـسلام هـارون،دار المعارف،القاهرة،1962،ص8.

يقيمون في الجهات الجنوبية من الجزيرة العربية، دولة (سبأ وحميرومعين)والمصادر العربية تنسب هذه الطبقة إلى قحطان،وأشهر ولده يعرب أو الناطقون بالعربية،ثم إلى العرب المستعربة،وهم ينسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ومن أحفاد إسماعيل عدنان الذي تنسب إليه هذه الطبقة،التي عرفت بالعدنانية[1].

وقد توزعت قبائل العرب البائدة منذ القدم في أرجاء الجزيرة العربية ،وقد ذكر القرآن الكريم بعضا منها، يقول تعالى:(**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ**) وقوله تعالى:

(وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) و"قبيلة عاد بالأحقاف حيث يقول: (**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ**)[2]

وهكذا كان العرب على علم تام بالمخلفات الثقافية التي كانت سائدة في هذه العصور السحيقة؛ فقد دلّت دراسات المستشرقين على أن ما سجّلته النقوش والمعابد القديمة ينم على حياة خصبة استقطبت أساطيرهم وحكاياتهم الخرافية،إلا أن هذه الأساطير ظهرت باهتة عقب ظهور الإسلام في الجزيرة العربية؛وذلك إنّ الدين الجديد دفع حامليه إلى نقضها وإهمالها لوثنيتها ومخالفتها لروح الإسلام والتقاليد الجديدة[3].

والأمر لا يحتاج إلى عناء لنقول بورود لفظة أسطورة في القرآن الريم في مرات عديدة منها قوله: (**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**) [4]. من أصحاب الملكات الخلاقة التي تعتمد على الخيال الواسع،مع أن مراجعة عاجلة في كتاب النقائض تبين أنهم لم ينقصهم شيء مما حفلت به أساطير الإغريق،وما أشبه"المينوطور"وهو الحيوان الخرافي الذي كان نصفه الأسفل نصف عجل ونصفه

1- القلقشندي،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق:إبراهيم الأبياري،(د:م) القاهرة،1959،ص353.

2-سورة إبراهيم،آية 9،وسورة الفرقان،آية38،وسورة الأحقاف،آية21.

3- الشورى،مصطفى عبد الشافي، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري،مكتبة لبنان،بيروت1966،ص66.

4-سورة الفرقان،آية5.

الأعلى رجل،وله أنياب الأسد،وقد قتله(ثيسيوس)بالغول التي طالما عرضت في أشعار شجعان العرب،وهم يقطعون الصحراء[1].

1.2-عصر الأسطورة:

وإذا كان عالم الأسطورة قد مرّ بثلاثة عصور مختلفة هي "عصر الآلهة وعصر الأبطال وعصر الإنسان"فإننا يجب أن نفتش في العصرين الأولين عن الأصل الصحيح للشعر؛ذلك أن الإنسانية لم تستطع [2]. لهذا نلاحظ ثمة اندماج كامل بين الفن والأسطورة منذ كانت الحياة،وهو اندماج قائم على قاعدة روحية كانت تمد البدائي عن طريق الشكل الأحدث بقوة وجدانية فكرية تفوق ما في تجربته الواعية،يقول أحمد كمال زكي:"وبقدر ما تدل عليه تصاوير مغارات العصر الحجري فتدل الأساطير الأولى أن لهذه التصاوير معنى سحريا،فالرجل البدائي "[3].

2.2- أساطير الإنسان والطبيعة الصامتة

1.2.2-القوى الخفية: عالم الجن.

إننا نعنى بالكائنات الغيبية أو القوى الخفية"عالم الجن"حيث رأى علماء العربية أن المعنى الأصلي هو الاستتار،وذلك لعدم إمكانية رؤية ذلك العالم فأطلقوا علية كلمة الجن بعد أن كانوا عُمارا للأرض ومستخلفين فيها.[4]

ونطالع في بعض الدراسات أن الاعتقاد بالجن قديم جدا...وتكاد الميثولوجيا العالمية لا تخلو من هذا الاعتقاد...منذ أن خشي الإنسان خوافي الطبيعة والأرواح المحتجبة..... وهي تختلف بالأسماء والأفعال بحسب عقلية الشعب وما ورثه من

1- زكي، مرجع سابق،ص78.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة،ط4، ج1،1979، ص215-245.

3-المصدر نفسه،ص923.

4- الجوزو،مرجع سابق،ص216-217.

معتقدات ومؤثرات وقصص.[1]

والخرافة كما يرى(عبد الرزاق حميد)"هي هذا النوع من قصص الحيوان والطير والبهائم والناس بقصد الموعظة مع الإيجاز...وهو ما يطلق علية بالإنجليزية والفرنسيةFables ويقول أيضا:إن القصص الأسطورية من أقدم الفنون الأدبية،وأحبها إلى الناس وأكثرها شيوعا"ويتبع قوله أيضا:"إلا أن لسجعهم"لغة خاصة متسمة بالغموض واحتمال التأويل ليسلم الكاهن من اللوم إذا أخطأ الناس في التأويل أو كذبت الحوادث والأيام ما يفهم من ملك الكهانات"[2].

ويعرفُ بعض القدامى الجن: أنها أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة. وصورة الجن عند العربي لم تكن متحددة بهيئة واحدة فمنها ما يكون على شكل :الغول والسعلاة" أو صورة"الحية أو الناقة"وقولهم: (إن الجن يركب كل وحش من البهائم والطيور والأرانب)كما نسبوا كل شيء فائق وعبقري للجن،والعبقري مكانا تسكنه الجن [3].

وفي هذا المعنى يقول الشاعر"زهير بن أبى سلمى"[4]:

إذا فَزِعُوا طَارُوا إلى مُستَغِيثِهم طِوالَ الرّماحِ لا قصارٌ ولا عُزْلُ

بِخَيلٍ عَليها جِنّةٌ عَبقَرِيّةٌ جَدِيرُونَ يَوماً أن يَنالُوا ويَستَعلُوا

ويبدو أن الجاحظ والمسعودى قد وضعا مثل هذا التساؤل نصب عينيهما،وقد أعادا أسباب ظهور تصور هذه الكائنات الغيبية[5].

1-الأصمعي،اشتقاق الأسماء، تحقيق:رمضان عبد التواب، صلاح الدين هادي،المطبعة العربية الحديثة،القاهرة،1980،ص102.

2- حميد،مرجع سابق،ص49،47،وص83-84

3- الحوفي،أحمد محمد، الحياة العربية في الشعر الجاهلي،دار القلم،بيروت،ط4،ص475.

4- ثعلب،أبو العباس،شرح شعر زهير بن أبى سلمى،تحقيق،فخر الدين قباوة،دار الفكر العربي، بيروت،1981،ص87.

5-الجاحظ،مصدر سابق،ج6،ص171.

أما ابن خلدون فله رأي آخر،وإن كان قد خص به طائفة الكهان،وخلاصته: إن الكهانة من خواص النفس الإنسانية التي لها استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها لكون المخيلة فيهم غاية القوة،متشبثة بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة،كالأجسام الشفافة،وعظام الحيوانات وسجع الكلام،وما سنح من طير أو حيوان،فيستديم ذلك الإحساس أو التخيل،مستعينا به في ذلك الانسلاخ"[1].

2.2.2- الشخصيات الإنسانية: الإنسان.

إن الإنسان أسمى المخلوقات في هذا الكون العجيب الرحيب منذ ظهوره على صفحة التاريخ،لكونه يمتلك الكثير من الصفات التي خُص بها دون سائر المخلوقات الأخرى وقد قدّر العلماء عمر الإنسان بمليونين إلى ثلاثة ملايين سنة[2].

مر خلالها بمراحل وأطوار متباينة حتى صار ذا قدرة على الالتحام بقوى غيبية تمده بأسباب السيطرة على القوى المنظورة من حيوان ونبات، أو تلهمه بفنون من القول ما يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها.فالجذور هي العالم الروحي وهي جميعها في امتزاج غامض محبب مع الإنسان[3].

ومن منطلق هذا التصور غدا الإنسان في بعض ما أوتي من بركات الآلهة من الشخصيات الأسطورية عند العرب، وهو غالبا ما يتميز في الأساطير بالقدرات العجيبة، وهي قدرات نظر إليها غالبية المجتمع العربي نظرة تمازجها الرهبة والرغبة،والتعظيم والتقديس،والتودد والطاعة[4].

وإذ نطمئن إلى هذه المعطيات،فما علينا إلا أن نواجه تلك الشخصيات ذات الملامح الأسطورية في عصر ما قبل الإسلام ، لنكتشف من خلالها عن موروث

1- ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر ،تحقيق:حجر عاصي،منشورات دار الهلال للطباعة والنشر،بيروت،1983،ص72.

2-الطبري،جامع البيان عن تأويل القرآن، مصدر سابق،ج7،ص171.

3- ابن خلدون،مصدر سابق،ص72.

4- الأحمد،سامي سعيد، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان،مطبعة الجامعة،بغداد،1970،ص54.

العالم الغيبي وأساطيرها الموغلة في القدم،وحسبنا أن يكون الساحر والشاعر في مقدمة تلك الشخصيات على أساس أن العالم مرّ أولا بمرحلة السحر ثم الدين ثم العلم[1].

3.2.2-الأوثان والأصنام:

نلاحظ أن عبادة الأصنام كانت من أهم الرموز المعبرة عن عبادة الأجرام،من حيث إنها لم تكن مجرد أجرام، [2].معنى ذلك أن أشكال العبادة كانت تتردد بين التجريد والتجسيم في آن واحد، وذلك ينطبق مع رأى "المسعودي" الذي ساقه في معرض إشارته إلى تحول بعض الأمم من عبادة الكواكب إلى الأصنام،إذ يقول:إن كل ما في هذا العالم إنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب، عن أمر الله ،فعظموا وقربوا لها القرابين، فمكثوا على ذلك دهرا، فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار، أو في بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها وأشكالها[3].

وبذلك يغدو الصنم نائبا عن الإله كلما خاطب المتعبد التمثال،أو يكون هو الإله في المعبد أو الهيكل أو البيت،ونظير ذلك نجدها عند غالبية العرب التي توزعت آلهتها بين الكواكب السماوية،ومظاهر الطبيعة، والأصنام التي"كانت عبادتها منتشرة،وقد صوروها أو نحتوها رمزا لآلهتهم،وقد يرون في بعض الأحجار والأشجار والآبار ما يرمز إليها،[4]وهنالك جملة مؤشرات تفصح عن آلهة السماء بآلهة الأرض"منها"أن أصل ثالوث العرب الوثني(يعوق ويغوث ونسرا)هو القمر والشمس والزهرة[5].

1- أبو عبيدة،مصدر سابق،ص8-9.

2- الجوزو،مرجع سابق،ص28.

3- ضيف،شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي،دار المعارف،القاهرة،ط10، 1982،ص89

4- ديورانت،ول،قصة الحضارة، ترجمة:محمد بدران،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1975، م1،ج2،ص156

5- علي،جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،دار الملايين،بيروت،ج6،1970ج6،ص96.

أما (اللات) "فتقول الأسطورة العربية عنها: إنها كانت ليهودي يلت[1] عندها السويق،فسميت صخرة اللات،فلا يخرج عن كونه حديث خرافة،وضعوه لعجزهم عن معرفة أصلها وكيفية دخولها بينهم،وتوغلها في الجزيرة حتى وجدت لها مكانا في أحياء الطائف، ولرغبتهم في إيجاد تعليل لوجودها. أما (العزى) فالآراء فيها مختلفة في صورتها،فهي تارة "صنم"وأخرى"شيطانة"تأتي ثلاث مرات ببطن نخلة وتكاد كلمة المحدثين تتفق على أنها آلهة نجمية في عقيدة العرب.للعادات الكثيرة المتعلقة بعبادة"نجم الصباح"عند البابليين وغيرهم،والموافقة للعادات التي انتشرت عند العرب في عبادة العزى[2]معنى ذلك أن العزى تقابل كوكب الزهرة،أو عشتار عند البابليين بوصفها ممثلة لفصل الشتاء في أسطورة تموز البابلية[3]ويمكن القول إن استقسام العرب بالأزلام أو"القداح" عند الأصنام،لا سيما عند "هبل"من أجل التنبؤ بما سيقع لهم في المستقبل،بغية الحصول على مغنم،أو درء الشر، يشبه إلى حد بعيد استدلالهم بالكوكب والنجوم، لمعرفة ما تخبئ لهم الأقدار(خيرا كان أم شرا)،من خلال ظواهر الكسوف أو الخسوف،أو تساقط النجوم،وحركاتها بشكل عام،حتى إن "الدوار"كشعيرة من شعائر تقديس الآلهة،كان ذا صلة بدوران الكواكب أيضا كقول الحادرة: [4]

وَرجَاهُم يوم الدّوارِ كما يَرْجو المُقامِرُ نَيّلَ الخَصْلِ

إنّ بواعث عبادة الأصنام عند العرب- تلك القوى الغيبية المجهولة- ذات التأثير كما زعموا في شؤون حياتهم اليومية والدينية،السماوية منها أو الأرضية فضلا عن كونها الوسيط بينهم وبين الله سبحانه وتعالى بحسب ظنهم،وهي حقيقة يبقى القرآن أصدق شاهداً عليها.

---

1 - Jack Randolph, The Horn and the Sword,Conrad,Jack Randloph, New, York,1957, PP 29-30.

2- ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، دار المعارف،القاهرة،1971،ص19-20.

3-السجستاني،المعمرين والوصايا،تحقيق:عبد المنعم عامر،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، 1961،ص47.

4- ديوان الحادرة، ،حققه:أنجلمان الهولندي، (د:م)،ليدن،1858،ص35.

قال عز وجل :(**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)** [1].وهنالك من تأله في الجاهلية وترك عبادة الأصنام، مسلما بوحدانية الله، لأنه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لا سيما أولئك الذين عرفوا بالأحقاف الحنفاء ملة إبراهيم الخليل عليه السلام[2].

4.2.2-الكهان:

ظفر الكهان وسدنة المعابد بدرجة عالية من القداسة، ومن بين هؤلاء الكهنة كان بعض ملوك العرب وحكامهم وبعض شعرائهم, ومعروف أن الشعر الجاهلي قد ارتبطت نشأته بالدين،والمتعة التي اعتاد العربي القديم أن يجدها في الصوت والإيقاع والرقص ومن أشهر الكهان "عمرو بن لحي"فقد كان حاكما كاهنا، وقد جعلته العرب "ربّا لا يبتدع لهم بدعة إلاّ اتخذوها شرعة"، ويقال إنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان التي استوردها من الشام ووضعها في مكة،ومن ثم انتشرت عبادة الأصنام في جزيرة العرب ولم تقتصر الكهانة على الرجال فقط ؛ فقد يكون للقبيلة كاهنة مثل"رقاش"كانوا يتيمنون بها في غاراتهم وغزواتهم،و"زرقاءاليمامة"،و"زبراء"كاهنة بني رئام التي كانت تنذرهم بالغارة،ولم تقتصر وظيفة الكاهن على التنبوء واستطلاع الغيب،بل كان طبيبهم أيضا[3].

يقول عروة بن حزام [4]:

فقلتُ لعِرّاف اليمامة دَاوِني فإنّك إنْ أبرأتنى لَطبيبُ

5.2.2-عبادة الملوك:

كانت عبادة الملك والكاهن استمراراً لعبادة الملك عند البابليين وغيرهم،وقد ظهرت في مأثورات الجاهليين الشعرية والنثرية على حد سواء،ومن ملوكهم عمرو

1-سورة الزمر،آية3.

2- خان،مرجع سابق،ص76.

3- ريد،مرجع سابق،ص98-101.

4- الصفار،مرجع سابق، 1974،ص54.

بن هند الذي أطلق عليه لقب المحرق،ومحرق صنم كان في منطقة بسلمان لبكر بن وائل ويبدو أن ضحاياه كانت تلقى في النيران،فقد أثُر عن عمرو هذا أنه كان يشق أخاديد يشعل فيها النيران ويلقي بضحاياه فيها، كالذي فعله يوم أوار[1].

وكان البدوي يخشى أن يتعرض لغضب الملك أو الكاهن أو الرئيس،"فدريد بن الصّمة "له في تقديس الملوك كلمة،قالها لقومه بعد هرمه:أما أول ما أنهاكم عنه،فأنهاكم عن محاربة الملوك؛فإنهم كالسيل بالليل، لا تدري كيف تأتيه، ولا من أين يأتيك. وإذا أردنا منكم الملك واديا، فاقطعوه بينكم وبينه واديين،وإن أجدبتم فلا ترعوا حمى الملك،وإن أذنوا لكم؛فإن من رعاه غانما لم يرجع سالما[2].

3.2-أساطير الطبيعة المتحركة(الحيوان و النبات)

1.3.2-لحيوان الطوطمي:

وتمتد أساطير العرب امتدادات أخرى،يلعب فيها الحيوان الطوطمي وبعض النجوم والكواكب دورا تتم على شدة ارتباط حياة هؤلاء العرب بتلك الكائنات،ويمتلئ الموروث الجاهلي بإشارات وحكايات تؤكد ذلك،.فإذا توغلنا في التاريخ العربي القديم،وجدنا الحيوان من بين الصور المهمة لمعبودات الإنسان القديم، فهو إما طوطم الجماعة وجدّها الأعلى وإما معبودها الممثل ورمز الإله السماوي" الكوكب" الذي تتوجه إليه الجماعة في صلواتها.وقد ربطوا مثلا بين الثور الوحشيّ والقمر.[3].

2.3.2-الثور:

وتطالعنا صورة"الثور"عند السومريين في إطار غريب من القداسة والتبجيل، فهو إله يرمز إلى القوة والخصب،ومن ثم عبدوه وعبدوا البقرة إلهة معه، ومن اتحادهما في زواج مقدس فاضت ضفاف دجلة والفرات بالخصب علىأرض سومر،

1- القيسي،مرجع سابق،ص100.

2-السجستاني،مصدر سابق،ص47.

3- علي،مرجع سابق،ص 50

معه،ومن اتحادهما في زواج مقدس فاضت ضفاف دجلة والفرات بالخصب على أرض سومر، وهكذا نرى أن الثور كان من الآلهة التي انتعشت على ضفاف الفرات بين السومريين،حيث وُضِعَ صنمٌ مجهولٌ في ركن من نواحي شبه الجزيرة العربية عبر آلاف السنين،وظل رمزا غامضا لدى الشاعر الجاهلي،يذكر تلك الترانيم والملاحم الدينية القديمة.[1].

3.3.2-الغزال:

كان الغزال رمزا للشمس،وشبهت المرأة بكل منهما،وعلى الرغم من أن أحدا لم يستطلع المعاجم ليصل إلى معرفة ما بين هذا الثالوث من وشائج موغلة في القدم،فإن حرص الشعراء على ألا يقتل الغزال في قصائدهم كان يعني أنه معبود كالشمس[2].أما "الناقة"فلها تاريخ طويل قديم عند العرب فناقة صالح كما قال الطبري: ولدت من بطن صخرة ارتجفت وظهر في جانبها نتوء كبير،ظل يدور،ثم تمخضت الصخرة كما تتمخض المرأة فوضعت الناقة.[3]. أما عبادة "الشجر"النخلة مقدسة عندهم،وقيل إنّ أهل نجران كانوا يعبدون نخلة طويلة لها كل سنة طقوس وأعياد.[4].

وقدّس بعض العرب المرأة أو الأنثى بوجه عام وعلى الرغم من قلة ما بين أيدينا من أخبار عن تقديس المرأة في العصر الجاهلي،فإن في هذا القليل ما يكفي لإلقاء بعض الضوء على هذه العبادة؛فتقديس الكاهنات دليل على ذلك، وهكذا ارتبطت المرأة عند الجاهليين القدماء بنوع من العبادة الغامضة التي ترمز إلى تقديس الخصوبة والنماء، وقد ظلت هذه القداسة إلى قبيل الإسلام، والشعر الجاهلي مليء بالصور الكثيرة التي تتحدث عن رحيل المرأة بعد خراب الديار،وربطوا بينها وبين الشمس، كانت معبودة،وكان رحيلها يؤدي إلى إقفار الديار فهي رمز عندهم.

1-Jack Randolph The Horn and the Sword,Contra New York, 1957,PP,29-30

2- ظاظا، مرجع سابق،،ص19.

3- الشورى، مرجع سابق،ص75.

4- الجوزو، مرجع سابق،ص216-217.

4.3.2-الجبال والآبار والأشجار:

يبدو أن من معطيات عبادة العرب للأصنام،التي كانوا يزعمون "أن الشياطين تدخل فيها، وتخاطبهم منها،وتخبرهم ببعض المغيبات وإيمانهم بحلول هذه القوى الخفية في كل ما حولهم من مظاهر الطبيعة".[1]ولعل بعض الجبال كان لها النصيب الأوفر من ذلك،حتى غدت"ذات أثر في حياة الإنسان،كما كان للشاعر والكاهن أثر في حياته الاجتماعية"[2].وقد عدت الجبال من الأمكنة الأسطورية في"ملحمة جلجامش"كجبل"الأرز"بوصفه"موطن الآلهة"وكان جلجامش وأنكيدو يقدمان قربانا طالبين أن يواتيهما الجبل بحلم مطمئن، وفي الأساطير اليونانية عُدّ جبل"البر ناس"مسكنا لآلهة الفنون وإذ نطمئن إلى خلفيات النظرة الأسطورية في أساطير العالم القديم إلى الجبال فلا عجب إن ظفرنا بمعتقدات أسطورية عند العرب حول هذا الجبل أو ذاك،ولعل أشهرها ذلك الجبل المسمى ب"أبي قبيس"فمن أحاديث العرب عنه قولهم:إن آدم كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بأيدي الناس،وهذا ما يفسر لنا دواعي ممارسة أهل مكة لشعائر نار الاستمطار في هذا الجبل.[3]

ومن الجبال التي جاءت تسميتها بأسماء العشاق (أجا وسلمى)وهما الجبلان اللذان نزلها "طيء"وولده،وقيل إنه لقي شيخا على خلق العاديين اسمه(أجا)ومعه امرأة خلفه يقال لها سلمى، وسأل"طيء" الشيخ عن أمرهما،حيث أخبرهم بأنهما "من بقايا صحار القديمة"وللآبار نصيب وافر من معتقدات العرب الأسطورية،فقد مارسوا إزاءها شعائر "رغبة ورهبة" من القوى الخفية التي يزعمون أنها تحل فيها،ففي تصورهم كان"لبعض الآبار"رب يحميها،وبعضها لا يعلم لها.[4]

رب يكون الإله هو نفسه "ربها وحاميها"وهذا ما يسمونه بأرض (بعل)، كبئر

1-الأصمعي،،مصدر سابق،ص102.

2- الحوفى،مرجع سابق،ص475.

3- ابن خلدون،مصدر سابق،ص72.

4- الأحمد،مرجع سابق،ص54.

"القليب"،وهي بئر عادية قديمة لا يعلم لها رب ولا حاضر. وكان من حقوق هذا الحمى المعين بحدود خمسين ذراعا أن لا يظلم الناس في هذه الحدود،وأن لا يقنص الصياد الحيوان أو الطير في هذه الأرض المقدسة[1].

ولم يكن تقديس الأشجار بين العرب قبل الإسلام بأقل من تقديس الأصنام والجبال والآبار،وذلك لاعتقادهم أن في هذه الأشجار أيضا"قوى روحية كامنة فيها،وأن لهذه القوى أثرا خطيرا في حياتهم،ولهذا السبب اتخذوا مواضعها حرما أمنا يتبركون بها،ويتقربون إليها بالنذور والقرابين" [2]

ومن هذا الباب أيضا نجد أن الشعراء قد بعثوا الحياة في الشجر أو النخيل بصيغ شتى لا سيما تأثرها بمآسيهم،" فالأعشى " يرسم صورة أخاذة للنخيل بعد حرقها، يشبهها بنساء قائمات في مأتم وقد لبسن الحداد إذ يقول:[3]

وَأيّامَ حُجْرٍ إذْ يُحَرّقُ نَخــلُهُ ثأرناكم يَوْماً بِتَحْرِيقِ أرْقُمِ

كَأنّ نَخِيل الشّطِ غِبّ حَرِيقِه مَآتِمُ سُودٌ سُلّبَت عَنْدَ ماتَمِ

فالاعتقاد بوجود الأرواح أو الحياة في الأشجار، ومبعث تقديسها،لم يكن مشتملا على الأنواع كلها،إنما كان ذلك التصور مقصورا على أنواع بعينها مردها إلى ضخامة هذه الأشجار أو قوتها،أو ثمرها الكثير،أو نفعها من حيث استعمالها[4].

1- الأحمد،مرجع سابق، ص55.

2- أبو عبيدة،مصدر سابق،ص8-9.

3- الأعشى الديوان،تحقيق:كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، (د:ت)،ص188.

4- أبو عبيدة،مصدر سابق،ص30.

الفصل الثالث

الأسطورة في التراث القديم

يعالج هذا الفصل الأسطورة في التراث العربي والإسلامي،والقصص المختلفة والخرافات المتنوعة مثل:قصة جلجامش وقصة ذي القرنين وقصة لقمان وحرب البسوس وذي قار وبض الأساطير الأخرى وتأثيرها في التراث العربي.

3-1-العرب والأساطير

في سياق الحضارات الإنسانية هنالك ما يطلق عليه"عصر الأساطير" وهو أقدم عصور المجتمع،بمعنى أنه يعاصر مرحلة تضخم العائلات المرتبطة بصلات القرابة والانحدار عن جد واحد أو مدّعى بشريّ أو حيوانيّ[1]. إذ شهد نشاة المجتمع المتكون من عائلات ومن ثم انبثقتالأسطورة من خلال الطقس السحري،أو الديني لتوحّد الجماعة وتنظم علاقاتها.

لقد عاش العرب "**عصر الطوطمية**" وترك هذا أثرا واضحا في أسماء القبائل مثل:بني كلب، وبني أسد، وبني يربوع، وبني نمير،وكما توارثوا تسمية أبنائهم بأسماء الحيوانات والنجوم والكواكب ومظاهر الطبيعة مثل:ابن ماء السماء،والزهرة،والنمر،والهجرس ...وقد كان ذلك العصر مرحلة في سبيل بلوغ مرحلة تعدد الآلهة التي أوصلتهم إلى دين الإله الواحد.وقد اهتم شوقي عبد الحكيم بالتسميات السحرية الطوطمية،وأسس لها على قاعدة لغوية هي:إغراق اللغة الفصحى بالاستعارات والكنايات،وعن ذلك جاء إغراق العربي في التسميات السحرية الطوطمية،وهو لا يحصر الطوطمية في الحيوان بل يضيف إليها الطير ،كما أضاف كثيراً من الأسماء مثل:ثعلبة وضبة وحمار وقرد وغراب وحمامة وتجاوز ذلك إلى الحيوان والجماد وبحث في الأسس النفسية للتفاؤل والتشاؤم[2].

1- عبد الله،مرجع سابق،ص51

2- عبد الحكيم، شوقي،موسوعة الفولكلور والأساطير العربية،دار العودة،بيروت،1982،ص159.

ويتجاوز "شوقي عبد الحكيم"الأسماء العربية إلى الكنى التي شغفوا بها،مثل أبي بكر، وأبي حفص وأبي عثمان وغيرها ثم يتحول إلى الحيوان ،فأما الذئب فهو أبو جعدة وأبو ثمامة وأبو كاسب وهي جميعها حيوانات وطيور بل زواحف لها موقع في آلهة القبيلة وشعارها وطوطمها.[1]

أما الأساطير فقد عرفت الحضارة اليمنية في جنوب الجزيرة الكتابة والنقش، ومع ذلك لا نجد أسطورة مكتملة بنصها ،ولكننا سنجد كثيراً من الأساطير المجزأة أو المتداخلة بموروثات الأمم الأخرى، وتظهر الأسطورة عن طاقتها المركزة،حتى وإن ظلت محتفظة برمزيتها،ولكن اقترابها من مألوف الحياة،ومجافاتها للغرابة ينتقل بها من مستوى الأسطورة الصريحة،إلى مستوى الحكاية الفلكلورية،على نحو ما نجد في كتاب الميداني ،حيث حوى الكتاب على أمثال مثل:**(إنّمْا أكِلْتُ يَوْمَ أكِل الثّوْرُ الأبْيَض)**[2].وكذلك ما ينسب إلى الشاعر "تأبط شرا" أنه رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول طول الطريق عليه،فلما قرب من الحي ثقل عليه فرمى به فإذا هو الغول[3].

من ثم فإن العربي كان يرى في أمر الجن أن لها عالما خاصا بها،ولم يرفض عقله أن تكون بعض القبائل من نسل الجن أو الحيوان،كما قيل عن بلقيس ملكة سبأ وذي القرنين أنهما من ولد الجن ،كما زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها ومكثت عنده دهرا فكانت تقول له:إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني،فإني أن لم تستره عني تركت ولدك عليك وطرت إلى بلاد قومي،فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره[4].

1- عبد الحكيم،مرجع السابق،ص161.

2- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النسيابوري): مجمع الأمثال،منشورات دار النصر، دمشق ،ط2(د.ت)،ج1،ص25.رقم المثل:81.

3- خان،مرجع سابق، ص 80-81 .

4- المرجع نفسه،ص84.

وعن أبي ذر قال: كنت مع النبي، (صلى الله عليه وسلم)،في المسجد عند غروب الشمس فقال:يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت:الله ورسوله أعلم قال:فإنما تذهب حتى تسجد تحت العرش،فذلك قوله تعالى:

(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[1] . ثم يمضي الحديث ليصور حركة الشمس،بأنها تطلع من بعض العيون وتتحرك على عجلة، وحولها ثلاثمائة وستون ملكا(لاحظ توافق عدد الملائكة مع عدد أيام السنة القمرية وليس الشمسية)وهؤلاء الملائكة ينشرون أجنحتهم،أما كسوف الشمس أو خسوف القمر فلا علاقة له بخطوط التوازي والتعامد،وإنما يحدثان إذا أراد الله أن يبتلي الشمس أو القمر،أو يستعتب الناس ليرجعوا عن معصيته،فإذا كان الكسوف كليا،فقد حدث هذا لأن الشمس وقعت من فوق العجلة بجملتها،وقد يقع الثلث أو الثلثان.فإذا عادت إلى الظهور بعد الاختفاء، فلأنها تخرج قليلا قليلا من غمر ذلك البحر الذي يعلوها، فإذا أخرجتها الملائكة اجتمعوا حتى يحتملوها ويضعوها فوق العجلة لتستأنف الدوران من جديد وهكذا الأمر بالنسبة للقمر.[2]

3.1.1-الملاحم

3.1.1.1 -جلجامش

جلجامش بطل لأسطورة في أقدم عصور الحضارة في بلاد ما بين النهرين،وهي حضارة "سومر"ثم انتهى عصر السومرين ليخلفهم البابليون الذين ورثوا ثقافتهم،وفي العصر البابلي"تمددت الأسطورة"وأعيد تشكيلها لتأخذ صياغة "ملحمة بطولة"ذات طابع شعبي واضح"و هي الصيغة التي استخرجتها الدراسات الحديثة من الألواح المكتوبة باللغة الأكدية،بالخط المسماري،وجاءت في اثني عشر لوحا،لم يعثر عليها سليمة،وليس من بينها لوح كامل،وتوصف "ملحمة جلجامش" بأنها أقدم الملاحم على الإطلاق، وأنها الأكمل والأجمل والأكثر احتواء لعقائد عصرها وما سبقه من عصور[3].

1-سورة يس،آية38.

2- عبد الله،مرجع سابق،ص63.

3- كريمر،مرجع سابق،ص25-26.

وتدل الدراسات على أن جلجامش شخصية حقيقة، وأنه أحد الملوك المتأخرين لمدينة أوروك، وأنه عاش قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة تقريبا، وكان ملكا جبارا،يسخّر شعبه لبناء مجده،ويملك حق الدخول بالعذراء قبل زفافها إلى زوجها،وتصوره الأسطورة كما تصوره الملحمة كائنا عملاقا قويا،ثلثه بشر وثلثاه إله.ويكشف هذا عن التحول في طبيعته،وفي اعتقاد الناس به،وبعد انتهاء العصر السومري عدّ جلجامش بطلا شعبيا حاميا لشعبه من شر الشياطين،حارسا للرخاء والأمن. وهذا التحول من الأسطورة إلى الملحمية، ومن الشخص الحقيقي الحاكم بالقهر إلى البطل الشعبي،احتاج إلى خمسة قرون،إذ تعود الملحمة–في زمن كتابتها– إلى عام 2300 ق.م.تقريبا.[1].

يرى المستشرق" هوك".أن هذه القضية–فيما يرى–هي التي صنعت المحور والامتداد الذي تحولت به الأسطورة السومرية إلى ملحمة بابلية شعبية. [2].

3.1.1.2–ذو القرنين

هذا النص نوع من السرد القصصي الملحمي،الذي تضمنته آيات من القرآن في سورة الكهف،قال الله تعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا)**[3]تبقى صورة لقمان في صيغتها النهائية نوعا من السرد الملحمي،الذي يصور بطولة إنسانية،لا تستطيع أن تطرح أسئلة القلق والتمرد بالدرجة الصريحة التي عبر بها جلجامش عن نفسه؛لأن السارد حارس للرخاء والأمن.وهذا التحول من الأسطورة إلى الملحمية،ومن الشخص الحقيقي الحاكم بالقهر إلى البطل الشعبي،هنا الراوي مسلم يدرك أن ما يرويه ينبغي أن يظل في في إطار ما تسمح به مبادئ عقيدته،وذو القرنين مذكور بهذه الصفة في القرآن، ومن ثم لا يصح أن يصطدم تصويره الملحمي بما يناقض ما هو مقرر سلفا من صفاته وأهداف رحلته [4].

1– دياكونوف، وزميله،ملحمة جلجامش، ترجمة:عزيز حداد،مكتبة الصيداء،بغداد،1973،ص16.

2– كريمر،مرجع سابق،ص25–26.

3– سورة الكهف،آية 83.

4 –عبد الله،مرجع سابق،ص147.

وأثار الراوي قلق ذي القــرنين،من داخــل الشخــصية ذاتهــا،عن طريــق "الرؤيا"التي تأخذ شكل النبوءة، فقد رأى ذو القرنين أربعة أحلام،كمــا حــدث مــع جلجامش أيضا،غير أنها في ملحمة ذي القرنين الشعبية تأتي في البداية متعاقبة،لتمثل مراحل حياته التي ستأتي:

الرؤيا الأولى:

كأن آتيا أتاه فأخذ بيده،وسار به حتى رقى به جبلا عظيما منيفا،لا يسلك فيــه سائر من هول ما رأى، إذ أشرف على جهنم وهي تحتــه تزفر،وأمواجهــا تلــتطم، وفيها قوم سود، تتخطفهم النيران من كل جانب.فقال له الــصعب:مــن هؤلاء؟قــال له:الجبابرة،فاخلع يا صعب رداء الكبــر وتواضــع لله يعطــك عــزا أعظــم مــن عزك.وعزا أعظم من عز الملك.

الرؤيا الثانية:

رأى"كأنه نُصب له سلّمٌ في السماء ورقي عليه،فلم يزل يرقى حتى بلغ السماء على حد زعمه، فسل سيفه ثم علقه مصلتا إلى الثريا،ثم أخذ بيده اليمنى الشمس،وأخذ القمر بيده اليسرى ، ثم سار بهما وتبعته الدراري والنجوم،ثم نزل بهما الأرض".

الرؤيا الثالثة:

رأى "كأنه جاع جوعا شديدا وظهر إلى الأرض فصارت لــه غــذاء،فأقبل عليها يأكلها جبلا، جبلا،وأرضا أرضا،حتى أتى عليها كلها،ثم عطش فأقبــل علــى البحار يشربها بحرا بحرا، حتى أتى على السبعة أبحــر،ثم أقبــل علــى المحــيط يشربه،فما أمعن فيه إذا هو بطين وحمأة سوداء لم تسغ له بما آتاه فترك".

الرؤيا الرابعة:

"رأى كأن الإنس والجن آتوه من الأرض كلها،حتى جلسوا بــين يديــه،ثم أقبلت البهائم والأنعام من الأرض كلها حتى جلست بين يديه،ثم أقبلت الطيــر كلهــا حتى أظلته،وأقبلت الهوام من جميع الأرض كلها حتى حفت به،ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه.قال (وهب):فأرسل أمما من الإنس والجن مــع ريــح الــصبا إلــى المغرب،ثم أرسل أمما من الإنس والجن مع ريح الشمال فهبــت بهــم إلــى يمنــى

الأرض،فلما ذهب الأنس والجن أمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح الأربع وجوها من الأرض، فذهبوا في سبيل الإنس والجن،ثم أمر الطير فذهبت بها الرياح في الوجوه الأربع فذهبت بالوحوش وحبس سباعها تحت قدميه،ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام في سبيل من مضى من جميع من أرسل" [1].

نلاحظ في هذه الأسطورة تدرّج هذه الأحلام وهو تدرّج تصاعدي،فكل رؤيا هي أقوى أثرا مما قبلها،في صورها وما ترجع إليه من نصوص دينية تتصل بالمعراج،وبما نسب لداود وسليمان وبأسلوبها التفصيلي،التكراري،وتكرار الصيغ من سمات الخرافة الشعبية.فهذه الأحلام تصور واقع البطل وما سيحدث له من تغيير يستمر سلطانه،وذلك بإرادة إلهية إذ تستجيب له ظواهر الكون.ثم ننتقل إلى اللقاء في بيت المقدس بين "الصعب وذي القرنين،وموسى والخضر"، وهذا ما تمّ ،ولنفس الغاية بين جلجامش وأنكيدو مع اختلاف النسب، فأنكيدو كان عملاقا وحشيا له طبع الحيوان المفترس وقوته، نزل إلى مستوى البطولة البشرية عن طريق استثارة بشرية بالاتصال مع المرأة، التي أرشدته كيف يكون إنسانا يعرف ويفكر ويدبر،وليس مجرد قوة عمياء جبارة تدمر، وأما دور الخضر فكان معلما ومرشدا يملك الرؤيا ويعرف الأسرار،وعندما حلم ذو القرنين قام الخضر على الفور وفسر له الحلم،ثم دنا ذو القرنين من الصخرة ليرقى عليها فانتفضت وارتعدت وتقعقت،فرجع عنها فسكنت،ثم عاد إليها ثانية فانتفضت وارتعدت وتقعقت، فرجع عنها فسكنت،ثم عاد إليها ثالثة فانتفضت وارتعدت وتقعقت،ثم دنا منها الخضر سكنت،فرقى عليها فلم يزل يرقى،وذو القرنين ينظر إليه والخضر يطلع إلى السماء حتى غاب عنه،فناداه مناد من قبل السماء:امض أمامك فاشرب فإنها عين الحياة. فمضى حتى انتهى إلى رأس الصخرة فأصاب عينا ينزل فيها ماء من ماء السماء،

1- عبد الله، مرجع سابق، ص152.

فشرب منه وتطهر فلما رأى الماء لا يسيل منه شيء قال:إلى أين تذهب أيها الماء؟ فنودي:قد بلغ علمك فلما رجع الخضر إلى ذي القرنين قال له:يا ذا القرنين شربت من ماء الحياة وتطهرت منه. [1]

3.1.1.3-:لقمان بن عاد:

لقد كان لعاد عند العرب شهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه كما يقول الطّبري[3].لهذا بقوا في ذاكرة أهل الأخبار؛ لأنّهم كما يقول جواد علي[2]. عاشوا بعد ميلاد السيّد المسيح ونبيهم هود(عليه السلام).

وسكنت عاد الأولى في الأحقاف بين حضر موت واليمن،وقيل في موضع بئر(إرم) في منطقة حسمي بين آيلة وسيناء.[4] وزعم المؤرخون أنّ"إرم"المذكورة في القرآن مدينة من عهد عاد بين (عدن وحضرموت)وقيل هي دمشق أو الإسكندرية [5].والأحقاف:تعني الرّمل بين اليمن وعُمان إلى حضرموت والشّحْر،وقيل:رمال بأعيانها في أسفل حضرموت[6].

تخيّل الجاهليون عاداً أمّة قديمة جداً،بل هي أقدم الأمم،وتمثل عاد في الحس اللّغوي العربي لتمثّل القدم، وبُعد العهد وتطاول الأمد، فيقولون"عاديّ"عندما ينسبون شيئاً إلى القدم،كالأشجار الضّخمة،والبيوت القديمة،والآبار العظيمة.

قال الشاعر[7]:

وكم نادَيتُهُ والليلُ ساجٍ بعاديّ البِئارِ فما أجَابا

1- عبد الله، مرجع سابق ،ص155.

2- الطبري، مصدر سابق،ج1،ص232.

3- علي،مرجع سابق،،ص300.

4-الحموي، ياقوت،معجم البلدان،دار صادر،بيروت،1968،ج1،ص300.

5- علي،مرجع سابق،ج1،ص303-304

6-ابن منظور،مصدر سابق،(حقف)ج4،ص 75.

7- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،دار الكتاب العربي،القاهرة، 1924ج3،ص3.

وقال آخر[1]:

دَعَوناهُ من عادِيّةٍ نَضُبَ ماؤُها وهَدّمَ جاليها اختلاف العصائبِ

لقد كان لقمان من أبطالهم الذين ضربوا بهم الأمثال وجعلوا على ألسنتهم الحاكم لقمان ويسميه بعضهم الرائش وهو الذي يتعلق به المثل المشهور"أعمر من نسر"أو "أتى الأبد على لبد"وكان يعرف أيضا باسم لقمان الحكيم وهو صاحب المثل الشهير(**رُبّ أخٍ لَكَ لُمْ تَلدْهُ أمُكَ**)"[2]

كانت شخصية ذات ميزات تخرج به عن المعتاد فقد"أعطاه الله حاسة مائة رجل"[3]ولعل أشهر واقعة تذكر بشأنه قصته مع وفد عاد للاستسقاء وطلبه لنفسه طول العمر بعكس رئيسهم

(الخلجان بن الوهم) وقد طلب أن يُقيده الله إلى الملائكة لقومه وانتهى به الأمر إلى اختيار اللحاق بهم على البقاء دونهم[4]. ويعد عند بعضهم نبياً ، و يروى أنه أول رجم في حد الزنا لقمان في(أمرأته والهميسع)وأنه حكم بالقطع في السرقة[5].وتغدو شخصية لقمان في أخبار عرب الجنوب- سواء أوجدّ حقا أم لا- شخصية رمزية فهو البطل المتأله الذي استجيب دعاؤه هو الحكيم معلم الحضارة المسهم في وضع أسبابها وهو ضارب الأمثال السائرة؛بل هو في أساطير عرب الجنوب وجه من الوجوه الإسلامية[6].

2.3-أساطير العرب البائدة

لقد ذكرت لنا الأساطير العربية القديمة قصص وحوادث كثيرة ومتعددة عن الأمم السابقة وقد تناولت هذه القصص أقواماً غارت في الأزمة السابقة قبل أن تأتي

1- الألوسي،مصدر سابق،ج3،ص4.

2-الميداني،مصدر سابق، ج2، ص50. رقم المثل:1595.

3 -وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد، الهند،ط1، 1962،ص64.

4-الثعالبي،مصدر سابق،ص57.

5- وهب بن منبه، مصدر سابق، ص76.

6-الطبري،مصدر سابق،ج4، ص37.

على ذكر أساطير العرب القريبة مناً مثل حوادث "قحطان وعدنان"،وإنما تجاوزتهما ومن المعروف أن هنالك أساطير خاصة أخرى تناولت أقواما من غير عدنان وقحطان وأشهر قبائلهم(**عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعمالقة**) أما عاد وثمود فشقيقتان في النسب،كما أشيرفي القرآن الكريم.

عاد: كانت منازلهم في الأحقاف وبلادهم أخصب بلاد الأرض،وأما –ابن قتيبه[1] فيقول:كانت منازلهم بالرمل وبلادهم خصبة.وقد قال فيهم سبحانه: (وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)[2]وكانوا يعبدون الأوثان،وأرسل الله إليهم أخوهم هودا فعصوه وكذبوه إلا قليلا منهم،فأصابهم القحط الشديد ورحلوا إلى مكة من أجل السقاية ولما عادوا إلى بلادهم وشاهدوا السحابة استبشروا خيراً فقال تعالى:(**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[3].

1.2.3–حرب البسوس:

جاورت "جساس بن مرة"خالته البسوس التميمية وكان لها ناقة تسمى " سراب" وتمر إبل لكليب بالناقة، فتنازع عقالها حتى تقطعه،وتتبع الإبل. وكان كليب حامي مواقع السحاب ومجير الوحش،فكيف ترد (سراب)عن إبله؟ولهذا أنكرها حينما رآها واشتد عليها بسهم فرمى ضرعها،فنفرت الناقة وهي ترغو حتى تجيء البسوس فتصيح واذلاه واجاراه!وتنشد أشعارا يلتهب لها جساس،ويقتل جساس كليبا بالغدر، وينتشر الخبر فيهب المهلهل الشاعر أبو ليلى بالانتقام لأخيه وتنشب حربا ضروسا بين بكر وتغلب،أكثر من أربعين سنة،حرم فيها المهلهل على نفسه الشرب واللهو استعدادا للثأر [4].

1– ابن قتيبه (أبو محمد بن مسلم):كتاب المعارف، تحقيق:ثروت عكاشة،مطبعة دار القاهرة،1960،ص15.

2– سورة الشعراء، آية 130.

3 – سورة الأحقاف،آية24

4–ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، دار صادر،بيروت،1965،،ص192–193.

2.2.3-ذي قار:

هي ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة،وبطل هذه المعركة على ما هو معروف،"هانئ بن مسعود" الذي استودعه النعمان سلاحه،فامتنع تسليمها إلى كسرى،غير أن ابن عبد ربه يقول:لم يكن هانئ بن مسعود المستودع حلقة النعمان، وإنما هو ابنه واسمه" هانئ بن قبيصة" بن هانئ بن مسعود"لأن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي(صلى الله عليه وسلم)وخبر أصحابه بها، وهكذا تتضارب الآراء حول البطل وهذا التضارب ظاهرٌ من تشابه الأسماء،يقتل النعمان"عدي بن زيد"فيسعى ابنه عند كسرى حتى يهيجه عليه ويثير غضبه فيخرج النعمان يطوف بالقبائل محتميا من كسرى،فلا يجيرونه حتى يصل إلى بني شيبان فيلتقي بهانئ،ويقيم عنده في ذي قار،وسار إلى كسرى فما كان من هذا الملك إلا أن سجنه حتى مات، وولّى مكانه طائيّا على العرب،ثم طلب من هانئ ودائع النعمان ولكن هيهات! أيسلمها بطل شيبان ويخون عهدا أخذه على نفسه؟وعندها يرسل ملك الفرس جيوشه لحرب العرب،وتفتك نبال الفرس أولا بالعرب، ولكنهم يحملون حملة المستميت دفعة واحدة على الفرس،ويفتك العطش بالفرس فيميلون إلى الشرب،[1].

3.2.3-الأسطورة في التراث الديني

1.3.2.3-الأسطورة الدينية:

كان للمعتقدات الدينية أثر كبير في تشكيل أساطير العرب قبل الإسلام إذ عكفوا على عبادة الأصنام والأوثان التي استجلبها "الحارث"من الشام،قيل إنه اشتد عليه المرض فأشار عليه أصحابه بالرحيل إلى الشام ،فمضى إلى البلقاء ووجد فيها حمة،فاستحم بها فبرئ،ووجد أهل البلقاء يعبدون الأصنام فسألهم ما هذه؟فقالوا إنهم يستقون بها المطر ويستنصرون بها على العدو فسألهم أن يعطوه بعضها فحملها إلى مكة ونصبها حول الكعبة [2].

1-ابن عبد ربه(أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي):العقد الفريد، تحقيق:أحمد أمين،وإبراهيم البياري،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1967، ج3، ص387-388.

2- الألوسي،مصدر سابق،ج1،،ص346.

ومن معتقداتهم فيما يتعلق ببعض أصنامهم ما قيل عن صنمين لهما هما "أساف ونائلة" ويذكرون أنهما كانا لرجلٍ وامرأة من اليمن وقد اجتمع قلباهما على العشق، ففجر هذا الرجل بتـــلك المرأة مسخا،ووجدا ممسوخين من غد،فتركا في موضعهما صنمين فعبدتهما (خزاعة وقريش)ومن حج لبيت من العرب[1].واتخذت كُليب صنما يسمى (ودّا) بدومة الجندل،واتخذت "مذحج"وأهل جرش (يغوث)واتخذت خيوان (يعوق) واتخذت حمير(نسرا)وهذه الأصنام وردت في القران، قال تعالى :(**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**)[2].ومن أصنامهم (مناة) وكانت منصوبة على ساحل البحر بين المدينة ومكة والعرب جميعا يعظمونها ويذبحون عندها ويهدون لها.وكان الأوس والخزرج وكل من ينزل المدينة ومكة يعظمونها، ومن العرب من يتسمون بعبد مناة وزيد مناة وكذلك كانت قريش تعظم مناة ،ويقال عن (العزى) إنها شجرة بالقرب من عرفات كانوا يذبحون عندها ويدعون،ومضى إليها "خالد بن الوليد"وقطعها فخرجت نها شيطانة ناشرة شعرها منها،فيئست العزى أن تعبد[3].

وجملة القول إن الأسطورة من أهم عناصر الدين القديم لأنها تصور معتقداتهم ودينهم الوثني[4].

ومن العرب من آمن بالزمان على أنه هو الذي يحييهم ويميتهم ولا يتصور وراء ذلك شيئا سواه،لأن خيال العربي الجاهلي واقعي وليس خيالا إبداعيا،فهو لا يشعر إلا بما أحس به،ووقعت عليه عينه،فهم يقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر،والدهر هو ما يسعد الإنسان أو يشقيه [5].

1- المحاسني،زكى، الشعر الديني، (د.م)،القاهرة،1970،ص40.

2- سورة نوح،آية 23.

3- المحاسني،مرجع سابق،ص41.

4- الألوسي،مصدر سابق،ج1،،ص347.

5- حسين،طه،الأدب الجاهلي، دار المعارف،القاهرة، 1926،ص255.

وأما الأساطير الدينية الخاصة بعبادة الكواكب،فالعربي الجاهلي في زمانه البعيد وبيئته القاحلة التي رحبت أرجاؤها لابد أن يستجيب لسليقته التي تدفعه دفعا إلى طلب الربوبية،فهو يرفع بصره إلى السماء فيرى الشمس والقمر والنجوم وهي تعم بنورها الفسيح أرجاء الصحراء ويرى فيها قوة جبارة غير متناهية فمنهم من عبد الشمس التي رأوا فيها قوة قاهرة،لأنها تنير دنياهم وتبعث الدفء في أجسادهم، شأنهم مع الشمس شأنه القمر فقد رأوه حقيقا بالعبادة فاتخذوا له صنما على شكل عجل وبيده جوهرة، وكانوا يصومون له أياما من كل شهر وبهذا اختلفت طقوس عبادته عن عبادة الشمس التي تظهر كل يوم،كما أنهم كانوا يقدمون الطعام والقرابـــين والهدايا للأصنام والكواكب فرحين بذلك [1].لقد كان للعرب الجاهليين أساطير كثيرة في الجن ،إذ تخيلوا الجن في صور من وحي الأوهام،وقد تصوّر"تأبط شرا" الجن بشرا يغزو قوما مثل قومه وإنما كانت قدرته على تخيل الجن من الضعف بحيث لم يستطيع أن يرى فيهم إلا بشرا مثله [2].

ومن الباحثين من يرى أن العربي لم يتمكن من تصوّر أساطيرالإغريق،والدليل على ذلك ما ذكروه عن حيوان يشبه"المينوطور"وهو الحيوان الخرافي الذي كان نصفه الأسفل نصف عجل، ونصفه الأعلى نصف رجل،وله أنياب كأنيابالأسد.وفي أساطير الإغريق أن "تيسيوس"قتل ذلك الحيوان الذي يشبه الغول الذي تردد ذكره في أشعارهم وعرض لهم في أسفارهم وهم يقطعون الصحراء.[2]ويرى الجاحظ أن الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب السهل والييباب ذكرا كان أم أنثى.والجاحظ لا يكاد يفرق بين الجن والغول، بل إنه يعدها مـــن الحيوان،لأنه ذكرها في كتاب الحيوان.[3]

ومن الباحثين من يرى أن العربي لم يتمكن من تصوّر أساطيرالإغريق،والدليل

1-الألوسي،مصدر سابق،ص215.

2- التو نجي،محمد، دراسات في الأدب المقارن، (د:م)، حلب،1982،ص75.

3-الجاحظ،مصدر سابق، ج6،ص48.

على ذلك ما ذكروه عن حيوان يشبه"المينوطور"وهو الحيوان الخرافي الذي كان نصفه الأسفل نصف عجل، ونصفه الأعلى نصف رجل،وله أنياب كأنياب الأسد. وفي أساطير الإغريق أن "تيسيوس"قتل ذلك الحيوان الذي يشبه الغول الذي تردد ذكره في أشعارهم وعرض لهم في أسفارهم وهم يقطعون الصحراء.[1]ويرى الجاحظ أن الغول اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب السهل والييباب ذكرا كان أم أنثى.والجاحظ لا يكاد يفرق بين الجن والغول، بل إنه يعدها مـــن الحيوان،لأنه ذكرها في كتاب الحيوان.[2]

3.3-الذهنية العربية والأساطير

1.3.3 –تطور الأساطير القديمة:

يرى(نيتشه) أنّ نضج العقل يؤدّي إلى موت الأســـطورة،وتناميه يـــؤدّي إلى ذبولها.[3]

وبالتالي فإنّ الإنسان المتفوق برأي نيتشه في طريقه إلى الظهور، وسوف يمثّل الدور الأسطوري الذي كان يُسند إلى الأبطال والآلهة[4]قبل أن ينضج عقل الإنسان وخياله،فكان تفسير الكون على أساس من الأساطير.ولما تحرك وعيه،ووضع الأمور الغامضة على بساط البحث ترك الخرافات والأساطير ولجأ إلى المعرفـــة وفلـــسفة الأمور، وبعدها قاس الناس قضاياهم بمقيـــاس العلم،فوجـــدوا أنّ أكثـــر الأســـاطير والخرافات الماضية،ما هي إلا أحداث من عالم الواقع.وقد تناول" ريتشارد هـــانينغ " معظم أقاويل التوراة،وفتّش لها عن مفردات في قواميس العلم،لأن كل كـــلام ســـبق وعُدّ غير مألوف قد يكون حدثا طبيعيا بحتا[5].

وعندما نبحث عن حقيقة الخوراق في التاريخ تبقى في حدود النسبية،فكلما زاد

1- الشورى،مرجع سابق،،ص86.

2 -ا لجاحظ،مصدر سابق، ج6،ص48.

3- عبود،حنا ،انبجاس الأسطورة، مجلة المعرفة،تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،ص156.

4-المرجع نفسه،ص156.

5- الشدياق،يوسف،نشأة وتطور الأساطير،الأسبوع العربي، ع1326،1985،ص54.

في الأسطورة أصبح التاريخ صحيحا[1].ولهذا نقول إنّ الخوراق قد تراجعت كثيرا في العصر الحديث،لكن حداثة العصر واكتشافاته وعلومه لم تنفِ وجود الخرافة.والحقيقة أنّ العلاقة بين العلم والخرافات علاقة حرب وخصام،فالعلم يحاول أن يبدّد ظلام الخرافة،وأن يقضي على الرواسب الخرافيّة المتبقّية فينا.[2]وبما أنّ الخوراق استوعبت قلق الإنسان الوجوديّ،وتوقه الدائم إلى كشف الغوامض التي يطرحها محيطه والأحاجي التي يتحدّاه بها التنظيم الكونيّ،فإنها ستبقى ببقاء الكون الغامض الذي عرف الإنسان عنه شيئا وغابت عنه أشياء[3].

2.3.3-الأساطير الشرقيّة والعربيّة:

في مصر تلك البلاد الخصبة شاعت أسطورة الشمس،في حين شاعت أسطورة القمر في البلاد الصحراوية"[4].

ومن الملاحظ إنّ الشمس والقمر من أوائل المعبودات المرئيّة، لأنهما على صلة وثيقة بحياة الإنسان اليوميّة، وفي شروقهما وغروبهما ما يلفت نظره ويثير دهشته وفي الشرق برزت الحضارة السومرية التي شملت جنوب العراق القديم، وحضارة الأنهر في مصر والهند والصين،وغيرها من الحضارات القديمة. والعلاقة ظاهرة بين عشتار العربيّة وعشتار الفينيقية، وعشتروت الآشورية البابليّة،وكان لها حضور في كثير من الأساطير الشرقيّة؛ فالثالوث الفلكيّ: (القمر،الشمس،الزهرة)،هو الذي ظهر عند العرب ودارت حوله طقوس خرافيّة كان شائعا لدى شعوب الأرض كلها [5].ولهذا نلاحظ مدى الاتصال الوثيق بين أشلاء الحضارات الشرقيّة بدءا بألف

1-السواح،مرجع سابق،ص11.

2 - عيسوى،عبد الرحمن، سيكولوجيّة الخرافة والتفكير العلمي، دار النهضة العربية،بيروت، (د.ت)،1984،ص36-37.

3- السواح،مرجع سابق،ص11.

4- بشور،مرجع سابق، ص15.

5- زكي،مرجع سابق،ص108.

ليلة وليلة وكليلة ودمنة،وسيرة عنترة،والسندباد البحري[1].

لهذا لا يجوز ربط الأسطورة بعقلية ثابتة معينة بمنطقة ما،بل يستحسن نسبتها إلى التراث العالميّ الذي تطبعه كلّ منطقة بطابعها الخاص، دون أن تمحو جوهره وتنسى مصدره.وإذا اتفقنا على أنّ الأسطورة نوع من التعبير عن أحلام الشعوب وعقلهم الباطن،فينبغي ألا نميّز العرب من الآخرين،خصوصا وأنّ لهم صفات وخصائص مشتركة [2].

ولا يخفى أنّ الأساطير والخرافات العربية هي الترجمة العمليّة والصورة المطابقة للأساطير الشرقيّة، فالأصل الواحد في جنس ونوعيّة الشعوب انعكس أصلا واحدا في أساس ونوعيّة الأساطير والخرافات،وإن اختلفت اللغة والصياغة ومستويات الفهم،فالأرض العربيّة أرض شرقيّة مرتبطة بالشمس، والإنسان العربيّ قريب من الروحانيّات، فالموت المحيط بالجاهليّ موت حتميّ،قادر،رهيب، غادر، أعمى..."هذا الموت السريع المفاجئ في حياة الجاهليّ،ينعكس أسطورة في أخبار عاد وثمود،فتختفي القبيلتان بومضة عين،وبقوة علوية تكتنفها الأسرار،إذ لا يمكن للتاريخ أن يقدّم أسبابا حقيقية مدوّنة لاختفاء هاتين القبيلتين.[3]

وخلاصة القول إنه مهما تعدّدت المواقف وتباينت الآراء، فللعرب أساطير وخرافات،وعبادات،وطبقات من الشعوب البائدة،تصلح لأن تكون مادة أسطورية لمن خلفهم على أرضهم،بل ربمّا كان فيهم من الآلهة والسحرة المتنبئين من لم يعرض لهم القرآن الكريم رغم أنّه ذكر في قوله تعالى:(**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)** [4].

3.3.3-الجزيرة العربيّة أرض خصبة للأساطير:

الجزيرة العربيّة،موطن العرب في العصور التي سبقت ظهور الإسلام، وهي متسع من الأرض ذات بقاع متباينة،وبيئات مختلفة،وليس في خريطة الأرض شبه

1-القلماوي،سهير،ألف ليلة وليلة،دار المعارف،القاهرة،1966،ص277.

2 الجوزو،مرجع سابق،ص14.

3- طريبه،جرجي،الوجدية وأثرها في جذور المجتمع العربي،مطابع المتنبي،بيروت،(د.ت)ص27

4- سورة نوح،آية 23.

جزيرة تضاهيها حجما فهي أكبر من شبه القارّة الهندية،ومساحتها ثمانية أضعاف الجزر البريطانيّة،وهي تعادل ربع أوروبة أو ثلث الولايات المتّحدة مساحة[1].

ظهر العرب لأوّل مرة كمقاتلين على مسرح التاريخ سنة 854 ق.م.فقد انضم"جندب" العربيّ مع ألف من رجاله راكبي الجمال إلى حدود "عازر" واشتبكوا مع "شلمنصر الثالث" شمال حماة.ما يهمنا هنا هو رصد الأمور والأحداث الخارقة التي تدخل في باب الأساطير.وكثيرا ما يحتج التاريخ إلى هذه الأمور،فيحصل التناقض بين المؤرخين،ويكون التباين في الآراء،مما يثري الدراسة ويعزّز الموضوع،من غير قصد منهم،بالحديث عن تاريخ اليمن قسّم المؤرخون

هذا التاريخ إلى أدوار وأوّل دور منها هو الدور الخرافيّ [2]وهنالك حضارات قديمة دخلت الجزيرة العربيّة،خصوصا القسم الجنوبيّ منها،حيث القلاع،والحصون،والمذابح والنقوش، والبخور،والآلهة[3]. إنّ تراث الأساطير والخرافات والعادات والتقاليد...تراث عربيّ مهمّ في تاريخنا العربيّ،وقد أهمله الدّارسون الأجانب،فلم يشيروا إليه إلا لماما،وبشكل متأخر ومشوّه ومختلط بالتراث العربيّ والإسلامي.فعالم الأساطير الأنثروبولوجست "روبرت جر يفر"لم يفرد للميثولوجيا العربيّة الفارسيّة,وهذا عائد إلى انغلاق العرب وانطوائهم على أنفسهم وتأخرّهم في مجال علم الأركيلوجيا(الأسفار المنحوتة)[4]. وعدم ربطهم بين روافد العائلة اللغوية الساميّة التي شملت الآشورية والبابليّة والفينيقيّة والكنعانيّة، والتي تبلورت اليوم في العربية الفصحى والعبرية وبعض السريانيّة [5].

نلاحظ أنّ التراث الأسطوريّ مرافق للعرب في جزيرتهم التي توحي بالأساطير

1- حتي، فيليب، وجرجي وجبّور،تاريخ العرب المطوّل،(د.ن:د.م)،(د:ت) ج2، ص45.

2- نافع،مبروك،عصر ما قبل التاريخ،(د:م)،القاهرة،1952،ص63-64.

3- حتّي،مرجع سابق،ج2،ص277.

4- البعلبكي،مصدر سابق،ص54.

5- الحكيم،مرجع سابق،ص707.

والخرافات وفي ممارستهم المتأثرة بغيرهم،أو المؤثّرة في غيرهم وفي عاداتهم، وتقاليدهم، ومعتقداتهم...وفي تسمية جدّهم الأكبر" "يعرب"وقوله الشعر،ووصفه الجنّة وجهنّم...ولا بدّ لنا من الحديث عن "يعرب"أبو العرب،وأسطورة أرض الميعاد[1].

أما أرض الجزيرة العربيّة،فأرض أسطورية في تركيبها ومناخها وصـــعوبة العيش فيها.مثلا:منطقة"وبار"مسكونة بالجنّ،لا يدخلها إنسان إلا خبلوه،وفي الصحراء مغاور مخيفة لا يجرؤ إنسيّ على اجتيازها، والسراب أو الآل رمز لتجربة قاســية يكون الفشل فيها رفيقا دائبا والتيه طريق إلى الموت المحتم[2].

4.3.3-الذهنيّة العربيّة وعالم الخرافات والأساطير:

هناك اختلافات كثيرة،ومواقف متباينة،في تحديد الأمور التي نتحدّث عنها، ما المرحلة المقصودة من هذه التسمية الجاهليّة؟وما معنى الجاهليّة تحديدا ؟ وما القصد من هذه التسمية؟ و ما الشعوب المقصودة بها؟ فمن المؤرخين من اعتبرها بين آدم ونوح،أو بين موسى وعيسى، أو بين عيسى ومحمد.[3]فالعربيّ في بيئته الصحراويّة سريع الغضب،ثائر، عصبي، متعصبّ يريد الإيجاز في القول والعمل وطلب الرزق وإنهاء المشكلة العارضة. فهو لا يرى في صحرائه إلا عالم الحيوان من الإبل فهي أعظم الحيوانات نفعا،ولولاها لما كانت البادية صالحة للسكن فالجمل،في صبره على العطش وشكله المرعب المخيف..هو حيوان خارق الصفات.[4].

ولعل حكاية تحوّل الإنسان إلى جماد قد تسرّبت إلى عقلية العرب من الخرافات اليهودية، أو لعل العرب قد وجدوا في صحرائهم أشكالا من الحجارة تشبه الإنسان, أو الحيوان، فتصوّروها أناسا قد مسخوا قصاصا لهم على فعلة شنعاء , وجعلوا تلك الفعلة مناسبة لنوع من القصاص.وكانوا يقدّسون الأشجار،ويثقون بها ثقة عمياء.

1-ابن الكلبي،مصدر سابق،،ص12.

2- ضناوي، سعدي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي،دّار الفكر اللبناني،بيروت، 1993،ص21

3- الألوسي،مصدر سابق، ج1، ص17,

4- ضناوي،مرجع سابق،ص81.

فإذا أراد أحدهم أن يسافر عن خليله عمد إلى الشجرة التي يثق بها،فشد غصنا منهـا إلى الآخر وتركها،فإن عاد من سفره،ذهب إليها،فإن وجدَ الغصنين مشدودين استدلّ علـى إخلاص خليله،وإن وجدهما محلولين استدلّ على خيانته [1].

وفي وقت متأخر عندما أراد لغويّو العرب الحديث عن الأسطورة،اشتقّوا التسمية من السّطر: الصف من الكتاب،والشجر،والنخيل،ونحوها.والجمع أسطر، وأسطار،وأساطيروالأساطير الاباطيل،الأباطيل.والأساطير أحاديث لا نظام لها،وهذا شأنهم في كلّ كلمة دخيلة يتكلّفون لها أصلا عربيّا[2].

5.3.3-العرب والأدب الأسطوري الخارق:

إنّ موضوع الخوراق بالذات،قد لاقى تعثرا من قبل الباحثين، وعزوفا عـن الخوض فيه، غير أنّ "تزفتان تودوروف"ومن خلال كتابه"مدخل إلى الأدب الخارق" [3].رأى أنّ هذا الأدب يقوم أساسا على بروز حدث يثير حيـرة القـارئ أو حيـرة إحدى شخصيات الرواية.وهذا الحدث المثير في تفاصيله وأبعاده قد يخلّ بـالقوانين التي تسيّر عالم الناس عادة [4]. ويشير "تودوروف" إلى أنّ الخارق يـستغرق هـذه اللحظة فقط،لحظة الحيرة بين تفسيرين:أحدهما طبيعيّ،والآخر غير طبيعي وهذا هو الأمر الخارق الصرف [5].

ومن الضروريّ أن نثبت ملاحظة هي أنّ الأمـر الخـارق هـو عمـاد الأسطورة والحجر الأساس في بنائها؛ فكلمة أسطورة قد استعملها غير المتخصّصين للدلالة على كلّ شيء يناقض الواقع.[6]

أما "التاريخسطورة " (فهي تاريخ وخرافة) معا أو أنها تتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق.وعليه فإن الخوراق في القصص الأسطوري هي التي

1- الألوسي،مصدر سابق، ج2، ص216.

2-Tzvestan Todoro,Introduction la Littérature Fantastique,édition du seuil,paris.P.29-38.

3- بولس،متري، الخوراق في روايات ميخائيل نعيمه وأقاصيصه،مطبعة بيسان،(د.م)،ط1، 1985،ص33

4-Tzvestan Todorov, Introduction la Littérature P.29-38

5- يونس،عبد الحميد،الفلكلور والميثولوجيا،مجلة عالم الفكر،م3،ع1،أبريل-مايو-يونيو،1972،ص16

6-المرجع نفسه،ص17.

تثير حيرة القارئ وتلفت اهتمامه فمن صفات القصص الأسطوري أن يحفل بأحداث تشترك فيها الآلهة،وتذكر فيها الوقائع الخارقة التي لا يحدّها العقل.ويمثل الكاتب الحيرة بإحدى شخصيات القصّة،ويعكس بوساطة هذه الشخصيّة ما ينبغي أن يشعر به القارئ من تردّد،وبذلك،يشرك القارئ بالحيرة والالتباس والقلق،عن سابق تصوّر وتصميم،ولا بدّ لنا من وضع الخوارق وتأثيراتها في الشعر الأسطوريّ في مراتب ودرجات.فهنالك خارق يمكن تسويقه،وخارق قائم على المبالغة وتضخيم المألوف ليأخذ أحجاما غير مألوفة كالتأثير المغناطيسي [1].

ومختصر القول: إنّ الأدب عند العرب نابع من موقف حائر أمام مجريات الأمور وحيرته هذه قادته إلى الوهم والتخيّل والاستسلام للماورائيات التي تريحه من عناء التنقيب.والأدب الأسطوريّ عند العرب متداخل بأساطير الشعوب القريبة والمتاخمة والمستعربة...وهو في مجمله،لم يجمع بأياد خالصة العروبة،بل انعكست فيه الآراء الدينيّة والقوميّة في ضوء الواقع المتأخّر الذي انتشرت فيه الكتابة،بعد ظهور الإسلام.إنّ الأدب الأسطوريّ ما هو إلا أدب تفاعل " بين الحضارات المسيحيّة واليهودية من جهة،والعربيّة من جهة ثانية. وهذا يفسّر استعارة العرب بعض الأساطير العبريّة،وطبعهم إيّاها بالطابع العربيّ"[2].

1- يونس،مرجع سابق،ص49-53

2- طريبه،مرجع سابق،ص23،48،76

الفصل الرابع

صورة الطلل ورحلة الظعائن والإنسان أسطوريا

1.4-صورة الطلل ورحلة الظعائن

1-الطلل:شاعت المقدمات الطللية في الشعر الجاهلي،وكانت محل احترام من قبل الشعراء الذين تفننوا في طريقة الوصف،وكذلك تفننوا في شعر الظعائن والرحيل عن الديار واعتبروها أرضاً جرداء قاحلة من بعدها،ونحن هنا نحاول استعراض بعض الأشعار.يعلل"التوتنجي"سبب ظهور شعر الأطلال إلى مشاعر الحنين والتنقّل بين الأقوام البدوية ولولا التنقّل لما عرفت النجعة والخليط ولا شعر الأطلال[1].

ويعلل "شوقي ضيف"بكاء الديار القديمة والطلل بأنه بكاء يفيض بالحنين الرائع إلى ذكريات شبابهم الأولى[2].أما "حسين عطوان"فهو أكثر منّ أكدّ على عودة الشاعر في اللحظة الطللية إلى الذكريات والى مواطن الشباب والهوى هربا من لحظة واقع كان يعاني من وطأتها،فيقول في ذلك:"إنّ المقدمة الطللية لا تعدو أن تكون تجربة ذاتية وضربا من الذكريات والحنين إلى الماضي والنزاع إليه،فالشعراء دائما يرتدون بأبصارهم إلى الوراء،إلى أعلى جزء مضى وانقضى من حياتهم[3].

1.1.4- نماذج على المقدمة الطللية:

أقف على نماذج مختلفة من المقدمات الطللية،قاصداً إبراز العامل الزمني"الماضي الحاضر" الذي تعامل معه الشاعر في مقدمته،وكيف سيطرت لحظة الواقع علىالمقدمة الطللية موضحاً فيها لحظة الهروب التي التزمها الشاعر الجاهلي فيقول "امرؤ القيس"في معلقته[4].

قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبِ ومَنْزِلِ بسِقْطِ اللّوَى بَيْنَ الدَخُولِ فحَومَلِ

1- التوتنجي،محمد،دراسات في الأدب الجاهلي،مطبعة الشرق،حلب،1980،ص87.

2- ضيف،شوقي ،العصر الجاهلي،دار المعارف،القاهرة،ص212.

3- عطوان،حسين ،مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي،دار المعارف،القاهرة،1970،ص227.

4-ابن حجر، امرئ القيس، الديوان،مراجعة:محمد عبد الرحيم،دار الكتاب العربي،دمشق،(د:ت)،ق1،ص29.

فتُوضِحُ فالمِقرَاةُ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَســجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

والشاعر"طرفة بن العبد"يقول[1]:

لِخــوْلَةَ أطْلاَلٌ ببــرقَةِ ثَهْمــدِ تَلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيّ مَطِيّهُمْ يَقولُونَ: لاَ تَهــلِكْ أسىً وتَجَــلّدِ

(فهو يطلب من أصحابه الوقوف على أثار ديار حبيبته الباقية كآثار الوشم على اليد حيث يطلبون منه الصبر والسلوان خوفا عليه من الفراق).

وأما "زهير بن أبي سلمى"فيقول[2]:

أمِنْ أمّ أوفى دِمْــنَةٌ [3] لم تَكَلّمِ بحَوْمــانَة الدّرّاجِ فالُمــتَثَلّمِ[4]

ودَارٌ لهــا بالرّقْمتَينِ[5] كأنــّها مَرَاجيعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ[6]

وَقَفْتُ بها من بعدِ عشرِينَ حِجَةً فَلأياً عرَفتُ الدارَ بعدَ تــوَهّمِ

فَلَمّا عَرَفْت الدّار قُلْتُ لرَبعِهَا: ألا انعِم صَباحاً أيّها الرّبع وَاسلمِ

أما "لبيد بن ربيعة العامري"فهو من أكثر الشعراء الجــاهليين إطالــة فــي المقدمة الطللية،فقد خصص أحد عشر بيتاً للأطلال،بدأها كما بدأها الشعراء الآخرون في تصوير الهدم والتشويه الذي أصاب الديار ومواطن المحبوبة بفعل الــزمن مــن خلال تحقيق المقدمة لأفعال الماضي(عفت،تأبد،عُرّي،تجرّم...) فهو يقول[7]:

عَفَتِ الدّيارُ: مَحَلّها فَمُقامُها بمنىً، تأبّدَ غَوْلُهــا فَرِجامُهــا

فَمَدافِعُ الرّيّان عُرّيَ رَسْمُها خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحىّ سِلامُها

وّالعِينُ ساكِنَةٌ على أطْلاَئِهَا عُوذاً تأجّلُ بالقضــاءِ بهامُها

1- طرفة بن العبد، الديوان،شرحه:مهدي محمد ناصر الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،(د:ت)،ص19

2-الزوزني،شرح المعلقات السبع،دار صادر،بيروت،ط2، 2002،73-75.

3 -الدمنة:ما اسود من آثار الدار.

4-حونانة الدارج والمتثلم:موضعان.

5-الرقمتان:حرتان إحداهما قرب البصرة والثانية قرب المدينة.

6-المعصم:موضع السوار في اليد.

7-المصدر السابق،ص91-93.

نلاحظ أن ما بين أيدينا من الشعر الجاهلي قلة،لا يمثل الخطوات الأولى التي سار على نهجها الشعراء، وحتى الذي بين أيدينا يكتنفه الغموض وثارت حوله التساؤلات والشكوك كما نراها عند"طه حسين"على سبيل المثال.فيقول "عنترة بن شداد"[1]:

هَلْ غَادَرَ الشّعَرَاء مِنْ متَرُدّمِ أم هــل عَرُفتَ الدارَ بعدَ تَوَهّمِ

يا دارَ عَبْلَةَ بالجــوَاءِ تَكَلّمي وعَمِي صَباحاً دارَ عبلةَ وَاسْلَمي

(يقول لم يترك الشعراء شيئا يصاغ فيه الشعر إلا صاغوه،وهل عرفت دار عشيقك بعد الشك فيهاويقول:يا دار الحبيبة أخبريني عن أهلك فقد سلمت أيتها الديار).

ونعرف العديد من الشعراء قبل عنترة وقفوا بالديار ووصفوا الأطلال وبكــوا الديار وأنهم قد استقصوا مختلف المعاني التي تجرى على قلب الشاعر وفكره،وهنــا يقول"امرؤ القيس"[2]:

عُوجَا على الطّلل المُحِيلِ لأنّنّا نبكى الدّيار كمَا بكى ابن حِذَام

أما النابغة الذبياني فينحو نحوا جديدا في ذكر الأطلال وهو استخدام أســلوب النداء الذي يعبر عن الفيض الوجداني حيث يبدأ حديثه بالنداء مع أنه واقــف بــين عرصاتها.فيقول[3]:

يا دارَ مَيةَ بالعَلــــــياء فالسّنَدِ أقوَتْ،وطالَ عليها سالفُ الأمَدِ

وقفتُ فيها أصَيْلاناً أسَائلُهــــــا عَيّتْ جَواباً،وما بالرّبعِ مِنْ أحَدِ

أمْسَتْ خَلاءً وأمسى أهْلُها احْتَمَلُوا أخْنَى عَلَيْهَا الذي أخْنَى علَى لُبَدِ

أما المرقش فيبدأ طلله بصورة يائسة مؤلمة تغير فيها كل شيء واندثرت إلا من بعض المعالم الصغيرة التي صمدت أمام الدهر وتغير الطقوس البيئية عبر فــصول السنوات المتناوبة، فلم يبق إلا "الأثافي،ومبنى الخيم، إرم"وهــي الحجــارات التــي توضع

1- الزوزني،مصدر سابق،ص137.

2- عطوان،مرجع سابق،ص73.

3- حاوي،ايليا،النابغة-سياسته وفنه ونفسيته-دار الثقافة،بيروت،ط2، 1981،ص205-206-

عليها القدور تستخدم لإنضاج هذه المعاني يقول[1]:

هَلْ تَعْرِفُ الدّار،عفا رسمُها إلاّ الأثــافيّ[2] ومَبْنى الخيَمْ
أعْرِفُها داراً لأسَماء فاالــــ دّمْعُ على الخَدّيْنِ سَحّ سَجَمْ
أمْسَتْ خلاءً بَعْدَ سُــكانها مُقْفِرَة،ما إنْ بهـــا منْ إرَمْ

أما الحارث اليشكري،فيبدأ استفهامه عن ديار لا تحمل اسما معينا من أســماء النساء التي تعودت عليها القصيدة الجاهلية،لكنه حدد المكان وهو(بالحَبْسِ)التي عفت الأيام عن آثارها حتى جعلتها كرموز الكتابة.فيقول[3]:

لمــنْ الدَار عَفَــوْنَ بالحَبْسِ آياتُــها كمهـــارقِ الفُرْسِ
لا شَيْء فيـــها غَيْرُ أصْوِرَةٍ [4] سُفْعِ الخُدودِ يَلُحْنَ كالشّمْسِ
أوْ غَيْرُ آثار الجيــاد بأعـــ راضِ الجمادِ، وآيةِ الدّعْــسِ

أما الشاعر"عميرة بن جعل التغلبي" فقد صوّر الطلل والديار وهي تحمل أكثر فعلا للتغير والتشويه الذي أصابها من جراء الزمن(حجج بعدي لهن ثمــان)حتــى غــدت جرداء من ملامح ماضيها،إلا من ملامح قليلة استطاعت لفظــة"غيــر"المتكــررة أن تحصر كل ما فيها من سابق عهدها.فيقول[5]:

ألا يا ديارَ الحَيّ بالبَـــرَدانِ خَلَتْ حِجَجٌ بَعْـدي لَهُنّ ثَمانِ
فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ نؤْيٍ مُـــــهَدّم وغَيْرُ أوارٍ كالرّكيّ[6] دِفـــانِ
وغَيْرُ حَطوباتِ الوَلائِدِ ذّعْذَعَتْ بها الرّيحُ والأمْطارُ كُلّ مكانِ

1-المفضل الضبي،المفضليات،تحقيق:أحمد محمد شاكر،وعبد السلام محمد هارون،مطبعة المعارف،القاهرة،ط10، 1994، ق49،ص229.

2-الأثافي:وهي الحجر توضع عليه القدر.

3-المصدر السابق،ق25،ص121.

4-الأصورة:هو القطيع من البقر-السفع:السود-الأعراض:النواحي.

5- المصدر نفسه،ق64،ص258.

6 -الركي:البئر.

أما الشاعر:المرقّش الأكبر"فهو يقف على ديار صاحبته وقد أقفرت، ويـــصف الظعائن الحسان وتأثير ذلك على نفسه،فيقول[1]:

هلْ بالدّيار أنْ تُجيبَ صَمَمْ لو كانَ رَسْمٌ نـــاطِقاً كلّمْ
الدّارُ قَــفْرٌ والرّسُومٌ كَــمَا رقّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ
ديـــــار أسْمَاء التي تَبَلَتْ قَلْبِي،فَعَيْنِي ماؤها يَسْجُمْ

وقال المرقّش الأصغر[2]:

لابِنَةِ عَجلَانَ بالجَوّ رُسُومْ لم يَتَعَفّيْنَ والعَــهْدُ قَدِيمْ
لابِنَةِ عَجلَانَ إذْ نَحْنُ معاً وأيُ حالٍ منَ الدّهْرِ تَدُومْ
أمِنْ ديــارٍ تَعَفّى رَسْمُها عيْنُك مِنْ رَسْمِها بِسَجُومْ

وقال المرقش الأكبر[3]:

أمِنْ آلِ أسماء الطلول[4]الدّوارِسُ يُخَطّطُ فيها الطّيْرُ،قَفْرٌ بَسَابِسُ
ذَكَرْتُ بها أسماء لَوْ أنْ ولَيْــهَا قَرِيبٌ ولكنّ حَبَسَتْنِي الحَوابِسُ
ومَنْزِلِ ضَنْكٍ لا أرِيــــدُ مَبِيتَهُ كأنّي بهِ مِن شِدّةِ الرّوْعِ آنِسُ

ومن أمثلة التعابير والتراكيب التي كان بعض الشعراء الجاهليين يفتتحون بها قصائدهم:" أمن رسم دار"أمن أل ميّ"أمن آل ليلى:أمن آل هند" يقول "المرقش الأصغر"[5]:

أمِنْ رَسُمِ دَارٍ ماء عَينيكَ يَسْفَحُ غدَا من مُقامٍ أهْلُهُ وتَرَوّحُوا[6]

1- المفضل الضبي،مصدر سابق،ق54،ص237.
2-المصدر نفسه،ق57،ص247.
3-المصدر نفسه،ق47، ص224-225.ا
4-الطلول:ما شخص من آثار الدار.
5-المصدر نفسه،ق55، ص241.
6-تروحوا:ساروا في الرواح.

وقال"عوف بن عطية الرباني"[1]:

أمِنْ آلِ مَيّ عَرَفْتَ الدّيارَا بحيثُ الشّقِيق[2]خَلاءً قِفارَا

تَبَدّلَت الوَحْشَ من أهلها وكانَ بِها قَبْلُ حَيِيٌ فَسارَا

كأنّ الظّباء بها والنّــعا جَ أُلْبِسْنَ مِنْ رازِقِيّ شِعارَا

وقال"زهير بن أبي سلمى"في الطلل ورحيل الأحبة عن الديار[3]:

أمِنْ آلِ لَيلَى عَرَفْتَ الطّلُولا بذِي حُرُضٍ،ماثِلاتٍ،[4]مُثُولا

وقال "النابغة الذبياني"[5]:

يا دار ميّةّ بالعَلْياء[6]فالسّــندِ أقْوتْ وطَالَ عليها سالِفُ الأبَدِ

وقَفْتُ فيها أصيلاناً أُ سائِلُها عَيّتْ جَوَاباً وما بالرّبْعِ مِنْ أحَدِ

وقال"امرؤ القيس"[7]:

أمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى أنْ نأتْكَ تَنُوصُ، فَتَقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً أوْ تَبُوصُ

وقال"جابر بن حني التغلبي"[8]:

فَيَا دارَ سلْمَى بالصَرِيمةِ فاللِوَى إلى مَدْفَعِ القِيقَاء فالمُتَثَلّمِ[9]

1-المفضل الضبي، مصدر سابق،ق124، ص412-413.

2-الشقيق:ماء لبني أسيد بن عمرو بن تميم.

3- ثعلب، مرجع سابق،ص146.

4 -ماثلات:منتصبات.

5- الشنقيطي،شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها الشنقيطي:أحمد بن الأمين،دار المعرفة، بيروت،1331هـ،ص158.

6-العلياء:المكان المرتفع من الأرض.

7-ابن حجر،مصدر سابق،ص170.

8-المفضل الضبي،مصدر سابق،ق42،ص209.

9-الصريمة واللوى والقيقاء والمتثلم: أسماء أماكن.

وقال"سلامة بن جندل" [1]:

لِمَنْ طَلَلٌ مِثلُ الكِتابِ المُنَمّقِ خَلا عَهْدُهُ بينَ الصُلَيْبِ فمُطْرِقِ

أكَبّ عَلَــيهِ كاتِـــــبٌ بِدَواتِهِ وحادِثُهُ في العَيْنِ جِدّةُ مُــهْرَقِ

وقال"طرفة بن العبد" [2]:

قِفِي ودّعينا اليَومَ يا ابنَةَ مالكِ وعُوجِي عَلَينا مِنْ صُدورِ جمالِكِ

قِفِي لا يكُنْ هذا تَعِلّةَ ســاعَةٍ لِبَيْنٍ ولا ذا حَظّـــــنا مِنْ نوالِــكِ

وقال" امرؤ القيس" [3]:

لَمِن طَلَلٌ أبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطّ زَبُورٍ في عَسِيبٍ يَمَانِ[4]

دِيَارٌ لِهِنْد�ٍ والرّبَابِ وفَرْتَنَا لَيَالِيَنَا بِالنّعْـــفِ مِنْ بَدَلانِ

وقال"امرؤ القيس" [5]:

ألا عِمْ صَبَاحاً أيُها الطّلَلُ البَالِي، وهَلْ يِعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الْخَالِي

وهَلْ يِعَمَنْ إلاّ سَعِـــيدٌ مُخَلّدٌ قَلِيلُ الْهُـــمُومِ مَا يَبِيـــتُ بِأوْجَالِ

وقال "زهير بن أبي سلمى" [6]:

لِمَنْ طَلَلٌ كالَوحْيِ،عافٍ مَنازِلُهُ عَفا الرَسُ،فالرّسَيسُ،فعاقِلُهْ

2.1.4-رحلة الظعائن:

هي ارتحال المحبوبة عن أرض الديار،لتترك في نفس الــشاعر الحــسرة والبعــد والجفاء ولتبقى الديار من بعدها مقفرة جرداء قاحلة،وقد جسدّ الشعراء معاني الرحيل بمعاني مختلفة عما يجول في خاطرهم،ولكن المقاطع الأولى من أكثرهم جــاءت متــشابهة مثل:

1-الأصمعي،مصدر سابق،ق41،ص170.

2- المصدر نفسه،ق48،ص193.

3-ابن حجر،مصدر سابق،ص91.

4- في عسيب يمان:كان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخل.

5-المصدر نفسه،ص56.

6- ثعلب،مصدر سابق،ص102.

" تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائنٍ "

قال"زهير بن أبي سلمى"[1]:

تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائن[2] تَحمّلْنَ بالعَلياء مِنْ فَوقِ جُرْثُمِ
عَلَونَ بأنمـــــاطٍ عِـتاقٍ وكِلــّةٍ ورادٍ حَواشِيــها مُشاكِهةِ الدّمِ

قال"زهير بن أبي سلمى" أيضا[3]:

تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائنٍ كما زالَ في الصبّحِ الأشاءُ الحَوامِلُ
نَشَزْنَ منَ الدّهناءِ يَقطَعْنَ وَسْطَها شَقَائــقَ رَمــلٍ بَينَهنّ خَمــائـــلُ

وقال أيضا[4]:

تَبيّنْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائنٍ بِمنُعــرَج[5]الوادِي فُوَيــــقَ أبانِ
مَشَينَ وأرخَينَ الذُيُــولَ ورُفّعَتْ أزِمّــةُ عِيس[6] فَوقَهــــا ومَثانِي
وأعيَسَ مخلُوجٍ عَنِ الشّولِ مُلْبِدٍ فَنــــابانِ من أنيــابِه غَرِدانِ

قال"المثقب العبدي"[7]:

لِمَنْ ظُعُنٌ تُطالِعُ مِنْ ضُبَيْبٍ فما خَرَجَتْ من الوادِي لِحِين

قال"المرقّش الأكبر"[8]:

لِمَنِ الظُعْنُ بالضُحَى طَافِيَاتٍ شِبْهُهَا الدّوْمُ أوْ خَلاَيَا سَفِين

1- ثعلب،مصدر سابق،ص19.
2-الظعائن:النساء على الإبل.
3-المصدر نفسه،ص214.
4-المصدر نفسه،ص266.
5-منعرج:منعطف.
6-العيس:الإبل البيض.
7-المفضل الضبي،مصدر سابق،ق76،ص288.
8- المصدر السابق،ق48،ص227.

قال"بشر"[1]

أسائِلُ صاحِبِي ولَقَدْ أرَانِي بَصِيراً بالظّعائِنِ حيثُ سارُوا

وقال"امرؤ القيس" [2]:

تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائن[3] سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَيْ شَعَبْعَبِ

وقال"أبو دؤاد الإيادي" [4]:

هـــل تَرَى من ظَعائنٍ باكراتٍ كالعَـــدَوْليّ[5] سَيّـــرُهُنّ انْقِحامٌ

وقال" طفيل الغنوي " [6]:

تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائنٍ تَحَمّلَ أمثالَ النِعّاجِ عَقائِلُهُ

وقال أيضا[7]:

واكِنَاتٍ يَقْضَمْنَ مِنْ قُضُبِ الضُرْمِ ويُشْفَى بـــدَلّهِنّ الهُيـــامُ

وقال" عبيد بن الأبرص" [8]:

تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائنٍ سَلَكْنَ غَمَيراً دونَهُنّ غُمُوضُ

وقال"امرؤ القيس " [9]:

بِعَيْنَيّ ظُعْنُ الْحَيّ لمّا تَحَمّلُوا لَدَى جانِبِ الأفْلاَجِ[10]مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا

فَشَبّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمّا تَكَمّشُوا[11] حَدائِـــقَ دَوْمٍ أوْ سَفِينـــاً مُقَيّرَا

1- المفضل الضبي،مصدر سابق،ق98،ص338.

2- ابن حجر، مصدر سابق،ص72.

3-الظعائن:النساء في الهودج.

4-الأصمعي،مصدر سابق،ق9،ص244. باكرات :مبكرات

5-العدولي:منسوب إلى عدول في البحرين.

6-ديوان طفيل الغنوي،الديوان، نشر:محمد عبد القادر،دار الكتاب الجديد،بيروت،1968،ص44.

7-المصدر السابق،ص46.

8- عبيد بن الأبرص،الديوان،نشره:حسين نصار،شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة1957.ص61

9- ابن حجر، مصدر سابق،ص331.

10-الأفلاج: وتيمرا: موضعان.

11-تكمش:جدّ وأسرع في سيره.

وقال:الأعشى"[1]:

أصَاحِ تَرى ظَعَائِنَ باكِراتٍ عَلَيّهـــا العَبْقَـــرِيّةُ وَالنّجُودُ[2]

كَأنَ ظِبَاءَ وجرْةٍ مُشْرِفَاتٍ عَلَيْهِـنّ المَجَاســـدُ والبـــرُودُ

وقال "المرقش الأصغر"[3]:

تَبصّرْ خَلِيلي هل تَرَى من ظَعائنٍ خَرَجْنَ سراعاً وَاقْتَعدْنَ المفائما[4]

تَحَمّلْنَ مِنْ جَوّ الوَرِيعـــةِ بَعْدَما تعالى النّهارُ واجْتَرْعْنَ الصّرائما

تَحَلّيْنَ ياقوتا وَشَـــذْراً وَصيغةً وَجَـــزْعاً ظَفَـــاريّا وَدُرّا تَوائما

فهذا "قيس بن الخطيم"يقول[5]:

تَراءَتْ لنا يَوْمَ الرّحيلِ بِمُقْلَتْي غَرير بِمُلْتَفٌ مِنَ السّدْر مُفْرِدِ

وَجيدٍ كَجيدِ الرّئمِ صافٍ يزيُنهُ تَوَقدُ ياقـــوتٍ وفَصْلُ زَبَـــرْجَدِ

كَأنّ الثّرَيا فَوْقَ ثُغْرةِ نَحْرِها تَوَقـــدُ في الظّلْماءِ أيْ تَوَقّدِ

ويقول"الأعشى"[6]:

خاشعاتٍ يُظْهِرْنَ أكْسِيةَ الخَزّ وَيَبُـــطْنّ دُونَهَا بِشُـــفوف[7]

وَحَثَثْنَ الجَمالَ يَسْهكْنَ بِاليا غِزِ والأُرجُوَانِ خَمْلَ القَطِيفِ

ويقول "امرؤ القيس" في هذا المعنى[8]:

جَعَلْنَ حَوايا وَاقْتَعدْنَ قَعائِداً وحَفّفْن مِنْ حـــوْكِ العِراقِ المُنّمقِ

وَفَوْقَ الحَوايا غِزْلَةٌ وجآذِرٌ تَضَمّخْن منَ مْسَـــكٍ ذكيّ وَزَنْبَقِ

1-الأعشى، الديوان، تحقيق:عمر فاروق الطباع،دار القلم،بيروت،1993،ص80

2-النجود:ما ينجد بها البيت من بسط وفرش.

3- حمدان،مصطفى،موسوعة الشعر العربي-العصر الجاهلي-(د:م)،بيروت،1970، ج1،ص338-339

4-المفائم:الإبل العظام.

5-المرجع السابق،ج1،ص410.

6- الأعشى،مصدر سابق،ص117

7 -الشفوف:الثياب الرقيقة.

8- ابن حجر،مصدر سابق،ص147-148.

ويقول "المثقب العبدي"[1]:

لَمنْ ظُعُنٌ تُطالعُ منْ صَبيبِ فَما خَرجتْ مَنْ الوادي لحِين

ظَهَرْنَ بِكَلّة وَسدَلْنَ أخرى وَثَقّبْنَ الوصاَوِصَ للعَـــيونِ

وبهذا نرى مظاهر السعادة والبهجة أثناء الرحلة،فالنساء جميلات متعطـرات ومتحليات بأبهى الزينات،غير حزينات،لا يلبسن رثّ الثياب لفقرهن بـسبب القحـط والجدب الذي من أجله ترحل القبيلة،" فما من قوم تجدب ديارهم وتمحل،وتمر أيـام عجاف يعز فيها القوت فتهزل الأجساد وتذوي،يخرجون من هذه الديار متعطـرين متحلين.كان لا بد أن يصور الشاعر رحيل قومه وحبيبته عـن ديـارهم تـصويرا حزينا،يلائم حالتهم الاجتماعية والنفسية ولكن لم يحدث شيء من ذلك. [2].

لقد جـاءت النخلـة فـي القـصيدة الجاهليـة مرتبطـة بمـوروث الـشاعر الأسطوري،ورافقت القصيدة في رحلـة الظعائن،ووصـف المرأة،والبكـاء علـى الراحلين، وفراق المحبوبة وما يلاقيه الشاعر من مرارة البعـد والجفـاء والانتقـال ،حيث ارتبطت الظعائن في أذهان الشعراء بالشجر والسفن،وقد خص الشعراء النخل بأهمية دون غيره من الأشجار،،وقد كثر في أشعارهم تشبيه الظعائن بالنخل المحمّل بالثمر حيث يصور لنا"امرؤ القيس"ذلك،فيقول[3]:

أوَ مَا تَرى أظْعانَهُنّ بَوَاكِراً كَالنّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ

(شبّه الأظعان في ارتفاع هوادجهنّ واختلاف ألوانها بالنخل الذي حان صرامها)

وقال الشاعر"لبيد"[4]:

شَاقتكَ ظُعْنُ الحَيّ حَينَ تحَمّلوا فتكنّسوُا قُطُناً تَصرُ خِيَامُهَا

مِنْ كُلّ مَحْفُوفِ يُظُلّ عِصِيَةُ زَوْجّ عَلَيهِ كِلّـةٌ وقِرَامُها

1- المثقب العبدي، الديوان، تحقيق:حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية،القاهرة،1971،ص32.

2- عبد الرحمن،مرجع سابق،ص131.

3- ابن حجر، مصدر سابق،ص281..

4- لبيد بن أبي ربيعه، الديوان،تحقيق: إحسان عباس،مطبعة الكويت،1962.،ص300.

وقال"عبيد بن الأبرص :[1]:

كَانّ أظْعانَهُنّ نَخلٌ مُوْسّقةً سُودٌ ذَوائبَها بِالحَمْلِ مَكمومَهْ

قال امرئ القيس [2]:

وَفَرْعٍ يَزين المتنَ أسْوَدَ فَاحِمٍ أثِيثٍ كَقِنْو النّخلْةِ المتُعثكلِ[3]

ويقول أيضا[4]:

فَلّمّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ وأسْمَحَتْ هَصَرْتُ[5]بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيْخَ مَيّالِ

وقال "طفيل الغنوي"[6]:

أشَاقَتْكَ أظعَانٌ بِجَفنٍ يَبَنْبَمِ نعم بُكُراً مِثَلَ الغَسيلِ المُكَمّم

وقال"أوس بن حجر"[7]:

وكَأنّ ظُعْنَ الحَيّ مُدْبِـرَ ةً نَخْـلٌ بِزَارَةَ[8]حَمْـــلُهُ السّعْدُ

وقال"امرؤ القيس: أيضا[9]:

عَلَوْنَ بأنْطاكيّةٍ فَـوْقَ عِقْمـــَةٍ[10] كَجِـرْمَةِ نَخْلٍ أوْ كَجَنّـةِ يَثْـرِبِ

وقال أيضا[11]:

فَكَأنّمَا اغْتَبَقَتْ شَمَـــُولاً بَارِداً أوْمَائِعـــاً مِنْ مَائِعِ الجَلْـسِ

سَمَقَتْ بِهِ الصّقْر[12]العِتَاقُ بِشَامَخٍ دُونَ السّماءِ مُصَعّدٍ شَـــكْس

1-عبيد بن الأبرص، مصدر سابق،ص128.

2- ابن حجر، مصدر سابق،ص39.

3-المتعثكل:المتداخل لكثرته.

4-المصدر نفسه،ص61.

5-هصرت:جذبت ومددت.وأراد بالغصن جسمها لنعمته وتثنيه وشبه شعرها بشماريخ النخل لتداخله وغزارته.

6- طفيل الغنوي،الديوان، مصدر سابق،ص72.

7- أوس بن حجر مصدر سابق،،ص22.

8-زارة:حي من أزد السراة،أو هي الأجمة عامة.

9-ابن حجر،مصدر سابق،ص72.

10-العقمة:ضرب من الوشى.

11- المصدر السابق،ص125.

12- الصقر:النخل.

وقال"الأعشى"[1]:

أيّامَ تَجْلُو لَنَا عظَنْ بارِدٍ رَتِلٍ تَخــالُ نَكْهَتَها باللّيْلِ سُيّابَـــا[2]

وشبّه "لبيد بن ربيعة"ريق محبوبته كذلك بنكهة البلح،حيث قال[3]:

وكَأنّ فَاهَا إذْا مّا الليّلُ ألْبَسهَا سَيَابَةٌ ما بِها عَيْبٌ وَلا أثَرُه

وإذ كان الشاعر الجاهلي يفخر كثيرا بأنه"حامي الظعينة"فنراه يفخر كذلك بأنه "حامي النخلة"في موضع حديثه عن الظعائن،قال"امرؤ القيس"[4]:

فَشَبّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمّــا تَكَمّشــُوا حَدائـــِقَ دَوْمٍ أوْ سَفِيناً مــُقَيّرَا[5]

أوِ المُكْرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ(6) وَيْنَ الصّفَا(7) اللاّئِي يَلِينَ المُشَقّرَا(8)

سَوَامــــِقَ جَبارٍ أثِيثٍ فُرُوعــُهُ وَعَالَيْنَ قِنْوَاناً مِنَ البُــسْرِ أحْ

حَمَتْهُ بَنُو الرّبْدَاءِ[9] **مِنْ آلِ يَامــِنٍ بِأسْيَـــافِهِمْ حَتّى أقَرّ وَأوْقِـــرَا**

وَأرْضَى بَنِي الرّبْدَاءِ وَاعْتَمّ زَهْوُهُ وأكْمـــــَامُه[10] **حَتّى إذَا مَا تَهَصّرَا**

أطَافَتْ بِهِ جَيْــلانُ(11) عِنـــْدَ قِطَاعِهِ تَرَدّد فيهِ العَيْـــنُ حَتّى تَحَيـــّرَا

كَأنّ دُمَى سُقــْفٍ[12] **عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَا مُزْبِدِ السّاجُومِ وَشّياً مُصَوّرَا**

غَرَائــِرُ[13] **فِي كِنٍ وَصَوْنٍ ونِعْـــمَةٍ يُحَلّيْنَ يَــاقُوتاً وَشـــَذْراً مُفــَقّرَا**

1- الأعشى،الديوان مصدر سابق،ص17.

2- السياب:البلح.

3- لبيد بن ربيعة، مصدر سابق،ص56.

4-ابن حجر، مصدر سابق،ص331-334.

5-المقير:المطلي بالقار،وهو الزفت.

6-آل يامن:جماعة من هجر اشتهروا بامتلاك الكثير من النخيل والسفن.

7-الصفا:حصن لعبد القيس على مقربة من مدينة هجر.

8-المشقر:حصن آخر لعبد القيس أيضا. وقيل هو حصن بين نجران والبحرين.

9-بنو الربداء:قيل إنهم قوم من الحبشة.

10-الأكمام:أقماع البسر.

11-جيلان:قوم اتخذهم كسرى عمالا في البحرين .

12-سقف:جبل بديار

13-الغرائر:الغوا فل اللواتي لا تجربة لهن لصيانتهن.

2 . 4 -الإنسان أسطوريا(الرجل،المرأة)

أناقش في هذا الفصل صورة الرجل والمرأة التي شاعت في الشعر الجاهلي،وكانت من قبل الشعراء الذين تفننوا في طريقة الوصف،وكذلك تفننوا في شعر الأوصاف المختلفة للرجل من حيث أن الشعراء لهم جنيات لقول الشعر أو شياطين يمدونهم بذلك وكذلك من حيث عبادة المرأة وتقديسها،ثم نستعرض الدراسات التي قيلت في هذا المجال.

1.2.4-الشاعر:

لقد كانت مكانة الشاعر القديم أشبه بمكانة العراف منها بمنزلة الأديب الفنان،يشهد على ذلك الاسم الذي عرف به وهو شاعر[1]،أي عارف بالسحر أو الأسرار الروحانية[2].

وانبثق من بين صفوف المجتمع الشاعر الفنان،بوصفه أول المحترفين،لما كان يمتلك مواهب خاصة،فقد كان هو الذي مهد الطريق لظهور طبقة الكهنة الحقيقة التي تدّعي أنّ لديها قدرات ومعارف غير عادية،وأنّ لها نوعا من القداسة[3].

والشاعر عندما يستعين بالموسيقى الكلامية إنما يستعين بأقوى الطرق الإيحائية؛ لأن الموسيقى طريق السمو بالأرواح والتعبير عما يعجز التعبير عنه[4]وقد آمن العرب أنّ الشعراء يمتلكون قُوى خارقة،ويعلمون ما لا يعلم غيرهم،وأنّهم يستلهمون قوىّ خفية قادرة على إيذاء الخصوم،وأنّ الشعر والسحر مصدرهما

1- ابن منظور،مصدر سابق،،(شعر)،مج11،ص77.

2- غوستاف فون،غرنباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة:إحسان عباس وآخرون ،مكتبة الحياة،بيروت،1959،ص137.

3- أر نولد،هاو زر،فلسفة تاريخ الفن، ترجمة:رمزي عبده جرجس،مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ،1968،ج1، ص34.

4- هلال، محمد غنيمي،النقد الأدبي الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،1971،ص381.

(عبقر) المليء من الأرواح المُلهمة، وعالم الجن الخفي المُستتر،وأن لّكل شاعر فحل مُلهم صديقا من الجان يقول على لسانه الشعر،ومن أجل ذلك قال راجز هم[1]:

إنّي وأن كنت صغير السّنّ وكان في العين نبوّ عنّي

فإنّ شيطاني أمير الجنّ يذهب بي في الشّعر كلّ فنّ

(يقول مهما كان هناك بعد عني من عيون الناس بسبب صغر سني، فإن شيطاني قوي وهو مسؤول كبير بين أعوانه يعلمني الشعر في كل فنونه وأغراضه)

وزعم في موضع آخر أنه لم يكن متعلّما وإنما مسحل يسعفه بعبقري الشعر، فقال[2]:

وما كنتُ شاحِرداً ولكن حَسِبْتُني إذا مسْحَلُ سَدّى لي القولَ أنطِقُ

(يقول بأنّ مسحل هو الذي يسعفني دائما عند قولي الشعر)

وقد عرض الجاحظ في كتاب"الحيوان"[3]صورا مختلفة لاعتقاد العرب بالجن ومن خنقته الجن واستهوته،ومن رآها وسمع عزيفها.ووصف "القرشي"الأشكال التي تتخيل بها الجن كصورة قط ،أو قنفذ،أو نعامة،أو ثعبان[4].وفي أساطيرهم أخبار كثيرة تدلّ على إيمانهم بالجنّ وتفسيرهم لكثير من المظاهر الطبيعية والمشكلات التي تواجههم تفسيرات تدل على أنّ للجنّ أثرا فيحدوثها[5].وفي القرآن الكريم إشارة صريحة تدل على أن كثيرا من العرب عبد الجن واتّخذها آلهة. وقال تعالى :(**وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ** [6] قال تعالى: (**قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**)[7]

1-الجاحظ،مصدر سابق، ج8،ص231.

2- ديوان الأعشى الكبير،الأعشى:ميمون بن قيس،تحقيق:محمد محمد حسين،المطبعة النموذجية، القاهرة،1950،ص125.

3- القرشي،جمهرة أشعار العرب،المطبعة الرحمانية، القاهرة،1926،ص49.

4- الجاحظ،مصدر سابق، ص125.

5- الأصفهاني،الأغاني،مطبعة ساسي،(د:ن)1975،ج18،ص209.

6-سورة الأنعام،آية100.

7-سورة سبأ،آية 41.

وأشار حسان بن ثابت الأنصاري إلى جنيّة الفحل الذي ينتمي إلـــى عـــشيرة"بنـــي الشيصبان" من الجنّ،والذي يلهمه أعذب الشعر[1]:

ولَيِ صـــاحبُ من بنيِ الشّيصبان فطوراً أقولُ وطوراً هُوَهْ

(يشير هنا إلى جني بني الشيصبان الذي يلهم الشعر للشعراء منذ البداية)

كان الغرض من الشعر قبل كل شيء هو السحر الذي يدير الحياة البشرية يومئذ[2]، وواضح أن العنصر المشترك بين السحر والشعر بعامة والهجاء بخاصة هو"الغموض الذي يحيط بهما والرهبة التي يتركها السحر والهجاء في النفوس[3]"تلك هي الحقيقة التي سجلها "عبد قيس بن خفاف البر جمي"في قوله [4]:

فأصـــبحتُ أعددتُ للنائبا تِ عِرْضاً بريئاً عَضبْاً صقَيلا

ووقعَ لســـانٍ كحدِ السّنانِ ورُمحـــاً طويلَ القنـــاةِ عَسوُلا

(فقد أعدّ للمصائب سيفا حادا قاطعا؛ لأن تأثير اللسان على المرء أقوى من حد السنان)

ولعل مصدر هذا الخوف من الهجاء راجع إلى ما وقر في نفوس العرب من أن لكل شاعر صاحبا من الجن والشيطان وفي هذا المعنى يقول امرؤ القيس[5]:

تُخَيّرني الجنُ أشعارهَا فما شِئْتُ من شِعْرهِنّ اصطفْيتُ

(إنني أختار واصطفي من شعر الجن والشياطن ما أراد)

يحيط بهما والرهبة التي يتركها السحر والهجاء في النفوس[6]تلك هي الحقيقة التي سجلها "عبد قيس بن خفاف البر جمي"في قوله [7]:

1-حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق:عبد الرحمن البرقوقي،دار الكتاب العربي،بيروت،1981،ص475.

2- القيسي،مرجع سابق،ص51.

3- الجبوري،يحي ،الشعر الجاهلي-خصائصه وفنونه،دار التربية للطباعة،بغداد،1972،ص226.

4-المفضل الضبي،مصدر سابق،ق117،ص368.

5-ابن حجر، مصدر سابق،ق77،ص322.

6- الأعشى الكبير،مصدر سابق،ق15،ص125.

7- اليشكري،سويد بن أبي كاهل اليشكري، الديوان،تحقيق: شاكر العاشور،دار الطباعة الحديثة، البصرة،1972،ق10،ص29.

بوصفهم أي"الجن والشياطين" مثال الشر،ومصدر قوة السحرة والشعراء، ولعل من أوضح ما يطالعنا من نصوص ارتباط الشيطان بالشر وإعانة الشعراء عليه أبيات الأعشى حيث يقول[1]:

دَعَوتُ خَليلي مسحَلاً ودَعَوْا لَهُ جَهَنّامَ جَدْعاً للهجينِ المُذَمّم

حَبَاني أخي الجِنّي نَفسِي فِداؤهُ بأفيَحَ جَيّاشِ العَشيّاتِ خِضْرِمِ

(يقول إنني أدعو صديقي مسحلا لينطقني أعذب الشعر وأفضله وإن هذا الشيطان قدم نفسه فداء لي واسقاني الماء الكثير)

ويذهب "سويد بن أبي كاهل اليشكري"[2]إلى أبعد من هذا حين يصرح بأن شيطانا أتاه ملبيا طائعا–من تلقائه–لينصره على شيطان خصمه،ويجعله يفر هاربا،وهذا ما تتأمله في قوله:

فَرّ مِنْي هَــارباً شَــيــطانُهُ حيث لا يُعطى ولا شيئا منَعْ

وأتاني صــاحبٌ ذو غــيّثٍ زَفَيَانُ [3]عند إنْفــــادِ القُرَعْ

قالَ لبيّـــك وما اسْتصرْختهُ حَاقراً للناسِ من قَوّال القذعْ

(يقول بأن شيطاني حضر ملبيا طائعا من تلقاء نفسه للانتصار على شيطان خصمي ليجعله يفر هاربا بعيدا)

2.2.4–الكاهن:

لم يكن الكاهن–كما يتصور–هو الذي يقوم بالوساطة بين النــاس والمعبــود الذي يمثله، بل كان فمه الناطق [4]،وإذا نظرنا إلى ذلك التصور الذي ساد منذ قــديم الزمان،وفحواه"إن الكهنة قد خصهم الآلهة بهبة اختراق الغيب،ومقاومة الشر،فــصار بوسعهم التنبؤ بوساطة عناصر عدة، وعلامات فأل كثيرة، وتسخيرها لخدمتهم"[5].

1– ديوان الأعشى الكبير،مصدر سابق،ق15،ص125.

2– اليشكري،مصدر سابق،ق10،ص29.

3–الزقيان:الخفيف السريع.

4– ميخائيل ،نجيب،مصر والشرق الأدنى، دار المعارف،القاهرة،ط2، 1966،ج4،ص269.

5– الأحمد،سامي سعيد، االمعتقدات الدينية في العراق القديم،مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1988،ص64.

أدركنا من هذا كله مدى تعلق الناس بهم وهو"الرغبة في التعرف على مصائرهم وكشف المستقبل"لهذا نلاحظ أن الكهانة تمثل تطبيقا عمليا للفكر الأسطوري،وأنها موغلة في القدم التاريخي فلا نستبعد معه أن تكون "كهانة العرب"في المجتمع الجاهلي إفرازا لها،ومرحلة متطورة تعيش أرض الواقع بمعطيات أسطورية غيبية موروثة،وأن "الكاهن شخص غير طبيعي ذو صلة بالآلهة والجن"[1].ويعد القرآن أوثق مصدرٍ أشار إلى حقيقة وجود الكهان في المجتمع الجاهلي في معرض نعت المشركين للنبي(صلى الله عليه وسلم)بالكاهن،ومن هذه الآيات قوله تعالى:**(فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ)** [2] وقال تعالى أيضا: **(وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)** [3]

من مفهوم الآيتين السابقتين عند العرب أستقر في أذهانهم أن مع كل واحد من الكهان"رئيا من الجن"أو شيطانا يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه،وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى يقول: **(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا)**[4]
وفي هذا المعنى، قال الشاعر أمية بن أبي الصلت:

وتَرى شيَاطيناً تَروُعُ مُضافةً وَرواغـــها شتى إذا ما تُطرَدُ
يُلقى عليـها في السماء مذّلةً وكواكـــبٌ تُرمى بـــها فتعَرّدَ

أما فيما يتعلق بشأن الحوادث المستقبلية،نطالع خبرا أن الزباء–صاحبة جذيمة الأبرش–كانت قد سألت عن أمرها كهنة فقالوا لها:نرى هلاكك بسبب"عمرو بن عدي"ولكن حتفك بيدك فحذرت عمرا،واتخذت نفقا من مجلسها إلى حصن لها داخل

1– جياووك،مصطفى عبد اللطيف،الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد،1977،ص124

2–سورة الطور،آية 29,

3–سورة الحاقة،آية 42.

4–سورة الجن،آية 9.

مدينتها،[1]وهذا ما لّمح إليه المخّبل السعدي في إحدى قصائد ديوانه يقول[2]:

يا عمروُ إني قد هَويتُ جماعَكُمْ ولكلّ منْ يهوى الجماعَ فِراقُ

بل كم رَأيتُ الدهّــرَ زايل بينَهُ مــن لا يُزايلُ بينه الأخلاقُ

طَابتْ به الزّبّا وقد جَعــلتْ لها دُراً ومُشــربةٌ لها أنفَــاقُ

وفي سيرة الشاعر"أفنون التغلبي"يقال بأنه سأل كاهنا عن موته،فأخبره أن يموت بمكان يقال له"الآلهة"وعند سماعه (نبوءة الكاهن)أصبحت قدرا حتميــا عليــه فأخــذ يصور تلك النبوءة في أبيات من الشعر[3]

يا أيّها المزمعُ وشَك النوى لا يثنكُ الحازي ولا الشاحِجُ

ولا وُعولُ نخشّــتْ كُدساً خارجــها من غمرةٍ والجُ

كلٌ لـــــه داعٍ إلى وقــته ليس لنفس عن ردىّ خَالِجُ

(يقول بأن الإنسان المنتهي أجله عليه القيام بالعمل الجاد ويجب إلا يثنيه قول الكاهن والغراب عن أي شيء لأن كل إنسان لا يستطيع ردّ القضاء عنه متى حان وقرب)

وما له علاقة بالكهنة أيضا(طرق الحصى)بوصفه ضربا آخر من التكهن عند العرب حيث لمّح إليه بعض الشعراء...ومنهم أبو ذؤيب الهذلي عندما قال[4]:

يقولون لي:لو كانَ بالرّملِ لم يَمُتْ نُشَيبْةُ والطّراقُ يَكذبُ قِيلهُا

أما (العائف) فهو المتكهن بالطير وغيره،وكانت عند اليونان أشبه شيء بها عند العرب[5].

1- ابن الأثير،الكامل في التاريخ،دار بيروت للطباعة والنشر،1965،ج1،ص249.

2- المخبل السعدى-حياته وما تبقى من شعره- الديوان:حاتم الضامن،،(د.ن:د:م)،(د:ت). ق21، 1985، ص 127-128.

3- البحتري،الحماسة،المطبعة الرحمانية،القاهرة،1929،ص259.

4- حمد،عيسى،الهذليين،الديوان،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،1965،ج1،ص33.

5- المعلوف، شفيق ،عبقر، منشورات العصبة الأندلسية،دار الطباعة والنشر العربية،سان باولو-البرازيل،ط2، 1949،ص121-122.

ويفضل الكهان رسوخ هذه المعتقدات في نفوس العرب مع اختلاف في بعض تفاصيلها،فلم يكن العرب كلهم متفقين على أمر "السانح والبارح"فأهل نجد يتيمنون بالسانح،وأهل الحجاز يتشاءمون منه،وفي هذا المجال يقول أبو ذؤيب الهذلي[1]:

أبا الصّرْ مِ منْ أسماءَ حدّثكَ الذي جَرَى بيننا يـــومَ استقلّتْ رِكابُها

زَجرتَ لها طير السنيحِ فإنْ تُصبْ هَواكَ الذي تَهْوى يُصِبْكَ اجتنابُها

أما في نظرة التشاؤم المكنونة في النفس الإنسانية إزاء الموت،وأنه قدر محتوم يقول"المثقب العبدي"[2]:

ولو كنتُ في بيت تُسَدّ خُصاصهُ حوالّى منْ أبناء بكرةَ مجلسُ

ولو كان عنـــدي حازيان وكاهنٌ وعلّقَ أنحاساً علىّ المُنحّسُ

إذنْ لأتتني حيـــثُ كنـــتُ منيتي يخبّ بـــها هادٍ إلىّ مُعَفْرِسُ

(يقول باختصار أنني مهما كنت سوف تأتي إليّ منيتي)

وكذلك اعتبروا بأن الكهنة يطيبون المرضى من العشق وقد امتدت هذه المعتقدات إلى ما بعد ظهور الإسلام.ولنا في الشاعر العاشق"عروة بن حزام" مثلا حيث استنجد بعرافين من عشق عفراء قائلا[3]:

جعلتُ لِعرّاف اليمـــامة حُكمَهُ وعرّافِ حجّرِ إنْ هُمَا شفَياني

فما تركا من رقُـــيْة يعلمانِها ولا شَربْةٍ إلا وقـــدْ سَقَياني

(يقول ذهبت لعراف اليمامة وعراف حجر من أجل شفائي من العشق فلم يتركا رقية ولا شربة من دواء إلا وقد شربتها)

ومن استنجاد العاشق"جبيهاء الأشجعي"بالعراف "عروة بن زيد الأسدي"في قوله[4]:

أقامَ هَوىَ صفيةَ في فؤادي وقد سيرت كل هوى حبيبِ

1- حمد،مصدر سابق،ج1،ص70.

2- البحتري، مصدر سابق،ق441،ص97.

3-عروة بن حزام،الديوان،تحقيق:إبراهيم السامرائي،وأحمد مطلوب،دار الحرية للطباعة، بغداد، (د:ت)، ق1،ص14.

4- الجاحظ،مصدر سابق،ج6،ص205.

ولكن الكهانة والعرافة لم تقتصر على الرجال،إنما احترفتها النساء أيضا،من حيث التنبؤ بالغيب والاحتكام إليهن في الخصومات والمنافرات.وإن دلّ ذلك فإنما يدل على أن المرأة في نظر المجتمع جديرة بأن تستفتى وأن تنبئ بالغيب بفضل اتباعهن من الجان[1].

3.2.4-السيد:

لقد أطلق على لفظة السيد ألقاب متعددة مثل:"السيد والأب، والشيخ، والعميد، والأمير ،والحامي"وغيرها من الألقاب الأخرى التي تعكس وحدة القبيلة،ويقول الأفوه الأودى[2]:

والبـــيتُ لا يُبتنى إلا لهُ عَمَـــــدٌ ولا عِمادَ إذا لم تُرسَ أوتاد

أما عن ربط الشعراء وسادتهم والكواكب المؤلهة فقد قال زهير بن أبي ســلمى في مدح سيد بني فزارة(حصن بن حذيفة) حيث قرنه بالقمر كرمز للخير والعطــاء، ودلالة الرمز هذه نفسها في أساطير العالم القديم[3]:

وأبيضَ فياضٍ يَدَاه غَمامةٌ على مُعْتفيه ما تُغِبّ نوافِلُهْ

والسيد"يستضاء به"كما يستضاء بالقمر في قول مالك بن حريم[4]:

ومنّا رئيسٌ يُستضاء به سَناءً وحِلْماً فيه فاجتمعا معا

أما فقده فيعني احتجاباً لنور الكواكب التي يعمد الشاعر إلى ربط ما يعتورها من كسوف وخسوف،وهذا ما انتهت إليه قناعة الشاعر"أوس:في رثائه سيد بني أسد فقال [5]:

ألمْ تُكْسَفِ الشمسُ والبدرُ والكواكبُ للجبلِ الواجبِ
لِفقدِ فَضَالةً لا تَستْــوَي الــ فُقُــودُ ولا خَلّةُ الذاهِبِ

1- الحوفي،أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر،القاهرة، 1890،ص409.

2-الأفوه الأودي، الديوان،ضمن كتاب(الطرائف الأدبية)،صنعه:عبد العزيــز الميمني،مطبعــة لجنــة التــأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1937، ص10.

3- زهير بن أبي سلمى،الديوان،السكري،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القومية للطباعة،القاهرة،1950،ص129.

4-الأصمعي،مصدر سابق،ق15،ص66.

5- أوس بن حجر،الديوان،تحقيق:محمد يوسف نجم،ط2،دار صادر،بيروت،1967،ق4، ص10.

ومما له صلة بأبعاد الشخصية(سادات القبائل)الأسطورية فمن أبناء القبائل وشعرائها ألفوا تسمية السادة"أربابا"وفي هذا المجال يقول لبيد بن ربيعة[1]:

وأهلكنَ يوماً ربّ كندةَ وابنَهُ وربّ مَعدٍ بين خَبْتٍ وعَرعْرِ

(أي أن الهلاك يصيب ربّ كندة وهو الزعيم في نظرهم والسيد عندهم)

وهذا السيد"الرب"هو موروث للشمائل السامية.

كما صوره لنا النابغة الذبياني في مديحه للنعمان بن وائل الجلاح الكلبي [2]:

تَخُبّ إلى النّعمانِ حتى تنالَهُ فِدى لك من ربّ طريفٍ وتالدي

عَلْوتُ معــدّاً نائــلاً ونِكاية فأنــت لِغَيــث الحمدِ أولُ رائِدِ

ومن أبرز ما خص به هؤلاء السادة الأرباب من مظاهر التأليه والتقديس، ظاهرة (الحمى)حيث أصبحت بصورها الجديدة مقرونة ب"سيد ربيعة"ونعني به (كليب وائل)حيث أصبح له حمى لوحدة الرعى ومكان خاص لشرب الماشية ومنع الصيد وغيرها من الأمور جاء شعرا[3]:

نُبئتُ أن النارَ بعدك أوقِدتْ واستبّ بعدَك يا كليبُ المجلسُ

وتكلمّوا في أمرِ كل عظيمةٍ لو كَنتْ شَاهدَهمْ بها لم ينبسِوا

ومن مظاهر تقديس العرب للسادة والارتقاء بهم إلى مستوى العبادة ما أكده المخبل السعدي عن الزبرقان الذي كان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضخ والطيب"[4]:

وأشهدَ منْ عَوفِ حلولاً كثيرةً يحجّونَ سِبَ الزّبَرقان المُزعْفرا

وللسيد أو الرئيس عندهم منزلة سامية داخل قومه،وله امتيازات وخصوصا عند

1- لبيد بن ربيعه،مصدر سابق،ق8،ص55.

2- النابغة الذبياني، الديوان،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة،ط2، 1985،ق25،ص140

3-المهلهل بن ربيعة التغلبي-حياته وشعره-،دراسة وتحقيق:نافع منجل شاهين،رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية،1986،ق21،ص273.

4- المخبل السعدي،مصدر سابق،ق13،ص125.

تقسيم غنائم الحرب وفي هذا الشأن قال:"عبد الله بن عنمة في رثائه بني شيبان(بسطام بن قيس)[1]:

لكَ المِرْباعُ[2]منْها والصّفايَا وحُكمُكَ والنّشِيطةُ والفُضُولُ

(يقول لك خيار الغنائم من الحرب مثل والنشيطة والفضول وهي كرام الخيل)

ومما تعارف عليه في الجاهلية أن السيد المقتول يبعد "القلت"أي الهلاك عن الأولاد الصغار،إذا خطت المرأة"المقلات"أي التي لا يعيش لها ولد إلا بعد سيرها سبع خطوات فوق جثمان السيد المقتول،وفي هذا قال بشر بن أبي خازم[3].

تَظَلّ مقالِيتُ النساءِ يَطأنهُ يَقلّنّ ألا يُلْقَى على المرء مئْزرُ

(يقول بأن النساء يظللنّ يطأن السيد المقتول من أجل الخلفة)

إن الصور الراسخة في تصور الشعراء بالنسبة للسيد المقتول،منها الدعاء بسقيا القبر وأن حياته حياتهم وهلاكه هلاكهم،فضلا عن تشبيه هؤلاء السادة ب"نجوم سماء"وفي هذا يقول "أبوالطمحان القيني [4]:

وإنّي مَنْ القومِ الذين هم هم إذا ماتَ منهم سيْدٌ قامَ صاحبُهْ

نجومُ سَماءٍ كلما غابَ كوكبٌ بَدَا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُ

(يقول إنني من القوم الذي أن مات سيد في قومة حل غيره فهم نجوم سماء إذا ظهر منهم كوكب).

لهذا كان السادة في ذهن الشعراء يملكون قدرات خاصة عن غيرهم، وكانوا يؤمنون بقدراته الخلقية والقدرات الغيبية ذات الامتداد الأسطوري الموروث أيضا.

4.2.4-البطل:

لقد اعتادت المجتمعات الإنسانية خلال عصورها على وجود شخصيات إنسانية منفردة مثل"الساحر والشاعر والملك والسيد"وكان للبطل احترام ظاهر عند

1-الأصمعي،مصدر سابق،ق8،ص37.

2-المر باع:ربع الغنيمة.

3-ابن قتيبة،عيون الأخبار،المؤسسة المصرية للطباعة، القاهرة، 1963، ق2،ص113.

4-أبو الطمحان القيني، حياته وما تبقى من شعره، جمع تحقيق:محمد نايف الدليمي،مجلة المورد-م17،ع3، 1988،ق1،ص157.

الشعراء لما يأتيه من أعمال خارقة جعلته موضع تبجيل وتقديس،بل لقد كانوا يظنونه أحيانا من سلالة الآلهة[1] وقد عني أساتذة التحليل النفسي بأبطال الأدب والأساطير. ونظرتهم في ذلك"أن هذه الشخوص الشبيهة بالآلهة،هي في الحقيقة رمز عن كل النفس الهوية الأعظم شمولا التي تؤمن القوة التي يفتقر إليها الأنا الشخصية"[2]. فاصبح البطل تعبيرا عن الجماعة أو عن وظيفة اجتماعية هذا ما جاءفي رؤية كليب بن ربيعة بقوله[3]:

وما النّاسُ إلا تَابعونَ لواحدٍ إذا كان فيه آلةُ المجدِ والفخرِ

(يقول إن الناس يتبعون بطلا واحداً لأنه في نظرهم رمز المجد والفخر)

ومن الأبطال من فازوا بألقاب لم يفز بها أحد من قبل مثل:"حامي الظعينة،وهذا ما نلحظه في قول دريد بن الصمة[4]:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلهِ حَامِي الظعينةَ فارســاً لم يُقتَلِ

أرَدىْ فوارسَ لم يكونوا نُهْزَةً ثم استـــــــــمرّ كأنهُ لم يَفعلِ

(يقول لم اسمع ولم أر فارسا مثل حامي الظعينة و حيث يقتل الفوارس بدون اكتراث)

وكذلك فإن عقر الناقة لم تقف عند قبر ابن مكدم بل تعداه إلى قبر"النجاشي"حيث قال الشاعر[5]:

عَقرتُ على قبرِ النجاشيّ نَاقتي بِأبيضَ عَضبِ أخلصهُ صياقلُهْ

على قبرِ مَنْ لو أنني مُت قــبلَهُ لهانتْ عليه عندَ قَبريِ رواحِلُهْ

(يقول لقد عقرت ناقتي احتراما لهذا الإنسان،وإنني لو مت لكانت رواحلي عند قبره)

1- ضيف، شوقي،البطولة في الشعر العربي،(سلسلة اقرأ)،ع331،دار المعارف، القاهرة،1970،ص9.

2- يونغ،كارل جوستاف،الإنسان ورموزه،ترجمة: سمير علي،دار الحرية للطباعة، بغداد،1984، ص20.

3-عياد،مرجع سابق،ص7.

4- لويس شخو اليسوعي،شعراء النصرانية-قبل الإسلام-،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،ط2، 1967،ص141.

5- المبرد،الكامل في اللغة والأدب،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته،دار نهـضة مـصر للطبـع والنشر،القاهرة،(د:ت)،ج4، ص88.

ومن المظاهر الطقوسية الأخرى المقترنة برثاء"ربيعة بن مكدم"الدعاء بسقيا قبره الذي يمثل انشدادا إلى عالم ما وراء الطبيعة،ولقد كان لدعاء القبر بالسقيا جذورٌفي أساطير الأمم , وإن اختلف مضمون طقوسه من أمة إلى أخرى،لكن الجميع متفقون على توضيح فكرة الميثاق والعهد بين الأحياء والأموات،هذه الفكرة نراها مجسدة في قول المتلمس الضبعي[1] :

خَليليّ أما متْ يَوماً وزُخرِحتْ مَنايِاكما فيـــــما يُزحْزِحُهُ الدّهرُ

فُمراً على قبريِ فَقومْا فسلما وقولا : سَقاكَ الغيثُ والقطرُ يا قبرُ

(يقول الشعر اطلبوا له على قبره بالسقيا ونزول المطر)

ويمكننا أن نتلمس مظاهر تأليـــه الأبطـــال،من اقتـــرانهم بالكواكـــب والنجـــوم المؤلهة،كما كان"صخر"– في نظر أخته الخنساء الشاعرة–موازيا للقمـــر أو بمعنـــى آخر للإله "القمر" فنطالع قولها[2]:

كُنّا كأنجُمِ ليلٍ وَسْطهَا قَمَرُ يَجلوُ الدّجى فهوى مِنْ بيننا القمرُ

(يقول نحن كلنا نجوم وهو الوحيد القمر بيننا)

ونلاحظ أن الخنساء ترثي أخاها وتعتبره"حامي الحقيقة،والعرين والديار فهو دليل على تألية "صخر"حيث تقول[3]:

حَامي الحقيقةِ والمُجِير إذا ما خِيْفَ حدّ نَوائبِ الدهر

فالرجل الكريم في الشعر الجاهلي ليس واحدا من الناس،ذلك أنـــه يتجـــاوز حجـــب المجتمع الإنساني لكي يتصل بالطبيعة ويأخذ إلهامه من السحاب،فالرجل الكريم دائما موهوب كما يوهب الشعراء ،وتقول الخنساء[4]:

هوُ الفتى الكاملُ الحَامي حقيقتَهُ مَأوى الضَريكِ إذا ما جاء مُنتابَا

(تقول الخنساء بأنه حامي الحقيقة الفتي الكامل في تصرفاته مأوى للعشيرة دائما)

1– المتلمس الضبعي، الديوان، تحقيق:حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية –جامعة الدول العربية،القاهرة، 1970،ق17،ص256.

2– الخنساء، الديوان ،دار التراث،بيروت،1968،ص73.

3– المصدر السابق،ص56.

4– المصدر نفسه،ص8.

5.2.4- الملك:

في حضارة وادي النيل نطالع أنّ ملك مصر نفسه هو أحد الآلهة،وممثل البلاد بين الآلهة،وهو الوسيط الرسمي الوحيد بين الشعب والآلهة.ويقول أحد أفراد الشعب المصري إن الملك هو الابن الجسدي الذي جاء من صلب الإله الشمس[1].وفي العصر البرهمي،أحد عصور الحضارة الهندية،كان الحكم ملكيا،حيث كان الملك يطاع في كل أوامره كإله والألوهية تتجسم في صورة الملك البشرية[2]. ونلاحظ أن تاريخ الملوك سلسلة متصلة الحلقات ماثلة أمام أعيننا في الحضارة العربية الجنوبية،حين نقرأ أنّ لقب"مكرب"وهي كلمة دينية تعني المقدس،أو أمير الكهنوت تجمع بين الكهانة والملك كانت تطلق على القائم على أمور الدولة السبيئة،على الحقبة الأولى من حكمها، وفي الحقبة الثانية يظهر أن الملك تجرد من صفته الكهنوتية، وبقي محتفظا بالسلطة الدنيوية،وعرف بملك سبأ،ثم في الحقبة الثالثة كانوا يلقبونه بملك"سبأ وريدان" [3]

اعتقاد بعض الناس أن الملوك يمتلكون القوى السحرية والإعجازية،وأنهم يستطيعون بهاإخصاب الأرض ومنح الخير والبركات والخير لبقية الأشياء،وهذا ما نتأمله في مخاطبة علقمة الفحل للحارث الغساني قائلا [4]:

ولست لأنسيّ ولكنْ لِمَلاكٍ تَنزّلَ مِنْ جو السماء يصُوبُ

والنابغة الذبياني يذهب كذلك إلى تجسيد بعض الصفات الألوهية في ملكه "النعمان بن المنذر"من حيث امتلاكه على الموت والحياة فيقول[5]:

وأنتَ ربيعٌ يُنعشُ الناسَ سيْبَهُ وسيفٌ أعْيرته المنَيةُ قاطعُ

وتشبيه الملوك بالكواكب يدخل ضمن هذا المجال فيقول النابغة في ملك النعمان [6]:

بأنّكَ شمْسٌ والملوكُ كوَاكِبٌ إذا طَلَعَتْ لمْ يَبدُ منهنّ كوكَبُ

1- فرانكفورت، هنري، وآخرون،ما قبل الفلسفة،ترجمة:جبرا إبراهيم جبرا،مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر،دار مكتبة الحياة،بغداد،1960،،ص83-85.

2- لوبون، غوستاف ،حضارات الهند،ترجمة:عادل زعيتر،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،القاهرة،1948،ص306.

3- نيلسن، ديتلف،وآخرون،التاريخ العربي القديم،ترجمة:فؤاد حسنين،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1959،ص124.

4- علقمة الفحل،الديوان،تحقيق:لطفي الصقال ودرية الخطيب،مطبعة الأصيل،حلب،1969،ص18,

5- النابغة الذبياني،مصدر سابق،ق2،ص38.

6- المصدر نفسه،ق8،ص73-74.

ومما يتعلق بدواعي ألقاب الملوك وتسمياتهم،أنّ الملك عامر"ماء المزن"قد عرف بهذا الاسم"لأنه كان إذا نزل بقومه القحط فتح بيوت أمواله وعالهم،ولهذا كـــانوا يقولـــون كفانا"عامر"قحطنا،وقد أودع الشاعر"حسان بن ثابت"هذه الحقيقة مفتخرا به وبانتسابه إلى هذا الملك [1].

مُلوكٌ وأبناءَ الملوكِ كأنّنا سَوارِى نُجومٍ طالعاتٍ بمشْرقِ

ومن أجمل ما نلاحظه من نصوص تكشف عن شعور اليأس والإحساس بالأسى الموجع بنهاية حياة الملوك قول الشاعر"الأسود بن يعفر"[2]:

ماذا أومّـلُ بعـــد آلِ مُحرّقٍ تَركـــوُا مَنْـــازلهمْ وبعـــدَ إيادِ

أهلِ الخَورنقِ والسَدِ يرِ وبارِقِ والقُصرْ ذيِ الشرّفَاتِ مِنْ سنْدادِ

فإذا النَـــــعيمُ وكلّ ما يُلهى بِهْ يَومـــاً يَصـــــيرُ إلى بلىّ ونَفادِ

(يصور النعيم الذي زال عن أهل الخورنق والسد ير، بحالة من الألم المحزن)

ويبدو موقف الشاعر"حسان بن ثابت"في موت الملك،مختلفاً عن بقية الشعراء من خلال صيغة تعليلية مصدرها صلة نسبه بالملوك ونتأمل هنا ما يقول[3]:

ألمْ تَرنا أولادُ عمرِو بنْ عَامرِ لنا شَرفٌ يَعلوُ على كلّ مُرْتقى

مُلوكٌ وأبنـــــاءُ المـــلوكِ كأننا سَواري نجومِ طالعاتِ بمشْرقِ

إذا غَابَ منْها كوكبٌ لاحَ بعدهُ شِهابٌ متى ما يبدُ للأرض تُشْرِقِ

(يقول نحن أولاد عمرو بن عامر لنا شرف عال على الناس، لأننـــا ملـــوك وأبنـــاء ملوك ،وإن ذهب منا واحد ظهر بعده نجم آخر يسطع في السماء)

ويقف الشاعر "زهير بن أبي سلمى"موقف المذهول حين سمع بموت الملك النعمان بن المنذر الذي رأى فيه دليلا على ما كان يتوهمه في خلود الملوك راسما

1- حسان بن ثابت،مصدر سابق،ص242

2-ابن بشر النهشلي،الأسود، الديوان،،صنعه:نوري القيسي، مطبعة الجمهورية،بغداد،1988،ق13ص26-27.

3- حسان بن ثابت،مصدر سابق،ص342.

أبعاد هذه الصورة في قوله[1]:

ألا لَيتَ شِعْرِي هل يَرَى النّاسُ ما أرَى منَ الأمرِ أو يَبدُو لَهُم ما بَدالِيا
ألا لا أرَى على الحَـوادثِ باقيـــاً ولا خالداً إلاّ الجبـــالَ الرّواسِيا
وإلاّ السَماءَ والبِـــــــــلادَ وربّنا وأيّامَنا مَعـدودةً واللّيـــــــاليا
ألم تَرَ لَلنّعمـــــــــانِ كانَ بنَـجـوةٍ منَ العَيشِ لو أنّ أمراً كانَ ناجِيا

(يقول هل ترى من الأمر ما أرى على ذهاب النعمان وموته)

وقد يعمد بعض الشعراء إلى إيصال الأثر الذي يتركه الملك إلى الطبيعة كما صور لنا ذلك الشاعر"النابغة الذبياني" في رثائه أحد ملوك الغساسنة قائلا[2]:

بكّى حارثُ الجَوْلانِ مِنْ فَقْد ربّه وحورانُ منه مُوحِشٌ متضائِلُ

(يقول إن الجبل حزين على فقد صاحبه الملك،وإن البلاد أصبحت موحشة حزينة من بعده)

أما هجو الشعراء للملوك فكان من أكثر الأسلحة المستخدمة لدى بعض الشعراء وأشدها أيضا،وذلك بتفاوت بين الشعراء حسب المقدرة الشعرية،وأبرز ما نشاهده هو قول "قيس بن خفاف البرجمي"في هجاء النعمان بن المنذر يتهمه بأنه لـيس سـليل المناذرة وأنه عديم الرشد، فيقول[3]

لَعّـنَ الله ثمْ ثنّـــى بلعَـــنٍ ابنَ ذَا الصائغ الظلومَ الجهولاَ
يَجمعُ الجيشَ ذَا الألوفِ ويَغزوُ ثمْ لا يـرزأَ العـــدو فَتِيْـلا

3.4- صور المرأة أسطوريا في الشعر الجاهلي:

1.3.4- الشمس:

إن ارتباط المرأة بالشمس واضح في مطلع مقدمات الشعراء الجاهليين،بعد الوقوف على الأطلال يبكي وحده،أو يدعو رفيقيه للبكاء معه حيث نراه يبدأ بذكر الحبيبة التي رحلت ويصفها

1- ثعلب،مصدر سابق،ص284-285

2- النابغة الذبياني،مصدر سابق،ق22،ص121.

3- الجاحظ، مصدر سابق،ج4، ص379.

الأطلال يبكي وحده،أو يدعو رفيقيه للبكاء معه حيث نراه يبدأ بذكر الحبيبة التي رحلت ويصفها إما بالشمس مباشرة،وإما ببياض البشرة، أو ببياض مشّرب بالصفرة ،وهذه الصفات تضفي على المرأة أنوثة بارعة كأنها تمثالٌ جميلٌ معبود عندهم أو دمية لطيفة، يقول النابغة [1]:

قَامتْ تراءى بين سَجْفَىْ كِلهِ كالشمسِ يَومَ طُلوعِها بالأسعُد[2]

أو دُرّةٍ صَدَفــيّةٍ غوّاصُها بَهِجٍ متى يَرهَا يُهِلّ ويَسْــجُد

أو دُمُيْةٍ مِنْ مَرمرٍ مرفوعةٍ بُنيَتْ بآجُرٍ تُشــادُ وقَرمــد

(هنا يصورها الشاعر كأنها الشمس حين طلوعها، فهي درة غالية فالذي يراها يفرح ويسر لمرآها أو كأنها الدمية المرمرية الرائعة التي بنيت من الآجر الخالص)

والأعشى يقول[3]:

كَدُمَيَةٍ صُوّرَ مِحْرابُهَا بِمُذهَبٍ في مَرْمَرٍ مَائِرِ

(يصورها كأنها دمية في محراب صلاة مزخرف ومذهب بالمرمر النفيس)

ويقول سويد بن أبي كاهل[4]:

تَمْنَحُ المِرْأةَ وَجْهاً ضاحِكاً مِثْلَ قَرْنِ الشّمْس في الصّحْو ارْتَفَع

(يمثل الشاعر إشراقة وجهها الصبوح بقرن الشمس الزاهي عند الفجر)

ومن جمال الشعر قول الأعشى كذلك[5]:

تَلألؤها مِثْل اللجيْــن كَأنّما تَرى مُقْلتَيْ رئمٍ وَلوْ لَمْ تكَحّل

لها كبِدٌ ملســـــاءُ ذَاتُ أسِرَةٍ وَنَحْر كفاثور الصّريفِ المُمَثّل

فَقَدْ كَمُلتْ حُسنْاً فَلا شَيْءَ فَوْقَها وَإنّي لَذو قَوْلٍ بِــها مُنتَــخّل

1- حاوي،مرجع سابق،ص236.

2-الأسعد:برج الحمل.

3- الأعشى الكبير،مصدر سابق،ص92.

4- المصدر نفسه،ص245.

5- المفضل الضبي،مصدر سابق،ص191.

(إن ضوءها وضياءها مثل صفحة لجين الماء الصافية تُرى مقلتها فيه واضحة، وكذلك جيدها دقيق الصنع خلق بدقة وتأنٍ، وإنها ليست سمينة كثيرا)

هكذا نرى أن المرأة التي بكى الشعراء لرحيلها كانت ترمز للشمس ربة الجاهليين،ولا بأس هنا أن أعيد ما ذكره"نيلسون"من(أن العرب في الجاهلية قد صوروا صورا للشمس على هيئة إنسان،وهذا الإنسان يمثل حسناء عارية.)[1]

فالإجلال لملكة النساء،تلك الرافلة في أثواب البهجة والحب،المملوءة بالحيوية والسحر والمرح،وهي معسولة الشفاء، والحياة فيها، والمسرّة تزيد وتعظم في حضرتها، ما أحلى مرآها

بالنقب المرخاة على رأسها،وبقوامها الجميل،وعينيها اللامعتين.[2]

ونجد هذه الأوصاف في الشعر الجاهلي،فأبو داود يصف رحلة حبيبته ماويةبقوله[3]:

مَنَعَ النّـومَ مَاوِيَ التّهْمَامُ وَجَدير بِالهَـمّ مَنْ لا يَنَـامُ

هَلْ تَرى مِنْ ظَعائنٍ باكراتٍ كالعَدَوْلِيّ سَيْرُهُنّ انْقِـحام

(هنا يصور الشاعر الهم والحزن الذي يصيبه من جراء مشاهدة رحلة النساء على الإبل وهنّ مبكرات في الرحيل وهنّ جالسات مطمئنات)

4 . 3 . 2-صور أخرى للمرأة : (الغزال،النخلة،الظباء،العيون،البقر الوحشي)

نرى الشاعر كذلك يشبه الظاعنات بالشمس والغزلان والنخلات،والظباء،والعيون بالبقر الوحشية،وهذه كلها مقدّسات للعرب قبل الإسلام،وفي هذه الصور تظهر المرأة جميلة غير حزينة على رحيلها،وجهها مضيء، كثير العطاء،وهذه الصور المتلاحقة لا يظن أنها لامرأة حقيقة بعينها،وإنما للشمس ورحيلها وانتقالها من مكان إلى مكان في دورات متلاحقة متتابعة, يصف قيس بن الخطيم حبيبته فيقول[4]:

قَضى لها الله حينَ صَوّرَها الـ ـخالِقُ أن لا يكنها سَدَفُ

1-الأعشى الكبير،الديوان مصدر سابق،ص2-17.

2- ديتلف نيلسن،مرجع سابق، ص221.

3-الأصمعي،مصدر سابق،ق9،ص244.

4- المصدر السابق،ق12،ص260-261.

تَنامُ عَنْ كــبر شَأنِـــــها فَإذا قامَتْ رُوَيْدا تَكادُ تَنْغَرفُ

(يقول حين خلقها وصورها البارئ لم تسترها الظلمة لإشراقها وعظم شـــأنها،ولعظم شأنها فإنهاعندما تنام تتثنى وتتمايل كغصن البان،لها جيد طويل وعيون بيضاء مـــع سواد كأنها شجرة شامخة ناعمة الملمس)ألا ترى أن هذه الأوصاف تنطبــق علـــى الشمس فهي كبيرة عظيمة لا يحيطها الظلام،وإذا ظهرت أو أشـــرقت،تظهر رويـــدا رويـــدا.وهـــذه الـــصور قـــد تـــردّد ذكرهـــا فـــي ديانـــات مـــصر والـــشرق القديم،فالإله"شمس"عندهم يضيء الأعالي والأعماق،ويبدد الظلمات، يقـــصر الأيـــام، ويطيل الليالي،وعليه تتوقف حياة البشر. إنه يمنح الحياة ويُحي الموتى، ويقود العالم كله ظافراً منتصراً على الليل، والموت وصاحب للأشعة التي تخترق الظلمة التـــي يعمل فيها الأشرار.[1]. ومن أمثلة ذكر الحيوان في المقدمات الطّلليّة قول زهير[2]:

بِها العينُ وَالآرامُ[3] يَمْشينَ خِلفةً وَأطْلاؤها يَنهضنَ مِنْ كُلّ مَجثمِ

وقريب من هذا المعنى قول لبيد[4]:

وَالعينُ ساكِنَةٌ عَلى أطْلالِها عوذاً تَأجّلُ بِالفَضاءِ بِهامُها

فَعَلا فُروع الأيْهَقان[5]وَأطْفَلَتْ بِالجَلْهَتَيْن ظِباؤُها وَنَعامُها

ويقول أوس بن حجر[6]:

بِها العينُ وَالآرامُ تَرْعى سخالَها فَطيم وَدان لِلفطام وَنَاصف

1- نجيب،ميخائيل،مصر والشرق الأدنى القديم،دار المعارف،القاهرة،ط2، 1982،ص128.

2- ثعلب:مرجع سابق،1964،ص17.

3-الآرام:الظباء الخالصة البياض.

4- لبيد،بن أبي ربيعة،مصدر سابق، ص299-298.

5-الأيقهان:نوع من النبات.

6- أوس بن حجر،مصدر سابق،ص63.

(كأنها الظباء والبقر الوحشي وهي ترعى وتحافظ على أولادها الصغار بين المفطوم وغيره)

من ذلك نرى أن ذكر هذه الحيوانات–وهي حيوانات طوطمية الأصل كانت ترمز إلى الشعور باستمرار الحياة وبعث الأمل في نفس الشاعر لا اليأس؛ مما جعله يتمسك بهذه الحياة ويستأنف رحلته في الصحراء المترامية الأطراف حيث كانت المرأة–الشمس رمزا للأملفي القصيدة،ومن ثم صورها الشعراء ظاعنة بأبهى وزينتها.

3.3.4–ربط المرأة بالأرض:

ربط الإنسان سر الخصوبة في المرأة بسر الخصوبة في الأرض،في المجتمعات الزراعية بشكل خاص،ورمز لها في الدين بالهات "أمهات"أي أن معنى الأمومة هو المعبود،ولأن فكرة الخصوبة –أو الأمومة–كانت هي الأساس في عبارة كهذه،كانت صورة الآلهة–المرأة تبرز استعداداً خاصا لهذه الوظيفة[1].

ولم يكن العرب الجاهليين أصحاب حضارة يُعتد بها،ولعل هذا هو سبب تحولهم إلى صور أخرى كالشمس وهي الأظهر في حياة الصحراء خالعين عليها صفة الأمومة، فاعتبروها الربة،والإلهة الأم،وهذا هو سر تأنيث كلمة الشمس في اللغة العربية على عكس اللغات التي ربطتها بإله ذكر[2].

ولقد جمع العرب الصور المختلف للأمومة أو الخصوبة كالمهاة والغزالة والحصان من الحيوان ،والنخلة والسمرة من النبات،والمرأة من الإنسان،فجعلوها رموزا متجاورة عند تصوير الشعراء للمرأة[3].

4.3.4–صورة المرأة الممتلئة:

صورة المرأة الممتلئة الجسم كانت من الصور المهمة في نظر الإنسان القديم،لتحقيق الشروط المثالية لوظيفة "الأمومة والخصوبة الجنسية "وظلت هذه النظرية عالقة بتقييم الرجل للمرأة من حيث الخصر والأرداف وغير ذلك من أمور،

1– فريزر، مرجع سابق، ص182.

2– علي،مرجع سابق،ج6،ص50.

3–المرجع نفسه،ج،6ص51.

زمنا طويلا [1]. كما نلاحظ أن التركيز عند الشعراء كان على الأعضاء الأنثوية في تصوير المرأة في جميع جوانبها،وهذه صورة حية لامرئ القيس يقول[2]:

وإذا هي تَمْشِي كمَشْي النّزِ يف يَصْرَعُهُ بِالكَثِيبِ البُهُرْ
بَرَهْرَهَةٌ،رُؤدةٌ،رَخْصَةٌ كَخُرعُوبَةِ البَانةِ المُنْفَطِرْ
فَتُورُ القِيَامِ،قَطِيعُ الكَلاَ مِ تَفْتَرُ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرْ

(يصور مشيتها الثقيلة على التراب وهي تتثاقل في المشى ذات صبوح جميل)

3.4.5-صور العشق عند الشعراء:

أمّا صورة العشق عند الشعراء الجاهليين فنراها عند المرقش[3]:

وَفِي الحَيّ أَبْكَارٌ سَبَيْنَ فؤادَهُ علالَة ما زَوّدْنَ والحَبُ شَاعَفي
دِقَاقُ الخَصْوْرِ،لَمْ تُعفّر قَرونُها لِشجو،ولمْ يَحضرنَ حُمّى المُزالِفِ

(يصور جمال المرأة بأنها بكر ممتلئة حسنة الوجه لينة الملمس سلبن قلبهوفؤاده)

والأعشى هنا يصور محبو بته الحضرية تصويرا مفصلا في قوله[4]:

يا جَارَتي مَا كُنْتِ جَارَهُ بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَارَهْ
بَيضَاء ضَحْوَتُهَا،وَصفْـ رَاءُ العَشِـيةِ كَالعَرَارَهْ
بِقَوَامِهَا الحَسَنْ الذِي جَمَعَ المَدَادَةَ وَالجَهَارَهُ

أمّا صورة المرأة عند بشر بن أبي خازم،فهي شبيهة بالصورة عند امرئ القيس في صورة الظعائن يقول بشر[5]:

تَبَيّنْ خَليلي هَلْتَرى مِنْ ظَعائِنٍ غَرائِرَ أَبْكارٍ بِبَرقَةِ ثَمْثَمِ
عَليهِنّ أَمْثالّ خُدَارى وَفوقَهَا مَنْ الرّيطِ والرّقْيِم التَهاويلُ كَالدّمِ

1-عبد الرحمن،إبراهيم ،قضايا الشعر في النقد العربي،نشر مكتبة الشباب،القاهرة،1977،ص63-69وص106-109.

2- ابن حجر،مصدر سابق،ص232-233.

3- المفضل الضبي، مصدر سابق،ق50،ص132.

4- الأعشى الكبير،مصدر سابق،ص75.

5- بشر بن أبي خازم،الديوان،تحقيق:عزة حسن،مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم،دمشق،1960،ص133.

6.3.4-ارتباط الصور بالدمى والتماثيل:

إن ارتباط الصورة الجسدية"بالدمى والتماثيل"ارتباط واضح في الشعر العربي قبل الإسلام،وكانت هذه الدمى والتماثيل تقدم قرابين ونذورا في معابد الشمس-الأم،وهي أمّ على هيئة امرأة،أو على شكل حصان،وتعني كلمة دمية لغة الصورة المنقوشة من الرخام،وتعنى كذلك الصنم ولهذا ترتبط صورتها بوصف المرأة البدينة غالبا،كما في شعر امرئ القيس[1]:

ويَا رُبّ يَوْمٍ قَدْ لَهَـــوْتُ وَلَيلةٍ بِآنسةٍ كَأنّهـــا خَــطّ تمْثَالِ
يُضِيءُ الفِرَاشَ وَجْهُهَا لِضَجِيعِهَا كَمِصْبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذُبّــالِ
كَأنّ عَلَى لبّاتِهَا[2]جَمَـــرَ مُصْطَلٍ أصَابَ غَضًى جَزْلاً وكُفّ بِأجْزَالِ

(يقول: لقد شبهها بالتمثال لأن الصانع له يتألق في تحسينه،وإن وجهها يضيء بجماله فراش من تضاجعه فهو لهذا يشبه مصباح زيت القناديل،ولقد حلّق حول الجمر بأجذال وهي أصول الشجر وأحسن ما يكون من الوقود)

ويقول أيضا[3]:

كَأنّ دُمَى[4]سُقْفٍ عَلى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَا مُزْبِد السّاجُومِ وَشْيًا مُصَوّرَا
غَرَائِرُ فِى كِن وَصَـــوْنٍ ونِعْمَةٍ يُحَلّيْنَ يَاقُـــوتاً وَشَــذْراً مُفَقّرَا

(يقول:كأنّ الظعائن على الإبل دمى على ظهور الرخام بهذا الوادي المزبد،وإن هؤلاء ذوات تنعم وحليّ)

7.3.4-ربط صور المرأة بالغزال:

لقد ربط الشعراء المرأة في جمالها وخفتها بالغزال،والغزال محمي بحسب المعتقدات الدينية وله قدسية عندهم،لما له من قوى سحرية ولهذا ربط النخلةالمخصبة بالمرأة[5].

1-ابن حجر،مصدر سابق،ص58-59.

2-اللبات:الصدر والترائب..

3- المصدر نفسه،ص333.

4-الدمى:الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم.

5-العهد القديم-نشيد الإنشاد-6-60.

ويمكن إدخال عنصر الأسطورة في تناول المرأة في الشعر،والاتجاه إلى تكوين الصورة من خلال إبراز عنصر واحد فقد مثل:الدرة،أو البيضة،أو القطاة،أو الحمامة،وكلها عناصر مستمدة أيضا من أصول دينية قديمة،وربط صور المرأة بعلاقة أسطورية.ونضرب مثالا ما قاله قيس بن الخطيم[1]:

قَضْىَ لَها اللهُ حِينَ صَورها ال خَالقُ أن لا يكنّها سدفُ
تنامُ عنْ كبر شَأنها فإذا قَامتْ رِوُيداً تَكادُ تَنغرفُ
حَوراَء جَيداء يَستضاءُ بِها كأنها خُوطُ بانةٍ، قَصفُ

(صورها الله بصور جميلة مختلفة حوراء العينين تضيء بنورها وعندما تقوم من نومها تقوم ببطء لأنها ممتلئة الجسم)

أما صورة المرأة البيضاء فهي صورة واضحة عند امرىء القيس في المعلقة فهي بيضة الخدر كما يقول[2]:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غَيْرُ مُفَاضَة[3] تَرَائِبُها مَصْقولَةٌ كَالسّجَنْجَلِ
كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاها نَمِيرُ الماءِ غَيْرُ المُحَلّلِ

(يقول بأنها خفيفة اللحم غير ضخمة البطن وأن صدرها ملفوف كالمرأة الجميلة و المرأة هنا كبيضة النعام في شدة بياضها تشوبه صفرة كأنها تتغذى من ماء عذب غير متسخ من أي إنسان).

أما الحمام فقد علقت بصورته دلالة أخرى-يبدو أنها أحدث عهدا-إذ ارتبطت صورته بدلالة الحزن والفقد،ولم يعد خاصا بالمرأة بل صار مشتركا بينها وبين الرجل في هذه الدلالة. وهنا يصور كعب بن سعد الغنوي هذه الأسطورة ،حين يصور خوف امرأته

عليه ولومها إياه على المخاطرة بنفسه،فيقول[4]:

فإنّكِ والموتَ الذي تَرْهبِينَه عَليّ وما عَذّالَةٌ بِغَفولِ

1- قيس بن الخطيم،الديوان،تحقيق:ناصر الدين الأسد،دار صادر،بيروت،ط2، 1967،ص55.

2-ابن حجر، مصدر سابق،ص16

3-غير مفاضة:غير ضخمة البطن.

4-الأصمعي،مصدر سابق،ق19،ص98.

8.3.4-ارتباط المرأة بالجانب السيئ:

ليس الشعر الجاهلي الذي قيل في المرأة بأنها هي الصورة المثال،بـــل هنـــاك جوانب أخرى سيئة للمرأة في نظرهم،مثل:القيان،أو الراقصة،أو المغنية،أو المـــرأة المناكدة السيئة الأخلاق.فالقيان من وجهة نظر الشاعر الأعشى هنّ البغايا في قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي،يقول[1]:

يَهبُ الجلّةَ الجرَاجرَ كَالبستان تَحنوُ لدَرْدَق أطـــفال

والبَغايَا يَركضنّ أكسية تَخريجِ والشّر يَعَيّ ذْا الأذيال

(يقول بأن البغايا يكنّ كاسيات عرايا وهن يرقصن في الحوانيت)

ويصور الشاعر "طرفة بن العبد"العابث في معلقته وهو يغشى الحوانيت بما فيها من خمر وراقصات ومغنيات ويراه من المتع الحقيقية القليلة في الحياة فهو يقول[2]:

ولَوْلا ثَلاثٌ هُنّ من عِيشَةِ الفَتْى وَجَدّكَ لمْ أحفِلْ متى قامَ عُوّدي[3]

فَمنْهُنّ سَبـــْقي العاذِلات بشـــرْبَةٍ كُمَيتٍ متَى ما تُعلَ بالماءِ تُزْبِدِ

وكَرّي إذا نادى المُضـــافُ مُحَنّباً كَسيدِ الغَضَا نَبّهْتَهُ المُـــــتَوَرّدِ

وتَقصيرُ يَومِ الدجنِ وَالدجنُ معجِبٌ ببَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِـــــباءِ المُعمّدِ

(يقول ثلاث هنّ من خصال الفتى وهي إني أسبق العاذلات بشربة من الخمروسرعتي في طلب النجدة للمستغيث،والخصلة الثالثة أني أقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق)

ويصور "امرئ القيس"صبوا ته عند غشيان هذه الحوانيت وتمتعه بما فيها من قيان،على الرغم من رأيه فيها فهي في نظره مظنة عار وفضيحة،فيقول[4]:

وبيْتٍ عَذَارَى يَوْمَ دَجْـــنٍ ولَجْـــــتُهُ يَطُـــفْنَ بِجبّاءِ المَرَافِقِ مكْسَالِ

سِبَاطِ البَنَانِ والعَرَانِيـــــــنِ والقَنَا لِطَافِ الخُصُورِ في تمَامٍ وَإكْمَالِ

1-ابن يشر النهشلي،مصدر سابق،،ص167.

2- الزوزني،مصدر سابق،ص60-61.

3-العود :جمع عائد من العيادة.

4- ابن حجر ،مصدر سابق،ص63-64.

نَوَاعِمَ يُتْبِعْنَ الهَـــوَى سُبُلَ الرّدَى يَقُلْنَ لأَهْلِ الحــلْمِ ضُلاّ بِتَضْلالِ

صَرَفْتُ الهَوَى عَنْهُنَ مِنْ خَشْيَةَ الرّدَى ولَســتُ بمَقْلَيّ الخِلاَلِ ولا قَالِي

(يصور الشاعر صبواته مع العذارى،وأهل الهوى منهن في الحوانيت،رغم العار والفضيحة)

وتصور كآسفة البال والهة،وتجري يدها على رؤوس الأطفال الأيتام من أبناء ذويها المقتولين ،كما يصورها المهلهل،فيقول[1]:

وَيَقُمْنَ رَبّاَتُ الخُدورِ حَوْاسّراً يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذَوائِبِ الأيتامِ

يقول الشاعر"دريد بن الصمّة"في تصوير حالة البعد والجفاء بينـــه وبـــين أم معبد" "رغم أنه يعتبرها من النساء المحافظات العفيفات والبعيدة عن حركات الإغراء للرجال بإبراز المفاتن المتعددة من المرأة.يقول[2]:

أرَثّ جَديدُ الحَبْلِ مِنْ أمْ مَعبَدِ بِعاقِبَـــــةٍ وأخْلَفَتْ كُلّ مَوْعِدِ

وبانَتْ ولَمْ أحْمِدْ إليْكَ جِوارَها ولَمْ تَرْجُ فِينا رِدّةَ اليَوْمِ أوْ غَدِ

1-الأصمعي،مصدر سابق، ق53،ص205.

2- المصدر نفسه، ق27،ص137.

الفصل الخامس

الحيوان أسطوريا (الناقة،الفرس،الحمار الوحشي،الظليم،البقر الوحشية)

1. 5- صور الناقة:

من الأنماط الشعرية الأخرى التي تتكرر في الشعر الجاهلي صور بعض الحيوانات، وإذ تتبعنا هذه الصور نجد في مقدمتها صورة الناقة وهذا ما يظهر في موقف البكاء على الطلل لأن الناقة هي الوسيلة الوحيدة التي يحملها أشجانه وهمومه.إن صور الناقة التي استخدمها الشاعر الجاهلي ماهي إلا صور ترمز إلى أبعد مما أمامنا من أوصاف وحركات ونحوها.وهذه الصور تعتبر جملة أفكار وليس فكرة واحدة.وهنا نستعرض بعض هذه الصور:

2.1. 5-الناقة ليست مجرد حيوان:

لم تكن الناقة مجرد حيوان في العصر الجاهلي،فقد احتلت مكانة عظيمة عند العرب بلغت حدّ التقديس ،وهنا نستعرض قول"عبيد بن الأبرص"يصف ناقته فيقول[1]:

عَنْتَريس[2] كَأنّها ذُوُ وُشومٍ أحْرَجَتْهُ بِالجَوّ إحْدى اللّيالي

(يقول إن الناقة عنتريس لها وشوم سواد وبياض كأنها قدمت إحراج الجو في السماء في إحدى الليالي)

3.1. 5-تشبيه الناقة بالمرأة:

عرف العرب في الإبل معنى الخصوبة والورود والسقيا.قال تعالى(**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**) [3] وشبهوها بالمرأة،وقالوا في القلوص إنها الشابة من الإبل،فنعموها كما تنعم الفتاة الكعاب.[4]

4.1.5-تشبيه الناقة بالسحاب:

ورد في الشعر الجاهلي تشبيه الناقة بالسحاب وبالدلو وبالسفينة،وصلة البحربالخصوبة

1-عبيد بن الأبرص،مصدر سابق،ص111.

2-عنتريس:اسم الناقة-

3-سورة الشمس،آية13.

4- الطيب، مرجع سابق، ج3،ص101.

وعبادتها أمر موغل في القدم.وفي القرآن الكريم :**(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)** [1]

وقوله تعالى: **(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَام)** "(2)

وكان الشعراء يتصوّرون المطر حلبيا عندما ينزل عليهم قال طرفة بن العبد[3]:

كَأنّ الخلايا فيه ضَلّتْ رِباعُها وَعُوذاً [4]إذا مَا هَزّةُ رَعدهُ احْتفَلْ

(فالشاعر يصور السحب نوقا محاليب قد ضلّت فصائلها،فإذا هزها الرعد صبت اللبن)

ويصور "أوس بن حجر"نوقا في السحب،وهذه النوق مدرة للبن،مهدلة الشفاء،جناجرها مبحوحة، تسوق أولادها،فيقول[5]:

كَأنّ فِيهِ عِشاراً جُلّة شُرُفُا شعُثاً لَهَامِيمَ قد هَـــــمتْ بِإرشْاحِ

هَدلاً مَشافرها[6]بحاً حنَاجِرهَا تُزْجي مرَابيعهَا في صَحصَحٍ ضاحي

ويصور"النابغة الذبياني"السحب بقطيع الإبل،فيقول[7]:

أجَشّ سَماكِيّا كَأنّ رَبابَهُ أرَاعيلُ(8) شَتّى مِنْ قَلائِص(9) أبّدِ

فالسحب قد ألقحتها الرياح بالغيث وأصبحت محملة بالخير،وما هذه السحب إلا نوق عشار ونوق عجاف،قد ألقحتها رياح الغيث.ويقول"طفيل الغنوي"[10]:

أبَستْ لَهُ رَيح الجنوبِ فأسَعدتْ رَوايا لَه بِالماءِ لماْ تُصْرَمِ

1- سورة الشمس،آية13.

2- سورة الرحمن،آية24.

3- طرفة بن العبد،مصدر سابق،113.

4 -العوذ:جمع عائذة،وهي الناقة التي تلوذ من الفحل لحداثة السن.

5- أوس بن حجر،مصدر سابق،ص17.

6-المشافر:وهي شفة الجمل.

7- النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق:شكري فيصل،دار الفكر،بيروت،1968،ص246.

8-الأراعيل:جمع رعال وهو القطيع.

9-القلائص:النوق-جمع قلوص.

10- طفيل الغنوي، مصدر سابق، ص44.

ويشبه "لبيد بن ربيعة"الناقة بسحابة صهباء اللون تسوقها رياح الجنوب،فيقول[1]:

فَلَها هِبابٌ في الزّمامِ كَأنَها صَهبْاءُ[2]رَاحَ مِنَ الجَنوبِ جَهامُها

5.1. 5-اقتران الناقة بالأمومة:

كانت الناقة في نظر الشاعر الجاهلي مركزا لحل كل المعضلات التي تواجهه،فهي تحل المشاكل وتعين على قطع المسافات،وإليها يرجع الفضل في انتشال الشاعر من همومه وأحزانه وحمايته من مخاطر الصحراء،لهذا اقترنت في ذهن الشاعر بالأمومة لأنها قادرة على العطاء يقول"ثعلبة بن خزاعي المازني"[3]:

فَبنتْ عَليهِ مَع الظلام خَباءهُا كّالأحَمسيةِفي النِصيفِ[4]الحَاسر[5]

6.1. 5- ارتباط الناقة بالطقوس:

إن ذبح الناقة راجع إلى الاعتقاد بأن أكل لحم الضحية المقدسة يجعل أكلها متلقيا لحياة الآلهة وصفاتها،ومثل ذلك يقال في عقر الناقة على القبر. [6]

7.1.5ـ ربط الناقة بالقوى الخفية:

لقد ربط العرب الناقة بالقوى الخفية من الجنّ والشياطين،بوصف هذه القوى قاسما مشتركا في كل الكائنات التي تخلفها الأفكار الأسطورية،حيث زعم العرب أن في الإبل عرقا من سفاد الجنّ،وأنها خلقت من أعنان الشياطين[7]

8.1.5ـ اتخاذ الناقة معبوداً:

1- لبيد بن ربيعة،مصدر سابق،ص303-304.

2- صهباء:سحابة في لونها حمرة وسواد.

3- ناصف،مرجع سابق،ص96.

4- النصيف:القناع

5-حاسر:التي تكشف رأسها ووجهها إدلالا بحسنها.

6-البطل، ،مرجع سابق،ص124.

7- الجاحظ ،مصدر سابق،ج1، ص152.

اتخذت بعض القبائل الجم. إلها معبودا كما هو معروف عن "طيء"[1]وبعضهم كان يصطحبه في الحروب تيمنا به،مثل:"بني تميم"[2]كما قيل عن ناقة الملك الغساني، إذ كانت محماة وفي عنقها مدية وزناد ،وقد كان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترئ عليه، وهناك ناقة "أبي دؤاد الإيادي"(الزباء)التي كانت في نظر الإياديين ناقة ميمونة[3].

9.1.5ـ رمز الناقة:

وتمثل الناقة في الأساطير الجاهلية(ريّة للحرب)تلقح الأسنّة والرمـــاح وتـــدر دما أحمر، ولعل هذا الاعتقاد جاءهم من (قدار وثمود) الذي دخل إليهم بعد عقر ناقة سيدنا صالح–عليه السلام–فأصبحت نموذجا أعلى للشر،وصورة الناقة نموذج أعلى للموت والهلال، كقول"علقمة"يشير إلى هلاكهم[4]:

رَغا فَوقهَمْ سَقْبُ السّماء فَداحصٌ بِشكّتِه لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ

كَأنّهُـمُ صـَابتْ عَليهم سَـحابةٌ صَوَاعقُها لِطيرهنّ دَبيبُ

وقول"زهير بن أبي سلمى"[5]:

فتَنتَج[6]كمْ غِلمانَ أشأمَ كلهُّمْ كأحمَرِ عادٍ ثّم تُرضِعْ فتَفطِمِ

وترددت صورة الناقة في أشعارهم كقول،"متمم بن نويرة"[7]:

سُقوا بالعُقار الصّف حتى تَتابعوا كدأبِ ثَمود إذْ رغَا بَكْرهم ضحى

وتسمى الناقة كذلك"بالناقة البلية"،وقصة تلك الشعيرة هو أن الناقة ستشهد له بأنه سار عليها نحو الحج ،وأدى طقوسه المطلوبة خلال حياته الدنيوية،ولو كان الأمر

1- ابن صاعد الأندلسي،طبقات الأمم،تحقيق:لويس شيخو،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت،1912،ص44.

2-ابن الأثير،مصدر سابق،ج1،ص606.

3- الأصفهاني،مصدر سابق،ج16،ص377.

4- أنور أبو سويلم،دراسات في الشعر الجاهلي،مرجع سابق،ص112.

5- ثعلب، مصدر سابق،ص28.

6-تنتج لكم:يعنى الحرب .

7-الصفار،ابتسام، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي،مطبعة الإرشاد،بغداد،1968،ص83.

المقصود هو الركوب لأخذ أية دابة،وما نراه في معلقة طرفة بن العبد الإسفينة العبور إلى الحياة الثانية[1].

10.1.5-القسم بالناقة:

يقول "حسين نصار"إن شعراء الجاهلية يكادون يقسمون بالنوق أكثر من قسمهم بالأصنام والأوثان[2] رأى "أحمد النعيمي" مخالف حيث يقول:يبدو لنا أن هذا الاستقراء ناقص،وغير معول عليه،لعلة بسيطة هي أن الباحث قد أحصى عشرين قسما بالإبل ورد في شعر الشعراء، وكان عليه أن يحصى قسم الشعراء بالأصنام والأوثان أيضا حتى يخلص إلى نتيجة قاطعة تسوغ له
إطلاق مثل هذا الحكم وأنا أوافقه على رأيه[3].

ولعل النابغة أبرز الشعراء الذين أقسموا بالإبل حيث قال[4]:

بِمُصْطَحِبات مِنْ لَصاف وَثَبْرَةٍ[5] يَزُرْنَ إلالاً سَيْرُهُنّ التّدافُعُ

(لقد قرن نفسه بالإبل السائرة للحج،فعظمها ورفع من شأنها)

ونلاحظ في تحديد الملامح الأسطورية المحاطة بالإبل لدى المجتمع الجاهلي من منطلق أن دراسة الأسطورة هي دراسة كل ما سطر عند الجاهليين تاريخا كان أو دينا،يمكن ترجيح أن بعض المعتقدات الأسطورية التي دارت حول الإبل مستوحاة من معجزة النبي صالح"عليه السلام"حيث عرفت هذه القصة في الكتب الدينية والتاريخية بقصة"ناقة صالح"[6].

11.1.5-اعتبار الناقة نذير شؤم:

وإذا كانت الناقة في نظر الشاعر الجاهلي تدل على الحياة والقوة والاطمئنان،فإنّها

1- الصفار،مرجع سابق،،ص83.

2- الألوسي،مصدر سابق، ج2،ص307.

3- أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي،مرجع سابق،265.

4-النابغة الذبياني،مصدر سابق،ق2،ص25-36.

5-ولصاف وثبرة:موضعان.

6-ابن الأثير،مصدر سابق،ج1،ص89.

كذلك نذير شؤم وخراب ودمار،وذلك إذا ما أصابها أذى،مثال ذلك:ناقة صالح فكانت مصدر خير عليهم ،ولكن بعد عقرها هلكوا بسببها،وزاد هذا التشاؤم في نظرهم، وكذلك ناقة البسوس التي قتلها كليب بن ربيعة،ونشوب الحرب التي دامت سنوات طويلة،لهذا أصبحت الناقة ذلك الرفيق الرهيب الذي يرمز للفناء والوجود أو إلى الحياة والموت.يقول"امرؤ القيس[1]:

وَعَنْسٍ كَألواحِ الإرَانِ نَسَأتُها عَلَى لاحِبٍ كَالبُرْدِ ذيِ الحبرّات[2]

فَغَادَرتُها من بَعد بُدْنٍ رزِيّةً تَغالَى عَلى عُـــوجٍ لها كَدِنات

ويقول أيضا[3]:

فَدَعْ ذا وسَلّ الهَمّ عَنكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُول[4]إذا صامَ النّهار وهَجّرا

تُقطّعُ غِيطاناً[5]كأن متونـــها إذا أظْهَرتْ تُكْسَى مُلاءً مُنشّرا

12.1.5 -أوصاف أخرى للناقة:

لقد صور الشعراء الناقــة بــصور عديــدة منهــا"الناقــة البيض،والناقــة الشديدة،والناقة التي تحمل الأغراض،والناقة العظيمة،والناقــة النــشيطة ،وصــغار الناقة،والناقة السريعة،والناقة المسنة، والناقة الوثيقة الجسم،وسير الناقة اللين،وكــرام الإبل"ومنهم من تطرق لوصف الناقة بدون تحديد ومن أقوالهم.

يقول امرؤ القيس [6]:

إذَا الْعِيسُ[7]حَتْ بِالفَلاَةِ كَأنّها وقَدْ قَلِقَتْ أعْرَاضُهُنّ جُفُونُ

1-الجندي،علي،تاريخ الأدب العربي،دار مكتبة الجامعة العربية،بيروت، ج2، 1966،ص135.

2- الحبرات:الثوب الموشى.

3-المرجع نفسه،ص133-134.

4-الذمول:السريعة السير.

5- الغيطان:ما انخفض من الأرض.

6-ابن حجر،مصدر سابق،ص 218.

7-العيس:البيض.

ويقول أيضا[1]:

أرَى نَاقِتَي الْيوْمَ قَدْ أصْبَحَتْ عَلَى الأيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا

وتقول:الخنساء"في وصف الإبل[2]:

ومُعْمَلَةٍ سُقْتُـــــهَا قَاعِداً فأعْلَمْت السّيفِ أغْفَالهَا

وقالت أيضا[3]:

بَكَتْ عَيْنِي وعاوَدَها قَذَاها بِعُوّار[4]فما تَقضِي كَرَاها

عَلَى صَخْرٍ وأيّ فَتًى كَصخْرٍ إذا ما النَّابُ لَمْ تَرْأمْ طِلاها

بهذا نلاحظ مما قدمنا من صور مختلفة عن الناقة ما يلي:

1-شعراء عنوا كثيرا بوصف الناقة وجدانيا فأبدعوا في هذا الوصف.

2-شعراء تهيأت لهم الظروف المناسبة في وصف الناقة حسيا فظهر الجمال لديهم.

3-فريقا ثالثا تهيأت لها الأسباب فرسمت لوحات بديعة مـــن الـــشعر وهـــم يقطعون الصحاري والقفار على نياقهم.

2 .5-الفرس:

من الأنماط الشعرية الأخرى التي تتكرر في الشعر الجاهلي صـــورة الخيـــل وقد احتلت الخيل قسما كبيرا من شعر الشعراء الجاهليين لمكانتها السامية عنـــدهم، ولأهميتها في التنقل والترحال، إلى جانب استخدامها في الحرب والغـــزو والقـــنص والطرد والسفر ،لذا كثرت صورها المختلفة وزاد الاهتمام بها مـــن حيـــث العنايـــة والخدمة والتربية فأصبح وجودها كالمرأة في البيت،ولهذا سوف اعرض بعض هذه الصور لعلّي أجلو هذا الجانب الهام من حياة العربي الجاهلي.

1.2.5-ارتباط صور الفرس بالصيد والفروسية:

1-ا بن حجر،مصدر سابق، ص222.

2- الخنساء،مصدر سابق،ص126.

3-المصدرنفسه،ص141.

4-عوار:اقذى.

لقد أسبغ الشعراء على خيولهم صفات كثيرة كالصلابة والقوة وطول القامة والإلهاب ،واهتموا أيضا بذكر حركتها من كر وفر وإقبال وإدبار ووثب وجموح وتقريب وإصغاء،كما قال امرؤ القيس [1]:

مِكر ّمِفَرّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمودِ صَخرٍ حطّهُ السيلُ من عَلِ

ويبدو أن الحديث عن الخيل والإطالة فيه لأنها كانت من رموز الحيوانات عند العرب الأقدمين،فهو يلعب دور حيوان الشمس المقدس ،ولذلك فهو ينوب عن الإلهة الشمس في بلاد العرب ويصف "الأعشى" فرسا يقول [2]:

وَكُلٌ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَابِ يَرْنُو القِنَاءَ إذا ما صَفَنْ
تَرَاهُ إذا مـــا عَدا صَـــحْبُهُ ُبِجانِبِهِ مِثْلَ شـــاهِ الأرَنْ

وقال"الحارث بن عباد"[3]:

قَربّا مَرْبطَ[4]النـــــّعامةِ منّي لقِحــَتْ حَربُ وائلٍ عنْ حِيالِ
قَربّا مَرْبطَ النـــــّعامةِ منّي إنّ بَيْعَ الكِــرامِ بِالشّسع غالِي
قَربّا مَرْبطَ النـــــّعامةَ منّي شابَ رأسِي وأنكرَتْنِي رجالِي

ومن أدق التعابير وأجمل الأوصاف للفرس ما قاله، "امرؤ القيس"[5]:

وَقَدْ أغْتَدي والطّيرُ في وُكُناتِها[6] بمُنْجَرِد[7]قَيْد الأوَابِــدِ هَيْكَلِ
مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِلٍ مـــــُدْبِرٍ معاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطّهُ السّيلُ مِنْ عَلِ

1-الزوزني،مصدر سابق،ص30..

2- الأعشى،مصدر سابق،ص210.

3-الأصمعي،مصدر سابق،ق17،ص94

4-مربط الفرس:المكان التي تربط فيه.

5- ابن حجر، مصدر سابق،ص45

6-الوكنات:مواقع الطير

7-المنجرد:الماضي في السير.

وقال أيضا[1]:

مِكَرٍّ مِفَرٍ مُقْبِلٍ مُـــدْبِرٍ معاً كَتَيْسِ ظِبــَاءِ الحـــُلّب[2]العَدَوَانِ

وتصوير الفرس بالثور الوحشي وبالنخلة الكثيرة الحمل له دلالته الأسطورية ويشبه "عبيد بن الأبرص" فرسه بالظبي–رمز الشمس–فيقول[3]:

وَقَدْ أغْتَدي قَبْلَ الغَطاطِ وَصاحبِي أمينُ الشّظا رَخْو ُاللَبانِ سَبوح

إذا حَرّكَتْهُ الســاقُ قلتُ مُجنب[4] غَضيضً غَذَتهً عَهْدَةً وسُروحُ

ويبدو أن الحديث عن الخيل والإطالة فيه لم يكن محض صدفة"لأن في رموز الحيوانات عند العرب الأقدمين نجد أن الحصان–كما هو الحال عند سائر الساميين غيرهم–يلعب دور حيوان الشمس المقدس؛لذلك فهو ينوب عن الإلهة الشمس في بلاد العرب الجنوبية ‘يصف "زهير بن أبي سلمى:"الخيل فيقول[5]:

فأينَ الّذِينَ كانَ يُعطِي جِيادَه بأرسانِهِنّ والحِسانَ الحَواليا

ولهذا حظيت الخيل باهتمام شديد وعناية فائقة من الجاهليين، كما يقول الشاعر[6]:

مُفَداة مُــكَرَمْة عَلينا يُجاعُ لَها العُيالُ ولا تُجاع

وكانوا يصنعون لها الأغطية في الشتاء خوفا عليها من البردوفي الصيف من

1- ابن حجر، مصدر سابق،ص93

2-الحلب:نبت ترعاه الظباء فتضمر عليه بطونها.

3-عبيد بن الأبرص، مصدر سابق،،ص31-32.

4-المجنب:الظبي الشديد الخلق.

5- ثعلب، مصدر سابق،ص211.

6- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ،تحقيق:أحمد أمين وعبد السلام هارون،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1951،ج1،ص210.

لهذا حظيت الخيل باهتمام شديد وعناية فائقة من الجاهليين، كما يقول الشاعر[1]:

مُفَداة مُــكَرَمْة عَلينا يُجاعُ لَها العُيالُ ولا تُجاع

وكانوا يصنعون لها الأغطية في الشتاء خوفا عليها من البردوفي الصيف من شدة الحر وفي هذا الصدد، يقول"عنترة بن شداد"[2]:

مُقرَبَة الشّتاءِ ولا تَراها وَراء الحَيّ يَتْبعَهَا المُهارُ

لَها بِالصّيْف أصبرةٌ وجلٌ ونيبٌ مَنْ كَرائِمْها غِزارُ

وخوفا من شدة الأرض وصلابتها صنعوا حرافرها نعالا تحفظها،يقول"زهير بن أبي سلمى"[3]:

تَهْوى عَلىْ رَبِذات[4] غَيرُ فائرَةٍ تُخذَى وتُعَقدُ فيِ أرسَاغها الخَدَمُ

2.2.5-عقر الفرس:

ولعل عقر الخيل على القبور في العصر الجاهلي باستمرار في تلك الممارسات والعقائدية، فقد عقرت الخيل على قبر كليب ، كما ورد عند " امامة بنت كليب في قولها، [5]:

وَعَقرتُ الخَيْوَلَ عَليهِ جَهراً فَكمْ مِنْ أمردِ نَهدْ عَقيرِة

وقد استخدم الشعراء الجاهليون كلمة"الشمس"وصفاً للمرأة المتمتعة والفرس المستعصية،كما ورد في قول سويد بن كاهل اليشكري [6]:

شُمُوسُ حَصْانِ السّربِ رَيّا كَأنها مُرَبية مَمّا تَضْمن حَائرُ

3.2.5- الفرس ثروة العربي :

فقد كانت ثروة العربي وعائلته وحصانه وأسلحتة وشهرته والعائلة،تفقد إذا ما

1-المرزوقي،مصدر سابق، ج1،ص210.

2-ديوان عنترة بن شداد،الديوان،تحقيق:محمد سعيد مولوي،المكتب الإسلامي،1970،ص309.

3-زهيربن أبي سلمى،الديوان،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،1964،ص156.

4-ربذات:قوائم سريعة الرفع والوضع.

5- زيدان،أيمن محمد، تغلب شعرها في الجاهلية،معهد المخطوطات العربية، القاهرة،1995،ص217.

6- اليشكري، مصدر سابق،،ص18.

صانها المرء بحصانه وأسلحتة فالرماح مشرعة إلى صدره وصدر حصانه،وهما في هذا الموقف يكونان جسدا واحدا،فليس من الغريب أن يخلع عليه شعورا بشريا،وأن تبدو صورة الفارس،وصورة جواده،وكأنهما مختلطان؛ويصف عبيد بن الأبرص خيله التي يغدو بها بالذئب ، قائلا [1]:

وَقَدْ أغتَدي في القوم تَحتي شَمَلّة بِطرَف من السيدانِ أجرَد مُنسوبُ

ويصور "امرؤ القيس" فرسه بالذئاب،حين ذعر بها قطيعا من الصيد، يقول [2]:

ذَعَرْتُ بِهِ سِرْباً نَقِيّا جُلُودُه كَما ذَعَرَ السّرحانُ جَنْبَ الرّبيضِ

ويبدو أن صورة الفرس في السماء كانت مرتبطة بالمطر والماء،فمن صور الكواكب التي على هيئة الفرس"الدلو"و"سعد الماطر"وهذا ما لفت نظر الشاعر الجاهلي عند حديثه عن فرسه،فاتخذه رمزا للغيث والخير والحياة وأملا في المستقبل،كأن وجود الفرس على صورته الطبيعة كان مظهرا من مظاهر الإدارة الإلهية لتحقيق الإنسانية على الأرض.[3]وقد استهوت فكرة الماء في وصف الفرس كثيرا من الشعراء،وربط الشعراء بين الفرس والماء والسيل.

ويقول "المرقش الأصغر"في وصف فرسه[4]:

يَجُمّ جُمُومَ الحِسْيِ[5] جاشَ مَضِيقُهُ وَجَرّدَهُ منْ تَحْتُ غَيلٌ وَأبْطَحُ

ويفتخر طفيل الغنوي بخيله المنسوبة التي تشبه الذئاب ،قائلا[6]:

وَخَيّلٍ كَأمْثَالِ السَرَاحِ مَصُونة ذَخائِر مَا أبقى الغُرابُ وَمَذهبُ

ويصف "عنترة بن شداد"فرسه فيقول [7]:

إذْ لا أزَالُ عَلى رِحَالة سَابِحٍ نَهْدٍ تُعَاوَرهُ الكُمَاةُ مُكَلّمِ

1- عبيد بن الأبرص،مصدر سابق، ص25.

2- ابن حجر، مصدر سابق،ص164.

3-عبد البديع، لطفي،عبقرية العربية،في رؤية الإنسان والحيوان ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، (د:ت)،ص216.

4-المفضل الضبي،مصدر سابق،ص243.

5-الحسي:رمل على صلد يستقر الماء أسفله،فإذا حفر نبع فيه الماء.

6-الزوزني،مصدر سابق،ص147.

7-المفضل الضبي،مصدر سابق،ق73،ص158.

ويقول "عبد المسيح بن عسله:في فرسه[1]:

لا يَنْفَعُ الوحْشَ منْهُ أنْ تَحَذّرَهُ كأنّهُ مُعْلَقٌ منها بِخُطّافِ

ويصف "سلامة بن جندل السعدي"،وهو من فرسان العرب المعدوين، فرسه فيقول[2]:

والعَادِياتُ[3] أسابِيّ الدّمــاء بِهـــا كأنّ أعْناقَها أنْصــابُ تَرْجِيب[4]

مِنْ كــلّ حَتّ[5]إذا ما ابْتَلّ مُلْبــَدُهُ[6] صَافِي الأدِيمِ أسِيل الخَدّ يَعْبُوب[7]

يَهْوِي إذَا الخيلُ جازَتْهُ وثارَ لهَا هَوِيّ سَجْلٍ من العَلياء مَصْبُوبِ

في كَلّ قائِمــــــةٍ منه إذْا انْدَفَعَتْ منهُ أساوَ[8] كَفَرْغِ الدَلْوِ أثْوبِ

ويشبه "علقمة الفحل" قوائم فرسه في غلظها وشدتها بأعناق الضباع،يقول[9]:

وَغلبٌ كَأعْنَاقِ الضِباع مُضْيفَها[10] سَلامُ الشَظَى يَغشْى بَها كَل مَركبِ

أمّا الصورة الشعرية الأسطورية فتبرز عند امرىء القيس في وصف فرسه بالكر والفرّ معا،ولعل لفظة"معا"نقلت الفرس من الحقيقة إلى الأسطورة،ويشبه هذا الفرس بتيس الظباء الذي يرعى النبات،يقول امرؤ القيس[11]:

مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَتْيِس ظِبْاءِ الحُلّبِ الْعَدوَانِ

ويستعيد "خفاف بن ندبة" ذكرياته في تلك الديار المقفرة،ويشبه فرسه بفحل الظباء في

1- المفضل الضبي،مصدر سابق، ق 74،ص995.

2- المصدر نفسه،ق22،ص121.

3- العاديات:الخيل الأسابي.

4-ترجيب:تعظيم.

5-الحت:السريع.

6-ملبدالفرس:موضع اللبد منه.

7-يعبوب:كثير الجري.

8-الأساوي:الدفعات في الجري.

9- علقمة الفحل،مصدر سابق،ص91.

10- مضيفها :عصبها.

11-ابن حجر،مصدر سابق،ص87.

ضمره ونشاطه ضمنا قوته في الماضي في هذا الفرس،يقول[1]:

يَحرسُ أكَلاءه ويَحفْظهُ طَرفٌ كَتيس الظِبَاءَ مِنجردْ

أما الخيل عند "زهير بن أبي سلمى"فهو يصور طول أعناقها بالإبل فيقول[2]:

قَدْ عُولِيَتْ فهْيَ مَرفوعٌ جَواشِنُها على قَوائـــَم عُوجٍ لَحمُها زِيمُ

فهْيَ تَـــبَلّغُ بالأعـــــناقِ يُتْبِعُها خَلْجُ الأعِنّةِ في أشداقِها ضَجَمُ

ويقول أيضا[3]:

فأينَ الّذِينَ كانِ يُعطِي جِيادَه بأرسانِهنّ والحِسانَ الحَواليا

أما "امرؤ القيس" يصور فرسه بأنه أملس ضخم القوائم سريعها وأنه في قوتـــه ونشاطه مثل فحل الهجان ،حيث يقول[4]:

وَقَدْ أغْتَدِي[5]والطّيْرُ في وُكُنَاتِهَا بِمُنْـــجَرِدٍ[6]عَـــبْلِ اليَدَيْنِ قَبِيضِ

لَهُ قُصْرَيَا عَيْرٍ وســـاقَا نَعَامَةٍ كَفَحْلِ الْهِجَانِ يَنْتَحِي لِلْعَضيضِ

ويقول أيضا[7]:

هَبَطْتُ بعُرْيَانٍ[8]طَوِيـــلٍ قَذالُهُ يَبُذّ الْخَمِيسَ بَادِناً وَمُضَمّرَا

ويصور كذلك فرسه الدقيق الخصر الضامر البطن بأنها نشيط وقوي أثناء الغارة على العدو وهو فوق ظهر جواد أقبّ سريع نشيط، فيقول[9]:

وَإنْ أُمْسِ مكْرُوباً فَيَا رُبَ غَارَةٍ شَهِدْتُ عَلى أقَبّ[10]رِخْوِ اللّبَانِ

(يقول:إنني إذا أصابني مكروه أشن على العدو غارة على ظهر جواد أقبّ نشيط سريع)

1 -علقمة الفحل، مصدر سابق،ص39.

2- ثعلب، مصدر سابق،ص120.

3-المصدر نفسه،ص211..

4-ابن حجر، مصدر سابق،ص164.

5-أغتدي:أبكر.

6-المنجرد:الأجرد.

7-المصدر نفسه، ص210.

8-العريان:الفرس.

9-المصدر نفسه،ص92.

10-الأقب:الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن.

3.5-الحمار الوحشي

لقد ظهرت مشاهد الحمار الوحشي في الشعر الجاهلي،عندما كان الشعراء يشبهون نوقهم به،ولقد حوى هذا المشهد صورا عديدة ولوحات رائعة،يتحدثون به حيث ربط مشهد الثور بمدلولات أسطورية دينية عندهم،حيث ربطت بصورة القمر وصور ذلك بالكواكب المعبودة ،وهنا سنعرض لبعض هذه الصور حتى نجلو بعض الجوانب الخاصة به. فالثور من معبودات العرب المعروفة وهو التجسيد الأرضي للقمر السماوي،وقد دُعي القمر في بعض النصوص الثمودية واللحيانية ثورا.وقد استخدم العرب الأبقار في طقوس الاستسقاء،إذ يصعدون بها في جبال وعرة،ويشعلون في أذنابها النيران لتأتيهم بالمطر[1]:

وصفوا قرنه بالصلابة والسواد والحدّة،ورسم المثقب"صورة طريفة له في بياض وجهه وسواد عينيه فقال[2]:

كَأنما يَنْظرُ فيِ بُرَقعٍ مِنْ تَحَتِ رَوقِ سَلْبَ المُذّودِ

(يقول كأنّ منظره في هذا البرقع يسلب الفؤاد من بياض وجهه وسواد عينيه)

ووصفوا ظهره فرأوه مخططا على ظهره ،أو رأوه أبيضا ناصعا كأنما كُسي خرزا حديث العهد بالجلاء ،فقال الأعشى [3]:

لَهَقا كَأنّ سَرَاتَهُ كُسِيَتْ خَرَزاً نَقا لَمْ يَعْدُ أنْ قَشُبَا

(لقد كُسي ظهره بألوان جميلة، كأنه من الخرز الموشى على جسمه والذي لم يقشب)

أو يصف هذا الثور وبصره عالق بالسماء مشدود إليها،ثم يصف ريح الشمال العاتية يحفر عروق شجرة الأرطى في موضع مكشوف رماله غير متماسكة،يقول [4]

فبات عُذوباً للسّماءَ كَأنمّا يَوُائم رَهطا للعزربة صَيّما

يَلوذُ إلى أرَطاة حِقفٍ تَلفهُ خَريق شّمالِ تَترك الوَجه أقَتمْا

1- الجاحظ،مصدر سابق،ص466.

2- المتلمس الضبعي، مصدر سابق،ق14،ص65 .

3- الأعشى، مصدر سابق،ق1،ص2 .

4- علقمة الفحل،مصدر سابق،ص101.

مَكباً على رَوْقَيْهِ يحفر عَرقها على ظَهْرَ عُريانٍ الطَريقةِ أهَيمْا

ولبيد سيد شعراء الجاهلية في تصوير هذا الثور وهو يعالج الليل وما فيه.تصويرا حيا دقيقا، يقول[1]:

كأَخْنَسَ نَاشطٍ جادَتْ عليه ببُرقَةِ وَاصفٍ إحدى الليالي
أضَلّ صوارضه وتَفَيّقَتْهُ نَطُوفٌ أمرها بيَد الشّمال
فبات كَأنّه مَاضِي نُذُور يَلوذُ بِفَرْقَـــدِ فَضِل وضَال

يصف "امرىء القيس" الكلاب والثور،فيقول[2]:

فَصبّحَهُ عِنْدَ الشرُوقِ غُديةً كِلاَبُ انِ مُرٍ أو كِلاَبُ ابْنِ سِنْبِسِ
مُغَرّثَةً[3]زُرْقـــاً كأنّ عُيُونَها منَ الذّمْرِ والإيحاءِ نُوّارُ عِضْرَسِ
فَأدْبَرَ يَكُسوُهَا الرّغامَ كأنــّهُ عَلَى الصّمْدِ[4]وَالأَكَامِ جَذْوَةُ مُقْبِسِ
وَأيْقَنَ إنْ لاَقَيْنَهُ أنّ يَوْمَـــه بِذِي الرّمْثِ إنْ ماوَتْنَه يَوْمُ أنْفُسِ

قال"أبو الطّفيل الكناني"في مقطوعته عن طريدة من حمر الوحش حيث أدركت مـــن قبل الأسود حيث يصور ماوقع بين حمر الوحش والأسد،–فقال[5]:

ومُسْتَلْحَمٍ يَخْشَى اللّحاقَ وقَدْ تَلا بِه مُبْطِىءٌ قَد مَنّهُ الجَرْيُ فاتِرُ
ضَعِيفُ القُوَى رِخوُ العِظامِ[6]كَأنّها حِـــبالٌ نَضتْهُ مُبْطِئات مَحامِرُ
عَلَى صَلَويْهِ مُرْهَفـــاتٌ كأنّها قَـــوادِم[7]دَلّتْـــها نُسُورٌ نَواشِرُ[8]
شَتِيمٌ أبو شِبْلَيْنِ أخضَلَ مَتنَهُ من الدّجْنِ يَومٌ ذو أهاضِيبَ ماطِرُ

1– لبيد بن أبي ربيعه،مصدر سابق،ص76–77.

2–ابن حجر، مصدر سابق،ص98–99.

3–المغرثة:المجوعة.

4–الصمد:المكان المرتفع.

5–الأصمعي،مصدر سابق، ق20،ص102–103.

6–رخو العظام:ارتخت مفاصل عظامه.

7–القوادم:أربع ريشات في مقدم الجناح.

8–نواشر:نشرت أجنحتها.

(يقول:رب حمار وحشي لوحق وأرهق وقد أنهكه الركض ففترت حركته،وقد بلغ به الضعف أن ارتخت مفاصل عظامه وأصبحت كالحبال وقد سبقته الحمير حتى المبطئات منها،وهذا الأسد المفترض كريه عابس وشرس لأن له ولدين يطعمهما، ويدافع عنهما وقد بلل ظهره يوم ممطر تساقط مطره دفقات دفقات). ويصف "امرؤ القيس" الحمار الوحشي،فيقول[1]:

كَأنّي ورّحلي فَوقَ أحْقَبَ قَارِحٍ بِشَرْبَةً أو طاوٍ بِعْرنانَ مُوجِسِ

ويقول أيضا[2]:

غَشِيتُ[3] دِيَارَ الحَيّ بِالــبَكَرَاتِ فَعــارِمَةٍ فَبُرْقَة[4]العــــيرَاتِ
كَأنّي وردّفِي والقِرَابَ ونُمْرُقِي عَلى ظَهْرِ عَيْرٍ وَارِدِ الْخَبَرَاتِ
عَنِيفٍ بِتَجْمِيعِ الضّرَائِرِ فَاحِشٍ شَتِيمٍ كَذَلْقِ الزُجّ ذِي ذَمــرَاتِ

(يقول:لقد حللت بأرض غليظة فيها حجر وحصى وجبال بطريق مكةإلى مواضع الحمرالوحشية ويقول:بأن ناقته نشيطة وسريعة حتى أنه حسب نفسه على ظهر عير يرد الخبرات ليشرب).

وتصف "الخنساء" الحمر الوحشية،فتقول[5]:

كَأنّ القــتُودَ[6]إذْا شدّهْا عَلى ذَيِ وَسومٍ تُباري صِوارا[7]
فَدار فَلَمْا رَأىْ سِربَــها أحسّ قَنيصْا قَرِيـــبا فَطْارا

ويمكن أن نطالع صورة ثور الوحش في المعتقدات القديمة في إطار من القدسية والتبجيل فهو"إله"يرمز إلى القوة والخصب،وهو إله العواصف،عبده"السومريون وسموه "إتليل" وعبدوا البقرة إلهة معه،وكان الثور عند "الحبشيين"في آسيا الصغرى إله المطر

1- ابن حجر، مصدر سابق،ص97.

2- المصدر نفسه،ص166-168.

3-غشيت:أتيت .

4-برقة:أرض غليظة فيها حجر ورمل وطين.

5- الخنساء،مصدر سابق،ص58.

6-القتود:الرحل.

7-الصوار: القطيع من البقر.

والبرق والعواصف الرعدية، وهو إله عنيف،صعب المراس،يهيج دونما إنذار،وهو قوي ومخصب وعنيف،يرمز للقوة التناسلية[1].

أما الشاعر"لبيد بن ربيعة"فبعد أن شبه ناقته بالسحاب،شبهها بأنثى الحمار الوحشي التي حملت من ماء حمار وحشي أضمره طرده للفحول الأخرى دفاعا عن أنثاه وحماية للجنين الذي تحمله في أحشائها؛لذا يدفعها أمامه هربا من هذه الحمر الوحشية إيثارا للسلامة،فيقول[2]:

فَلَها هِبابٌ في الزّمامِ كَأنّها صَهْباءُ رَاحٍ في الجَنوبِ جَهامُها

أو مُلْمعٍ[3]وسَقَتْ لأحقبَ[4]لاحَهُ طَرْدُ الفُــحولِ وَضَرْبُها وكِدامُها

يَعْلوُ بها حُدْبَ الإكامِ مُسَحّجٌ قد رَابــَهُ عِصْيَانُهَا وَوِحَــاوُها

ويتابع "لبيد"وصفه لهذه الحمر الوحشية حتى تصل الماء،فيقول[5]:

حَتّى إذْا سَلَخا جُمــادي ستّةً جُزءاً فَطــالَ صَيــامُهُ وصَيامُها

رَجَعا بأمْرِهــما إلى ذي مِرّةٍ حَصِــدٍ[6]وَنُجْجُ صــَريمَةٍ[7]أبَرامُها

ورَمَى دَوابرَها[8]السّفا وتَهْيجَتْ رَيحُ المَصايفِ سَوْمُها وسِهامُها

فَتَوَسّطا عُرْضَ السّرِيّ وَصَدّعا مَســْجورَةً مُتــَجاوِراً قُلامُــها

من خلال الصورة الشعرية التي رسمها"لبيد"للحمار وأتانه نلحظ الحركة الدائمة المتطورة، والصراع من أجل الحياة والبقاء،فالأتان حامل،وهذا يعني رمز الخصوبة والنماء والبقاء واستمرار الحياة،وكيف أنه صور الطريق تصويرا ينم عن أفكار وهواجس تظهر فكرة الموت وسط عناصر الحياة، فالقلام واليراع الذي يحيط بعين

1- فريزر،مصدر سابق،ص105.

2- لبيد بن أبي ربيعه،مصدر سابق،ص304.

3-ملمع:الأتان التي بان حملها.

4-أحقب: حمار دقيق الخصر.

5- المصدر السابق،ص311.

6-حصد:مبرم محكم.

7-صريمة:عزيمة.

8-الدوابر:مآخير الحوافر.

الماء بعضه مصرع ساقط منكسر كما صوره شاعرنا[1]

ففي شعر " امرئ القيس" تتعدد صور الحمار الوحشي في أتم نماذجها ،حيث نجده يهمل صورة الصياد إلا أنه يتفرد بعنصر جديد،إذ يلحق بالأسرة عددا من الجحاش الصغيرة أو الأجنة،يسقط بعضها في رحلة الورود إجهادا،ويتخلف بعضها عند الصدور.فيقول[2]:

أذلكَ أمْ جَوْنٌ[3]يُطَارِدُ آتُناً حَمَلْنَ فَأرْبَى حَمْلِهِنّ دُرُوصُ

طَوَاهُ اضّطِمَار[4]الشّدّ والْبَطْن شَزَبٌ مُعَالىً عَلَى الْمَتْنَيْنِ فَهْوَ خَمِيصُ

بِحَاجِبِه كَدْحٌ مِنَ الضّرْبِ جَالِبٌ وَحَارِكُهُ مِنَ الْكِدَامِ[5]خَصِيصُ

وبعد أن صور رعيها وطريق ورودها الماء،يرسم صورة أخرى لتجمعها حول المورد وصدورها عنه،حيث يقول[6]:

فَيشْرَبْنَ أنْفَاساً وَهُنّ خَوَائِفٌ وَتُرْعَدُ مِنْهُنّ الْكُلَى وَالْفَرِيصُ

فَأصْدَرَها تَعْلُو النّجَادَ عَشِيّةً أقَبّ كَمِقْلاَءِ الْوَلِيدِ شَخِيصُ

أما صورة الحمار الوحشي عند"أوس بن حجر"فتظهر صورته في واحد وثلاثين بيتا تبدأ بالناقة ثم يصور الأتان،فيقول[7]:

كَأنّي كَسوتُ الرّحْلَ أحْقَبَ[8]قَارِباً لَه بِجنوبِ الشّيّطِينْ مَساوِفُ

أما :بشر بن أبي خازم"فيقول[9]:

جَوْنٍ أضرَ بِمِلْمعٍ يَعلُوُ بِها حُدْبَ الأكَامِ وكلّ قَاعٍ مُجدْب

---

1 -الشورىمرجع سابق،،ص135.

2-ابن حجر،مصدر سابق،ص173-174.

3-الجون:يريد حمار الوحش.

4-الضامر البطن.

5- كدمه:عضه بأدنى فمه..

6- المصدر نفسه،ص176.

7- أوس بن حجر، مصدر سابق،ص73.

8-أحقب:حمار الوحش.

9- بشر بن أبي خازم الأسدي،الديوان،تحقيق:عزة حسن،وزارة الثقافة والإرشاد السورية،دمشق، ط1، 1972.ص،45.

أما"الأعشى"فيقول[1]:

وَكَأنّ القُتُودَ وَالعِـــجْلَةَ وَالْ وَفْرَ لَمّا تَلاحَقَ السّوّاقُ

فَوْقَ مُسْتَبْقِلٍ أضَرّ بِهِ الصّيْـ فَ وَزَرَ الفُحُــولِ وَالتّنْهَاقُ

أوْ فَرِيدٍ طَاوٍ تضَــيّفَ أرْطَا ةً[2]يَبِيتُ في دَفّهَــا وَيُضَاقُ

ويفتخر "الأعشى"كذلك بقتل الحمر الوحشية متى شاء ،وكما نهلك الأبطال في المعارك،فيقول[3]:

قَد نَخْضِبُ العَيرَ من مَكنونِ فائلِهِ وَقَدْ يَشِيطُ عَلى أرْمَاحِنا البَطَلُ

كما يتحدث عن سرعته وعيشه في بطون الأودية المتسعة ويجوب فيها كما يشاء، فيقول "الأعشى"[4]:

أذَلِكَ أمْ خَميـــصُ البَطْنِ جَأبٌ أطَاعَ لَهُ النــّوَاصِفُ وَالكَدِيـــدُ

كما يصور"الأعشى"سرعة ونشاط الحمر الوحشيةوهو يهاجم قطعان الأتن ويــسوقها حيث يشاء،فيقول[5]:

تَرَاهــا كَأحْقَبَ[6]ذِي جُدّتَيْـ ـنِ يَجْمَعُ عَوْنــاً وَيَجْتَــالهَا

ويشبه"الأعشىناقته في خفتها وسرعتها والوقوف في وجه العدو بالحمار الوحشي، فيقول[7]:

وَعَسِيرٍ[8]أدْمــاءَ حَادِرَةِ العَيْـ ـنِ خَنُوفٍ عَيــْرَانَةٍ شِــمْلالِ

4.5-الظليم:

إن قصة الظليم والنعامة مرتبط بمشاعر الأمومة الدافئة وعواطف الزوجين

1- الأعشى،مصدر سابق،ص131.

2-أرطاة:شجرة تأكل الإبل ثمارها.

3-المصدر نفسه،ص153.

4-المصدر نفسه،ص65.

5-المصدر نفسه،ص164.

6-الأحقب:حمار الوحش.

7-المصدر نفسه،ص169.

8-العسير:الناقة التي ترفع ذنبها في عدوها.

المتراحمين. وتتردد هذه الصور في دواوين طائفة كبيرة من الشعراء فنقف عليها عند امرىء القيس وقيس ابن الخطيم وبشر بن أبي خازم وعنترة وزهير والأعشى وعلقمة الفحل وسواهم.فإذا نظرنا إلى تصويرعلقمة فلم يبق لنا من الحديث عن الشعراء إلا القليل المتناثر في دواوينهم[1].

وعند المضى في تلك الدواوين يحس أن أصحابها يعانون شعوراً بالحصار الضيق حين يعرضون لقصة الظليم،ومن أهم أسباب هذا الاحساس قلة الأحداث والشخوص مما يجعل إبداع الشعراء رهنا بقدرتهم على التصوير.[2]

أما بشر بن أبي خازم،فرسم له صورة أغفل فيها التفاصيل الدقيقة وشغف بالهيئة والشكل الخارجي فبدا له كرجل أسود يتلفع بكساء من قطيفة:[3]

هوجاءُ نَاجيـــةٌ كأن جديلَها ... في جيدِ خاضبةٍ إذا ما أوجفوا

يُبري لها خَرِبُ المُشاشِ مُصلّمٌ ... صَعْلٌ هِبَلٌ ذو مناسفَ أسقف

أكـــالُ تَنّــوم النقّام كأنــهُ ... حَبشيُ حازقةٍ عليه القَرْطَف

ولبيد بن ربيعة،كالآخرين بتصويره فوصف ريشه وما يلقيه من سقيط هذا الريش إذا تقاصر يريد العدو،ثم يصف صدره وساقيه،وصور كلفه بأنثاه وسيره بين الشجر،فيقول:[4]

أفذاك أم صعلٌ كأن عفاءهُ ... أوزاعُ ألقاءٍ عل أغَصان

يُلقي سقيطَ عِفائه متقاصراً ... للشدّ عَاقدَ منـــكِبٍ وجِران

صعلٌ كسافلة القنماةِ وظيفُهُ ... وكأنّ جؤجؤه صفيـــحَ كِران

كَلِفٌ بِعاريةِ الوظيفِ شِملّة ... يَمشى خَلال الشريّ في خِيطان

أما عنترة العبسي،فرسم صورتين جميلتين وقف في الثانية منها على مقربة من قول

1- رومية،وهب،الرحلة في القصيدة الجاهلية،ط3،بيروت،مؤسسة الرسالة،1983،ص153.

2-المرجع السابق،ص153.

3- بشر بن أبي خازم،مصدر سابق،ق21،ص49.

4- لبيد بن أبي ربيعه،مصدر سابق،ق16،ص66 .

بشر بن أبي خازم،ولكنه جعل العبد في فراء طويل لكنها جاءت صـــورة أدق مـــن صورة صاحبه،[1]:

وَكأنّما تَطِـــــسُ الإكَامَ عَشِيّةً بقَرِيبِ بيـــنَ المَنْسِيَنِ مُصلَمِ

ويصف،ثعلبة بن صعير المازني هذا الطائر وهو يخاف على بيضته قائلا[2]:

يبري لِرائحةٍ يُساقطُ ريشَها مَرّ النّجاء سِقاطَ ليفِ الآبر

فَتذكّرتْ ثَقلاً رَئيـــداً بَعدمْا ألقَتْ ذَكاءُ يمينَها في كافر

أما الأعشى،فقد كان قليل العناية بالتشبيه،كلفاً بالألفاظ،وتسمية الأماكن،دقيقاً في تتبع الحركات،حيث يقول:[3]

أم صَعْلَةٌ بالقارتينِ تَروّحت ربداءَ تتّبعُ الظليمَ الأربـــدِا

يتجاريانِ ويَحسبانِ إضاعةً مُكثَ العِشاءِ وان يغُيما يَفْقِدا

طَوراً تكونُ أمـــامه فتفوتُهُ وَيَفوتُها طـــوراً إذا ما خوّدِا

وهنا نلاحظ صورة امرؤ القيس حيث يقول:[4]

تَروّحَ مِنْ أرْضِ لأرْضٍ نَطِيّة لِذكْرَةِ قَيْضٍ بَيْـــــضٍ مُفَلّقِ

يَجُولُ بِآفَاقِ الْبِـــــلادِ مُغَرّباً وَتَسْحَقُهُ رِيحُ الصّبَا كُلّ مَسْحَقِ

أما قصة علقمة،مع الظليم كما صورها فجاءت في خمسة مشاهدحيث أبدع في وصف مشاعر هذا الظليم وتتبعها تتبعاً دقيقاً في مراحل القصة فصّورها في أمنه واضطرابه وحذره وسعادته،وصوّر مشاعر النعامة،ورسم لهذه الأسرة الصغيرة صورة يلونّها الحب بلونه الزاهي.

في المشهد الأول: وقف علقمة يتأمل بعيني طفل ودهشته مع هذا المخلوق الغريب

1-الزوزني،مصدر سابق،ص142-143.

2-المفضل الضبي،مصدر سابق،ق24،ص 60.

3- الأعشى،مصدر سابق،ق34،ص70.

4-ابن حجر،مصدر سابق،ص150.

العجيب وهو ينقف الحنظل،فقال:[1]

كأنها خَاضــبٌ زعرٌ قَوادمُهُ أجَنى لــهُ باللّوى شَريٌ وتنوم

فُوهٌ كَشــقّ العصــا لأياً تبيّنُهُ أسكُ ما يَسمعُ الأصواتَ مصلوم

يَظلُ في الحَنظَلِ الخطْبانِ ينقفُه وما استَطفّ من التّنّوم مخذوبُ

وأما المشهد الثاني: فيتذكر بيضه الذي تركه منذ الصباح في طلب الرزق،ثم يتغير الطقس فتشد الريح ويهيجه مطر خفيف فيحس باقتراب العاصفة ويتذكر أفراخه اللواصق بالأرض كأصول الشجر،فيقول:

حَتى تَــذكر بَيضــات هيجــة يَومُ رذاذ عَليهِ الريحُ مغيوم

يَأوي إلى حَسكلِ زعرٍ حَواصلُهُ كَأنهنّ إذا بــرّكنَ جرثــوم

وفي المشهد الثالث:يصور الظليم وهو راجع إلى أدحيه ينهب الأرض عدواً فيرسم له صورة دقيقة جداً في أثناء هذا العدو فيقول:

فَلا تَزيُــدُهُ في مَشيه نَفــقٌ وَلا الزفيفُ دَوينَ الشدّ مّسؤوم

يَكــادُ منسمُهُ يَختلّ مقــلتَهُ كَأنــهُ حَاذرٌ للنّحــسِ مشهومُ

وَضاعةٌ كَعصى الشرعِ جُؤجؤهُ كَأنّهُ بَتناهِي الرَّوْضِ عُلْجوم

وفي المشهد الرابع:نراه قد وصل إلى بيضه قبيل الغروب ودخوله عليه فوراً بسبب الشوق والحنين،فيقول:

حَتى تَلاقى وَقرنُ الشّمس مُرتفعٌ أدحىّ عرسينِ فيه البيض مركومُ

فَطــافَ طوفينِ بالأدحيّ يقفرهُ كَأنــهُ حــاَذرٌ للنّــخسِ مَشــهومُ

وفي المشهد الأخير:فهو كما صوره علقمة أجمل مشاهد القصة وأثراها بالعاطفة،فيقول:

يُوحي إليها بإنقاصٍ ونقنقةٍ كما تراطنُ في أفدانــها الروم

صّعلٌ كأنّ جَناحيه وجؤجؤَه بيتٌ أطافَتْ به خَرقاءُ مَهجوم

تَفُهُ هَقلةٌ سَطعاءُ خَاضعةٌ تُجبيُهُ بِزمــارِ فيــه ترنيــم

1- علقمة الفحل،مصدر سابق،ص58-61.

5.5-البقر الوحشي:

لو توغلنا في التاريخ القديم لوجدنا الحيوان من بين الصور المهمة لمعبودات الإنسان القديم ،فهو إما طوطم الجماعة وجدها الأعلى،وإما معبودها الممثل والرمز للإله السماوي: الكواكب الذي تتوجه إليه الجماعة في صلواتها.[1]

وتطالعنا صورة الثور الوحشي عادة عند حديث الشاعر عن ناقته إذ يعمد إلى وصل صورتهما بصورة الثور في تشبيه مطول، ثم يبدأ في توسيع الصورة بحكاية أحداث تشبه أن تكون قصة تتعلق بالأصل الأسطوري الذي يدور حول الحياة والمكانة الدينية للثور الوحشي رمز الإله القمر.[2]

ومن النصوص القديمة التي تظهر فيها شذرة من هذه الصورة،هذا النص الذي نجده في ديوان"المتلمس الضبعي"[3].

وأدْماءَ منْ حُرّ الهِجانِ كأنّها بِحر الصّريم نَابِىءُ مُتَوجسُ

لَهُ جُدَدُ سُودُ كأنّ أرنـــْدَجا بِأكْرُعِهِ وبِالذراعين سندسُ

نلاحظ أن الشعراء يهتمون باستقصاء جميع عناصر الصورة أحيانا إلا في حالات نادرة–وهذا ما يلحظ عند الأعشى،والنابغة،وزهير،وبشر بن أبي خازم.[4]

وقصيدة"النابغة الذبياني"تجتمع كل العناصر المتناثرة في غيرها من القصائد، يقول:[5]

كَأنّما الرّحْلُ منها فَوقَ ذي جُدَدٍ ذَبّ الرّيادِ إلى الأَشـــباحِ نَظــارِ

مُطَرّدٌ أفْرِدتْ عنْهُ حَلائِلُهُ منْ وَحَشٍ وجرَةَ أو من وحش ذي قار

مُجَرّسٌ وَحدٌ جَأْبٌ أطاعَ لهُ نَبــاتُ غَيــثٍ من الوَسَميّ مِبــكارِ

سَراتُه ما خَلا لَبّانَه لَهقٌ وَفي القَوائــمِ مِثــلُ الوَشمِ بالقارِ

1- علي،مرجع سابق،ص123.

2- المرجع السابق،ص125.

3- المتلمس الضبعي،مصدر سابق،ص228.

4- علي،مرجع سابق،ص 128.

5-القرشي،مصدر سابق،ص81-82.

أما"زهير"فيصور قطيع البقر الوحشية،عين على قطيع بقر الوحش حتى لا تمن في البعد عنه، والعين الأخرى على الفرقد-وليدها-حتى لا تضيعه،فيقول:[1]

كَخَنساء سفعاءِ المَلاطِمِ حُرّةٍ مُسافرةٍ مَزْءُودَةٍ أمّ فَرْقَدِ
تَنجُو كَذلك أو نَجاء فَريدة ظَلتْ تتبع مُرتعاً بِالفرقدِ
بَينا تُرَاعيه بِكل خَميلة يَجري عَليها الطَلّ ظاهرها نَدي

والملاحظ في صورة هذا الثالوث،الثور،المهاة، والفرقد،أن الثور والمهاة ينجوان في غالب الأحيان أما الفرقد،ابنهما ،فيصرع دائماً،ومصرعه يكون على يد سبع دائماً،وهذا ما نراه في تصوير "زهير"فيقول:[2]

وتَنفُض عَنها غَيبَ كَلّ خَميلةٍ وتَخشَى رُماةَ الغَوثِ مِن كُلَ مَرصَدِ

وقال "الأعشى"[3]

أهَوى لها ضَابِىءٌ في الأرض مُفْتَحِصٌ لِلّحم قدما خَفَيُّ الشّخص قد خَشّعا
فَظَل يَخدعها عنْ نَفسِ وَاحدها في أرَضِ فيءٍ بِفعل مثلهُ خدعا
حَانَتْ لِيُفجِها بِابن وَتطمعه لَحماً فَقَدْ أطَمعتْ لِحماً وقد فَجعَا
حَتى إذا فِيقَةٌ في ضَرعها اجتَمعتْ جَاءتْ لِترضع شَق النفسِ لو رضعا

وكذلك يصور"زهير"كيف أن السباع قد أكلت الفرقد قبل أن تعود أمه لترضعه،ولم يبق

وكذلك يصور"زهير"كيف أن السباع قد أكلت الفرقد قبل أن تعود أمه لترضعه،ولم يبق منه إلا بقايا من جلد وعظم،فيقول:[4]

أضَاعتْ فلمْ تَغفر لها غَفلاتها فَلاقت بِياناً عَندَ أخَر معهد
دَماً عَند شِلْوٍ تَحجل الطَير حَولهُ وبِضْعَ لحَامٍ في إهَابِ مقدد

1- زهير بن أبي سلمى،مصدر سابق،ص255.
2- المصدر السابق،ص165.
3- الأعشى،مصدر سابق،ص 107.
4- زهير بن أبي سلمى،مصدر سابق،ص225.

6.5-من الظواهر الطبيعية(الشمس،النار،المطر،النجوم،والكواكب)

1.6.5 - الشمس:

يصور الشاعر كونه المحيط به بصور مختلفة لتجسد نظرته الخاصة للحيـــاة وهذه الصور المختلفة عكست النظرة على أهمية الشمس للإنسان الجاهلي, وكـــذلك القمر والنجوم في السماء ومظاهر الطبيعة كلها، وما وراء الطبيعة مـــن شـــياطين وغول وجن، وغيرها من الصور التي أحاول عرضها في هذا الفصل لإظهار صور الشمس والنار والمطر والقمر، وما دار حولها من شعر ودراسات تربط أهمية هـــذه الظواهر أسطوريا في حياة الشاعر الجاهلي"لقد ربط الشاعر الأعشى بـــين صـــورة القمر والشمس، فقال[1]:

كَأنّ شُعَاعَ قَرْنِ الشّمْسِ فِيهَا إذْا مَا فَتّ عَنْ فِيهَا الخِتَامَا

وصورة الشمس عند "الأعشى"عليها طابع الحرارة وهي أقرب إلى اللمسيّة منها إلى الضوئية يقول [2]:

بِبِطنْ العَقَيْقِ أوْ بِخَرجِ بِتَالْه متْى مْا تِجدُ مَنْ الشّمسِ تُدمَجِ

وعن الواقع والأسطورة في شعر"أبي ذؤيب الهذلي" لا يجد من النجوم غير الشمس والعيوق، أما الشمس فعنده ميقات ورمز للعلو الذي لا يبلغ, ومبعث الحرارة اللاهبة, وهي ميقات لأن الدهر ليلة ونهارها وطلوع الشمس وغروبها،يقول[3]:

هَلْ الدَهُر إلا لَيلْةَ ونَهْارهَا وَإلا طَلْوعَ الشَمسِ ثَمْ غِيْابِها

وعرفت الشمس لدى الجاهليين ب" **ذكاء** " لأنها تذكو كما تذكو النار،ويقال للصبح ابن ذكاء، لأنه من ضوئها ،قال الراجز[4]:

فَوْرَدتْ قَبْلَ انبَلاجِ الفَجرِ وَابنْ ذُكاءٍ كَامنْ في كَفرِ

(يقول الشاعر:لقد انصرفت إلى أعمالي قبل طلوع الفجر،خوفا من حرارة الشمس

1- الأعشى، مصدر سابق،ص195.

2-المصدر نفسه،ص170,

3-حمد،مصدر سابق،1965،ص21.

4- ابن قتيبه،الأنواء في مواسم العرب،مطابع دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1988،ص140.

وكذلك شيوع الأسماء التي انتسبت إليها"كعبد شمس"و"امرىء الشمس"،ومن معتقدات العرب الأسطورية حولها كانوا"إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها،وإذا غربت وإذا توسطت للفلك،ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم لها"[1].

وفي القرآن الكريم ما يثبت تلك التصورات،لا سيما سجود بعض العرب للشمس والقمر معا، قال تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)** "[2].

ومن الأساطير التي نسجها عرب الجاهلية حول الشمس،زعمهم أنها لا تطلع من نفسها،حتى تعذبها الملائكة،وترغمها على الظهور صباح كل يوم،أي أن الشمس لا تطلع إلا وهي كارهة. وقالت:"لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله،حتى تُدفع وتُجلد فتطلع،فقال:أمية بن أبي الصلت [3]:

والشّمسُ تَطْلُعُ كُلّ آخر ليلةٍ حَمراءَ يُصبِحُ لَونُها يتَوَرّدُ

لا تَستطيْعُ أنْ تُقصّرَ سَاعة وَبِذاكَ تَدأبُ يَومهَا وتَشّرّدُ

(يقول:بأن الشمس تطلع في آخر الليل لونها يتوّرد من الحمرة،ولا تطلع إلا بعد الجلد ولا تقصر من طلوعها شيئا وإلا تُعذب)

إن رمي سن الصبي المثغر في الشمس من بقايا تقديس الشمس،والاعتقاد بأنها تمنح الحياة للأسنان الميتة،وتنبت مكانها أسنانا ناصعة جميلة،ففي زعمهم"أن الغلام إذا أثغر فرمى سنّه في عين الشمس بسباته وإبهامه،وقال أبدليني بها أحسن منها،أمنّ على أسنانه العوج والفلج والنفل"قال:طرفة بن العبد في شعره[4].

بَدّلَتهُ الشّمْسُ مِنْ مَنبِتَهِ بَرَدّا أَبيَضَ مَصْقَولَ الأَشُرْ

(يقول:لقد أبدلته الشمس سنا جديدا بدل سنه بسن أبيض مصقول مع أسنانه)

1- الحوت، مرجع سابق،ص93.

2-سورة فصلت،آية 37.

3- أمية بن أبي الصلت،مصدر سابق، ق10،ص266.

4- طرفة بن العبد،مصدر سابق،ص25.

(يقول:لقد أبدلته الشمس سنا جديدا بدل سنه بسن أبيض مصقول مع أسنانه)

وقوله أيضا[1]

سَقَتهُ إيّاةُ الشّمــْس إلا لثــَاتِه أُسِفّ ولَمْ تَكْدِمْ عَلَيه بإثمد[2]

وَوَجهٍ كَأنّ الشّمْس ألْقَتْ رِدَاءَهَا عَلَيْهِ نَقِيّ اللــّوْنِ لَم يْتَخَدّدِ

ونلاحظ الشاعر الجاهلي يملك مخزونا كثيرا من الطبائع العقلية التي كان عليها الأجداد الأقدمون،ونلحظ عندهم قداسة للشمس،يوم أن كانت آلهة تُقدم لها القرابين وتمثّل الأنوثة في استعارة القرون لها.والشمس تتبدى من خلال السحب حسناء تلقي قناعها،كما يقول"الأعشى[3]:

فَتىً لَوْ يُنادِي الشّمْس ألقَتْ قِناعَها أوِ القمَرَ السّارِي لألقَى المقَالدَا

والشّمس الأنثى تتزيّن وتمشط شعرها السحريّ الجميل،قال"الأفوه الأودي"[4]:

بِمنـــاقبَ بِيضٍ كَأنّ وُجوهَمْ زَهر قَبيـــل تَرَجَل الشّمــس

ويعتقد الناقد الألماني"هردر"أن الإنسان القديم يفكّر في شكل رموز،لذلك ترتبط الاستعارة ببداية اللغة الأولى التي كانت قاموس الروح والتي ساعدت على خلق الأساطير والملاحم[5].

أما بالنسبة للشمس بوصفها إحدى ركائز ذلك"الثالوث الإلهي"[6]؛فضلا عن ترجيح بعضهم أن "الصورة الأصلية لتقديس مظاهر الطبيعة مع القمر والشمس ترجع في الأصل إلى بلاد العرب"[7]

فحري بنا أن نتتبع أبعاد هذه الأسطورة في حياة العرب الجاهليين وانعكاسها على

1- الزوزني، مصدر سابق،ص48.

2-الأثمد:الكحل.

3- الأعشى،مصدر سابق،ص46.

4- الأفوه الأودي،الديوان ،ضمن مجموعة الطرائف الأدبية،تخريخ:عبد العزيز الميمني،دار الكتب العلمية،بيروت، (د:ت) ،ص16.

5- فريدمان،نورمان، الصورة الفنية،ترجمة:جابرعصفور،مجلة الأديب المعاصر،بغداد،ع16،ص44.

6-الثالوث الإلهي:هوالقمر"أباً"والشمس "أماً"والزهرة "ابناً أو ابنةً"

7- نيلسن،ديتلف،مرجع سابق،ص238.

صفحات شعرهم،مقرونة بنظرتهم الأسطورية إلى بقية الكواكب والنجوم ورجع الباحث "ديتلف نيلس" أن "دوار العرب(أي طوافهم)بهذا الإله كان له صلة بشعيرة الحب المقدسة، لا سيما العلاقة الخفية بين دوار العذارى بالموضع المقدس من الصنعة والحب ونذوره"[1].

وهذا ما التمسوه في قول"امرئ القيس"[2]:

فَعَنَ لَنا سِرْبٌ كَأنّ نِعاجهُ عَذَارَى دَوَارٍ في مُلاءٍ مذَيّل

أما"الأعشى"فيصور المرأة الجميلة وهي تسدل شعرها على الرقبة الفضية فيقول[3]:

ووَجَــهاً كَالفِتَـــاقِ[4] وَمُسْبَكِرّاً عَلى مِثْلِ اللّجـــينِ وَهُنّ سُودُ

وقال أيضا[5]:

حَتْى إذْا ذَرّ قَرْنُ الشّمْسِ صَبّحَها ذُؤالُ نَبْهَانَ يَبْغي صَحبَهُ المُتَعَا

وقال أيضا[6]:

غَيْثُ الأرَامـــــلِ وَالأيْتَامِ كُلّهِمُ لمْ تَطْلُعِ الشّمْسُ إلاّ ضرّ أوْ نَفَعَا

وتشبه "الخنساء طلوع الشمس يوميا بطلعة أخيها صخر الـذي مـات،فهو فـي نظرها كالشمس التي تأتي كل يوم ،وأن صخرا في قلبها وعينها وضميرها يوميـا، فتقول[7]:

يُذّكَرنيِ طَلْوعَ الشّمْس صَخـــراً وَأذكرهُ لِكـــلّ غُروبِ شّمسِ

وقالت أيضا[8]:

فَقُومي يَا صَفيّةُ فَي نَـــــسْاءٍ بِحَرّ الشّمْسِ لا يَبْغيـــنَ ظَلا

1- البياتي،عادل،تراث الحب في الأدب العربي-قبل الإسلام-،مجلة آداب المستصرية،بغداد،ع7، 1973،ص90

2- الزوزني، مصدر سابق،ص35.

3- الأعشى، مصدر سابق،ص63.

4- الفتاق:قرن الشمس.

5- المصدر نفسه،ص111.

6-المصدر نفسه،ص112.

7- الخنساء،مصدر سابق،ص87.

8-المصدر نفسه،ص113.

ويصور "الأعشى"مفاتن المحبوبة وهي تلبس قميصها وتلوح للشمس قبل أن تغيب، فيقول[1]:

إذا لَبِستَ شَيْدارَة[2]ثمّ أبْرَقَـــتْ بِمْعصَمِهَا وَالشّمْسُ لَمّا تَرَجّلِ
وَأَلْوَتْ بِكَفّ في سِــوَارٍ يَزِينهُا بَنَــانٌ كَهُدّابِ الدّمَقسِ المُفَتّلِ

وقد صور"المزرّد أخو الشّمّاخ"شعاع الشّمس ،فقال[3]:

كَأنّ شُـــعاعَ الشّمْسِ في حَجَرَاتِــهَا مَصَابيحُ رُهْبانٍ زَهَتْها القَنَـــادِلُ[4]
وَجَوْبٌ يُرَى كالشّمِس في طَخْيَةِ الدّجَى[5] وَأبْيَضُ [6]ماضٍ في الضّرِيبَة قاصلِ

وقال"أمرؤ القيس"[7]:

بِيـــدٌ[8]مُســـهّبَةٌ[9] مَرْتٌ مُخَفّقَـــةٌ يَهْماءُ[10]حِرْباؤهَا للشّمْسِ مُنْصِبُ

وقال أيضا[11]:

بَرَهْرَهَةٍ كَالشّمْسِ فِي يَومِ صَحْوِهَا تُضِيء ظَلاَمَ الْبَيْت فِي لَيلَةِ الدّجَى

1- الأعشى،مصدر سابق،ص146.
2-شيدارة:كلمة فارسية معربة معناها:الأتب.
3-المفضل الضبي،مصدر سابق،ق17،ص99.
4-القنادل:جمع قنديل،وهو قياسي عند الكوفيين،لم تثبته المعاجم،وهذا نص على أنه سماعي أيضا.
5-الدجى:ظلمة الغيم هنا.
6- الأبيض:السيف.
7- ابن حجر، مصدرسابق،ص143.
8-البيد:الصحاري-
9-المسهبة: البعيدة الطويلة.
10-اليهماء:التي لا يهتدى للسير فيها.
11- ابن حجر، مصدرسابق،ص146

(يصور طلعتها في الصباح وهي ناعمة لينة كطلعة الشمس التي تضيء البيت في اليوم المظلم)

وقال"المرّار بن منقذ"[1]:

لَحَسَبْتَ الشّمْسَ في جِلْبَابِها ... قَدْ تَبَدّتْ مِنْ غَمَامٍ مُنْسَفِرْ

صُورَةُ الشّمْسِ عَلى صُورتها ... كُلّمْا تَغْرُبُ شَمْسٌ أوْ تَذُرْ[2]

وقد صور الشاعر أسنانها المفلجة البيضاء بأشعة الشمس،حيث قال[3]:

حُرّةٌ تَجْلُو شَتِيتاً[4]وَاضِحاً ... كشُعَاعِ الشّمْسِ في الغَيْمِ سَطَعْ

وقال"النابغة الذبياني"[5]:

تَبدوُ كَواكبُهُ والشّمْسُ طَالِعَةٌ ... لا النّورُ نورٌ ولا الاظْلامُ اظْلَامَ

وقال أيضا[6]:

بَيضْاءُ كَالشّمْسِ وَافتْ يَومَ أسَعْدهَا ... لمْ تُؤذِ وَلَمْ تُفحَشْ عَلى جَارِ

وقال"عبدة بن الطبيب"[7]:

وقَدْ غَدَوْتُ وَقَرْنُ الشّمْسِ مُنْفَتِقٌ ... وَدُونَهُ مِنْ سَوَادِ اللّيلِ تَجلِيلُ

وقال"امرؤ القيس"[8]:

فَلَمّا أجَنّ[9]الشّمْسَ عَنّي غُؤُورُهَا ... نَزَلْتُ إلَيْهِ قَائِماً بِالحَضِيضِ

وقال"أوس بن حجر"[10]:

أَلَمْ تُكسَفِ الشّمْسُ وَالبدْرُ وَالـ ... ـكَوَاكِبُ للْجَبَلِ الْوَاجِبِ

1-المفضل الضبي،مصدر سابق، ق16،ص92.

2-ذرت الشمس:طلعت-وتشبيه الشمس بها من أقدم عبارات التشبيه المقلوب.

3-المصدر نفسه،ق40،ص191.

4-الشتيت:المتفرق-الواضح:الأبيض.

5- حاوي، مرجع سابق،ص67.

6-المرجع نفسه،ص246.

7-المفضل الضبي،مصدر سابق، ق26،ص143.

8-ابن حجر،مصدر سابق،ص115.

9-أجنّ عنّي:أخفى وستر،

10-أوس بن حجر،مصدر سابق،ص163.

وقال أيضا[1]:

إذْا استَقلتْهُ الشّمْسُ صَدّ بِوَجهِه كَمْا صَدّ عَنْ نَارِ المُهوّلِ حَالِفُ

وقال"علقمة بن عبدة"[2]:

حَتّى تَلافَى وَقَرْنُ الشّمْسِ مُرْتَفِعٌ أدْحِيّ عِرْسَيْنِ فِيه البيْضُ مُرْكُومُ

5.6.2- النار:

عرفت النار منذ آلاف السنين, ورأى فيها العرب روحا وحياة فهي تحيا وتتحرك وتؤثر بقوة هائلة فيهم, فكانت عنيفة تدمر وتقتل وتبيد, وكان لتعاقب النهار والليل, والنور والوحشة أثر كبير في معتقدات الإنسان منذ القدم, وأتخذ تقديس النار عند العرب مظاهر مختلفة.وبعد دراسة كتاب"مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي" أنور أبو سويلم–وهو من الكتب النادرة في موضوعها لما حشد فيه من أفكار وآراء ،مدعما ذلك بالشعر والقول،حيث تعرض لمختلف أنواع النّار التي استخدمت عند الشعراء قديما،عارضا فيه نظم الشعراء ،ولا أستطيع أن أتعرض لكل ما كتبه عن النّار،ناهيك عن الأسلوب السهل الممتنع لدى الدكتور،فهو من الكتب التي تقتنى في المكتبة العربية،وهنا اعرض بعض الصور الخاصة بموضوع النار.[3].

5.6.2.1-القسم بالنار:

لقد أقسموا بالنار ويكاد يكون الحلف من أعلى درجات التعلق الديني [4]. وأشاراالمؤرخون إلى"نار اليمن المقدسة" التي كان لها سدنة يعنون بجعل نارها دائما مؤجّجة وسموها "الهولة و"المهولة" وكان السدنة يطرحون فيها ملحا وكبريتا من حيث لا يشعر الناس [5].

1- أوس بن حجر، مصدر سابق ،ص69.

2- المفضل الضبي، مصدر سابق، ق120،ص400.

3- أبو سويلم،أنور،مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي،مرجع سابق،ص129-160.

4- ناصف،قراءة ثانية لشعرنا القديم،مرجع سابق،ص87.

5- الجاحظ،مصدر سابق، ج2،ص470.

وقد أقسم بهذه النار الأعشى, وقال[1]:

حَلفتُ بالملحِ وبالرّمادِ وبالنّارِ وباللاّتِ نَســـلِمُ الحَــلــقهْ

حتّى يَظّــلُ الجَـــوادُ مُنعفراً وَيُخضِبُ النّبلُ غُرّةَ الدرَقــهْ

وأشار"أوس بن حجر"إلى هذه النار, حيث وصف حمار الوحش وذكر المهوّل(القائم على النار المقدسة) وذكر أن الحالف عندما يُقسم بالنار يقترب منها فُيصيبه لظاها ويسعفه لفحها, فيقصد بوجهه عنها[2].

إذْا استَقبلْتهُ الشّمسُ صدّ بِوَجهِه كَمْا صَدّ عَنْ نارِ المُهوّلِ حَالِفُ

(يقول:إنّ الإنسان عندما يحلف يصدّ بوجهه عن حرارة الشمس المحرقة)

2.2.6.5- التحالف مع النار:

قال ابن منظور: وكان العرب إذا تحالفوا يقسمون على العهد بالحلف وعدم النقض به, وكان عادتهم أن يحضروا في حفنة طيبا أو دما أو "رمادا" فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف يتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد, ويسمون القسم عندئذ "اليمين الغموس" [3]

وقد فسر ابن عبد ربه قول "الأعشى في مدح المحلق بن حنتم بن شداد بن ربيعة" [4]

لَعَمري لَقدْ لاَحَتْ عيُــونٌ كَثَيرةٌ إلَى ضَوْءِ نــَارٍ في يفاعٍ تُحَرّقُ

تُشَبّ لَمقْرُورَيْنِ يَصـــــطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلى النّارِ النّدَي وَالُمحلّقُ

(يقول: لما كان من شأن المتحالفين أن يتحالفوا على النار, جعل الندى والمحلق كمتحالفين اجتمعا على النار)

3.2.6.5- الاستسقاء بالنار:

واستمطر الجاهليون بالنار والبقر, إذا تتابعت عليهم الأزمات وبات عليهم البلاء الجدب اجتمعوا وجمعوا ما شاء من البقر وعقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع

1- الأعشى الكبير، مصدر سابق ،ص215.

2- أوس بن حجر، مصدر سابق،ص69.

3- ابن منظور، مصدر سابق،(غمس)،م10،ص147.

4- الأعشى الكبير، مصدر سابق ،ص273-275.

والعشر[1]. وعلل "جواد علي" إضرام النار في أذناب البقر بأن ذلك إنما فعلوه على سبيل التفاؤل, فالنار إشارة إلى البرق, البرق مجلبة المطر[2]، وتشير بعض المصادر إلى أنهم يصعدون البقر في الجبل الوعر في جهة الغرب دون الجهات الأخرى[3].

ووصف "جيمس فريزر" طقوس شعوب أخرى تستخدم فيها النيران لتحقيق هدف مناقض، قال: "وفيما عدا العرب فإنّ كثيرا من الشعوب الأخرى كانت تستخدم النار وسيلة سحرية لمنع سقوط المطر"[4] ويرى"أحمد الحوفي"أنّهم إنمّا يحاكون عبادة قديمة تُقرّب الأبقار فيها قُربانا للآلهة[5].

وأنشد "القحذمي" للوَرل الطائي يسفه هذه التعاويذ السحرية لجلب المطر،قال[6]:

لا دَرّ دَرّ رِجالٌ خَابَ سَعيُهم يَستمطرونَ لَدى الأزمْاتِ بِالعُشَرِ

أجَاعِلٌ أنتَ بَيقوراً مُسلّعَةً ذَرِيعةً لَكَ بَيْـــــنَ اللهِ والمَطَرِ

4.2.6.5-نار البراكين:

كانت للبراكين الثّائرة التي تدفع بأعناق الحمم الهائلة والنيرانالمتأجّجة،والدخان الكثيف أثرٌ في حياتهم،ووصف "عرعره"النّميري بركانا ثائرا في "حرّةالقوس"قال[7]:

بِحَرّةَ القَوس وخْبَتَي محفَلٍ بَينَ ذُراه كَالحَرِيقِ المُشعَلِ

(فالشاعر:يصور هذا البركان الثائر المشتعل في حرّه القوس،كأنه الحريق الهائل)

ويصف "النابغة الذبياني" "الحرّة "،بقوله[8]:

يُذرِينَ دَمعاً عَلَى الأشفارِ مُنحدِراً يأمُلنَ رِحلةَ حِصنٍ وابنَ سَيّارِ

1- ابن منظور،مصدر سابق،(عشر)،م10،ص568-569.

2- علي، مرجع سابق،ج5،ص341.

3-الألوسي،مصدر سابق،ج1،ص19.

4- فريزر،مرجع سابق، ج1،ص254.

5-الحوفي، مرجع سابق،ص426.

6- ياقوت الحموي،معجم البلدان،دار صادر،بيروت،1955،ج2،ص245-250.

7- النابغة الذبياني،مصدر سابق، ص76.

8- ياقوت الحموي،مصدر سابق،ج2،ص247.

أمّا عُصيتُ فإنّي غيرُ مُنفلتٍ منيّ اللّصاب فجَنْبا حَرّة النّارِ

ووصف آخر :"حرة اللبن" وهي تقذف الحمم وتثور مزمجرة،قال[1]:

بِحَرّة لَبْن يَبـــرُقُ جَانِباهَا رَكودُ مْا تُهَـدُ مَنْ الصّياحِ

(يقول:إنّ هذه الحرّة تقذف الحمم من جوانبها لا تهدأ من الصباح وتبقى باستمرار)

5.2.6.5ــ نار الطّلل:

نلاحظ أن الشعراء الجاهليين بكوا الديار ووقفوا على الأطلال يتذكرون الأيام الخالية مع الأصحاب والأحباب،وخصوصا فراق الحبيبة–المرأة–ولم يبق سوى الرمال والقفار تذروه الرياح.قال "عبيد بن الأبرص"يصف هذه الذكريات،[2]:

دَارُ حَيّ أصَابُهم سالفُ الدّهرِ فَأضحَتْ دِيارُهُم كالخِلالِ

مُقفِراتٍ إلاّ رَمـــاداً غَبيّا وَبَقايا مَنْ دِمنةِ الأطلالِ

(يقول :لقد أصبحت ديارهم كالقفار بعد رحيل الحبيبة،وأصبحت كالأطلال الفارغة)ويظن "أنور أبو سويلم" "ربما كان الطلل يرتبط بشعائر قديمة اندثرت،كان يقدم الشاعر فيها تراتيله على أعتاب النّار المقدسة التي تحولت إلى رمادٍ وأثافٍ".[3]

وقال"النابغة الذبياني"[4]:

فَمْا وجَدتُ بِهْا شَيئاً ألوذُ به إللاّ الثّمام وإلاّ موقدُ النّار

وإذا تحالفوا كانوا يأتون بجفنة فيها رماد فُيدخلون فيها أيديهم عند التحالف ليتم عقدهم عند الحلف.وبقي الشعراء يتخيّلون النّار المقدسة منسوبة في أطلال المحبوبة وأماكن سكناها، قال"الحارث بن حلزه اليشكري"[5]

لاَ أرَى مَنْ عَهدتُ فيها فَأبكى اليومَ دَلْهاً وَمـــا يـــرُدُّ البُـكاءُ

وَبِعَينيكَ أوْقَـــدَتْ هُندٌ النـــــّارَ أخَيراً تُـلوِي بِهَا العَليـــاءُ

1-عبيد بن الأبرص،مصدر سابق،ص105.

2- المصدر السابق،ص105.

3- أبو سويلم،أنور،مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي،مرجع سابق، ص324.

4- النابغة الذبياني،مصدر سابق، ص146.

5- الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات،تحقيق:عبد السلام هارون،دار المعارف، القاهرة،1969،ص436.

أوْقَدَتْها بَينَ العَقـــــيقِ فَشَخصَينِ بِعـــــودٍ كَمْا يَلُوحُ الضّـــياءُ

فَتَنَوّرتُ نـــارَهَا مِنْ بَعيـــــــــدٍ بِخَزّازَى هَيهَاتَ مِنْكَ الصّلاَءُ

وقال"عنترة"[1]:

فَلا تَحسَبْي أنّي عَلَى البعُدِ نَادِمُ وَلا القَلبُ فِي نَارِ الغَرامِ مُعَذّبُ

6.2.6.5- نار القرى:

نار القرى"هي النّار التي توقد للضّيفان وطرّاق اللّيل،والجياع مما قذفت بهم الصحراء في متاهاتها،وألقت بهم في فم الموت،وربما يوقدونها بالمندليّ الرّطب ونحوه مما يتبخر به ليهتدي إليها العميان،قال"عدي بن زيد العبادي [2]:

يا لُبَيني أوقدي النّارا إنّ منْ تَهوينَ قَدْ حَارا

رُبّ نَـــارٍ بِتّ أرمِقُها تَقضمُ الهِنديّ والغَارا

وجاء في تفسير العلماء لقوله تعالى:

(فَلَمَّا قَضَى مُوسَىالْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) [3]

قالوا:إنّ الضّوء والنور.وقال أبو عقيل:لم يعرفوا موقـــع النّـــار مـــن أبنـــاء السبيل،ومن الجائع المقرور.وقال الطبري:اختلف أهل التأويل في معنى "النّـــار"فـــي هذا الموضع،فقال بعضهم:معناه النور،وقال آخرون:معناه النّار لا النور.[4]

وقوله تعالى:(**آتِيكُم مِنّهَا بِخَبَرٍ**) [5] ما يخبر به عن حال الطّريق لأنه قد ضـــل. وقال الجوزي: الشهاب:النّار،والقبس:النّار تقبس،تصطلون:تستدفئون،وكان الزّمـــان شتاء،وجاء موسى النّار،وإنما كان نورا فاعتقده نارا ّ.[6]

1- عنترة بن شدّاد، مصدر سابق،ص97.

2- البصري،مصدر سابق،ج2،ص28.

3-سورة القصص،آية29.

4- الطبري،مرجع سابق،1954،ج19،ص134.

5- الرازي،التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،دار الفكر، ،بيروت، 1980، ج24،ص181.

6- ابن الجوزي،زاد الميعاد في علم التفسير،المكتب الإسلامي،دمشق، 1980، ج6،ص154.

وقال"طرفة بن العبد"[1]:

هَمّ عَرانَي فبِتّ أدفعُهُ دَوْنَ سُهادٍ كَشُعلةِ القَبسِ

وقال "الأعشى"[2]:

تضيّفتُ يوَماً على نَارِه من الجُودِ في ماله أحتَكِمْ

أما حاتم الطائي فهو أشهر من أوقد نار القرى على اليفاع،قال[3]:

وإنّي لَتهواني الضّيوف إذا رَأتْ بِعلياء نَاريِ آخِرَ الليل تُوقد

7.2.6.5-نار الحرب:

وتسمى الأهبة والإنذار،قال البغدادي: [4] كانوا إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا،وأرادوا الاجتماع أوقدوها على جبلهم لتجتمع إليهم عشائرهم،فإذا جدّوا وأعجلوا أوقدوا نارين،قال الفرزدق [5]:

ضَرَبوا الصّنائعَ والملوكَ وَأوَقدوا نَارين أشرفتا على النّيران

وفي الشعر الجاهلي يأتي تشبيه الجيش بالحريق الذي يشّب في الغريق،والرّماح اللامعة والسيوف الصقيلة المُضرمة ونيران العرفج والقبس الملتهب،وسرعة شدّهم بحفيف النّار إذا شيّعتها بالحطب[6].

وقد يضيفون النّار إلى الحرب،قاله"دريد بن الصمة"[7]:

أعاذل كم منْ نَارِ حَربٍ غَشيتها وكم لي منْ يَومٍ أغَرّ مُحجّلَ

وقال :عنترة بن شداد[8]:

جَزَى اللهُ الأغَرّ جَزَاءَ صدقٍ إذْا ما أوَقَدتْ نَارَ الحَروبِ

1- طرفة بن العبد، مصدر سابق،ص165.

2- الأعشى الكبير ،مصدر سابق ،ص85.

3-البصري،مصدر سابق،ج2،ص28.

4- الجاحظ،مصدر سابق، ج4،ص474.

5-المصدر نفسه،ج4،ص475.

6- قيس بن الخطيم،الديوان،تحقيق:ناصر الدين الأسد،دار صادر،بيروت،1967،ص19.

7- دريد بن الصمة،الديوان،تحقيق:محمد خير البقاعي،دار قتيبة،دمشق،1981،ص96.

8- عنترة بن شدّاد، مصدر سابق،ص34.

وقال"عمرو بن معد يكرب الزبيدي"[1]:

بِطعنٍ كَالحرَيقِ إذْا التقينا وَضَرب المشرفيّة في الغُطاطِ

8.2.6.5- نار الغدر ونار الطرد:

سماها" ابن سعيد الأندلسي"[2]"نار العار"توقد بمنى أيام الحجّ على أحد الأخشبين،جبلين بمكة:أبي قُبيس وقعيقعان،أو أبي قُبيس والأحمر،فإذا استعرت صاح مُوقدها:هذه غدره فلان؛ليحذره الناس، وليعلموا أنّ فلانا قد غدر بجاره[3].

وفي نار الغدر قالت"صفية بنت عبد المطلب"[4]:

لنا السّلَفُ المقدّم قد علمتُم وَلَم تُوقد لنا بِالغدرِ نارُ

ورووا أن "المهلل بن ربيعة"رثى كُليبا بقصيدة منها[5]:

نُبِّئتُ أنّ النّارَ بَعَدكَ أوُقدتْ وَاستَب بَعَدكَ يَا كُلَيبُ المَجَلْسُ

وسماها الجاحظ[6]"نار المسافر"وذكر أن العرب تدعوا على العدّو،فتقول:أبعد الله داره،وأوقد نارا إثره،وهو معنى قول"بشار بن برد"وضربه مثلا[7]:

صَحوتَ وَأوَقدت للجهلِ نَاراً وَردّ عَليك الصّبا ما استَعارا

ومثل هذه الممارسات السحرية شائع عند العرب قديما،وبقيت آثارها إلى وقت قريب،فبعض نساء اليمن يوقدن نارا كلّ صباح،ويحرقن فيها اللّبان لطرد الشياطين والشرّ والقوى الخفية[8].

1- عمرو بن معد يكرب الزبيدي،الديوان،حققه:مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية،دمشق،1974،ص137.

2-ابن سعيد الأندلسي،نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب،تحقيق:نصرت عبد الرحمن، الجامعة الأردنية،عمان ،1982،ص800.

3-الألوسي، مصدر سابق،ج2،ص162.

4-المصدر نفسه،مصدر سابق،ج1،ص111.

5- البصري،مصدر سابق،ج1،ص234.

6- الجاحظ،مصدر سابق، ج4،ص473.

7- بشار بن برد،الديوان،تحقيق:محمد الطاهر عاشور،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1957،ج3،ص4.

8- عبد القادر،محمد،تاريخ اليمن القديم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1985،ص206.

ولابد أن يكون للنار الموقدة على "المزدلفة"صلة ما بعقائد الجاهليين القديمة في النار، وينسب الإخباريون هذه النار إلى "قصيّ بن كلاب"ويقولون:إنّه أوقدها على المزدلفة حتى يراها من دُفع من "عرفة"في أيام الحج،وقد بقي الناس يوقدونها في مطلع الدعوة الإسلامية[1].

9.2.6.5-نار السّليم:

أعتقد العرب في النار قوى سحرية قادرة على شفاء المرضى،ومن بقايا هـذا الاعتقاد "نار السّليم"التي توقد للملدوغ والمجروح،ومن عضة الكلـب،حتى لا ينـام فيشتد به الألم،ولقد أشار"النابغة الذبياني"لهذا في قوله[2]:

فبِتتُ كأنّي سَاورتني ضئيلةُ من الرُقش في أنيابها السُمُ نَاقعُ

يُسّهدُ من ليلِ التّمامِ سَليمها لحلي النـّساء في يديه قَعاقِعُ

ومن القوى السّحرية في النار،ما زعموه في العزّى،قالوا:هي شيطانة تحل في ثلاث سمرات ببطن نخلة،فلما عضدها"خالد بن الوليد"رمته بالشرّر،وقذفته بنيرانهـا الكامنة فيها، وقال سدنتها:إنها عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها،وسمّى الجاحظ هذه النّار:"نار الاحتيال"[3].

7.5-المطر:

لقد جاء كتاب أنور أبو سويلم" "المطر في الشعر الجاهلي" كتابا جامعا وكاملا وشافيا لكل ما يخطر على بال المثقف العربي وتفكيره عما يتصل بالمطر،وبأسلوب وعرض شائق للأفكار والآراء المتعددة من المراجع والمـصادر مـدّعما بالـشعر والتحليل والتفسير لكل ما عُرض ,والإنسان في هذه الدراسة لا يستطيع أن يكتب كل ما خطته يد ه في كتابه القيم. لهذا سنعرض لبعض الجوانب الهامة عن المطر فـي دراستي من وجهة نظري لهذا المظهر.[4]

1- النابغة الذبياني، مصدر سابق، ص33.

2- الجاحظ، مصدر سابق، ج4،ص483.

3-المصدر نفسه،ج2،ص481.

4-أبو سويلم أنور،المطر في الشعر الجاهلي،مرجع سابق، ص17-93

1.7.5-المطر في القرآن الكريم:

لقد استخدم القرآن الكريم صور المطر والماء والسحاب والرعد استخداما واسعا ودقيقا لأن فيه بعث وحياة لأنها أصل للموجودات. قال تعالى:(**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون)**[1] قال تعالى: (**وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)**[2]

وقرن الماء بالطهارة والنقاء،قال تعالى: **(وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا)**[3]

ووصف الماء بالبركة،قال تعالى: **(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاءمُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيد)** [4] وقال تعالى: **(فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُود)** [5] قال تعالى **(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِين)**[6]

2.7.5-المطر والجدب:

صورة العذاب والنقمة والخوف والقتل تتمثل بالجدب والمحل الذي يظهر في الجزيرة العربية بمظهر ثابت وراسخ في العقل والذهن؛لهذا كانت معاناة العربي في حياة مليئة بالعذاب والشح والفقر، وإن أمطرت زاد البلاء وعظمت الكارثة وأشتد البرد حتى يجمد المطر على أهداب عيون الإبل[7]؛وقد أدّت فكرة الجدب وعقم الطبيعة إلى تعظيم المطر،وإلى تطور"علم الأنواء"لأن سلامة تقديرهم للمطر،ومواقع سقوطه مسألة حياة أو موت قال الجاحظ[8] "ولحاجته- يعني العربي-إلى الغيث،وفراره من الجدب،وظنّه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرّف شأن الغيث،ولأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كواكب،ويرى التعاقب بينها،والنجوم

3.7.5-الهاجرة والشتاء الجديب:

1-سورة الأعراف،آية57.

2-سورة البقرة،آية164.

3-سورة الفرقان،آية48.

4-سورة ق،آية9.

5-سورةهود،آية82.

6-سورة النمل،آية58.

7- ابن بشر،تاريخ نجد،مطبعة وزارة المعارف،الرياض،(د:ت)،ص411.

8- الجاحظ،مصدر سابق،ج6،ص30.

يصور"علقمة الفحل هذا المنظر،فيقول[1]:

وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرّحْلِ يَسْعَفُني يَومٌ تَجيءُ بِه الجَوْزاء مَسْمُومُ

حَامٍ كَأنّ أوار الـــــنّار شَامِلُةُ دَون الثّيابِ وَرأسُ المَرْءِ مَعْمُومُ

(يقول:كأنّ الحرّ وشدته تشوي الأجسام التي تحت الثياب، وأنا فوق راحلتي)

ويتكرر في الشعر الجاهلي منظر الحرّ اللافح،وسموم الهاجرة التي تكاد تشوي لحم المسافرين وقال"عبدة بن المطلب[2]:

تَهدى الرّكابَ سَلوفٌ غَيرُ غَافلةٍ إذْا تَوقّدتْ الحُـــــزّان والمِيلُ

وقال الأعشى[3]:

تَدَلّتْ عَلَيْهِ الشّمْس حَتّى كَأنّهَا منْ الحَرّ تَرْمي بِالسكَينة قُورها

(يقول:عندما تقترب الشمس كأنها ترمي بالحمم والحرّ الشديد وتبعد الهدوء والسكينة جانبا)

قال"عمرو بن قميئة"[4]:

وَإنْ صَرّحَتْ كَحْلٌ وَهَبّتْ عريّةٌ منْ الرِيّحِ لَمْ تَتْرُكْ لِذيِ المالِ مَرْفَدَا

4.7.5-استطلاع المطر:

يأتي وصف المطر في الشعر الجاهلي ليعبرّ عن حاجات الأرواح العطـشى لرحمة السماء،وكثيرا ما يكون تعبيرا جماعيا عن الرّغبة في الطّهر والنّقاء والصّفاء والقداسة. فالشعراء كلهم يستطلعون المطر،قال"أبو ذؤيب الهذلي"[5]:

أمَنْكَ بَرْقٌ أبَيتُ اللّيلَ أرقُبُهُ كأنّه في عِراضَ الشّأْم مِصْباحُ

وقال أيضا [6]:

أرَقَتُ لَهُ ذَاتَ العِشّاءِ كَأنّهُ مَخَاريقُ يُدْعَى تَحْتَهُنّ خَرِيجُ

1- علقمة الفحل،مصدر سابق،ص73.

2-المفضل الضبي،مصدر سابق،ص501.

3- الأعشى،مصدر سابق،ص373.

4- عمرو بن قميئة، مصدر سابق،ص10.

5- حمد،مصدر سابق،ج1،ص167.

6-المصدر نفسه،ج1،ص128.

وقال أيضا[1]:

يَا مَنْ لِبرقٍ أبَيتُ اللّيلَ أرَقُبُهُ فَي مُكْفَهِرّ وفَيِ سوداء مَرْكُومَهْ

(يقول:لقد بتّ أراقب المطر طوال الليل في سواده وأنا مكفهر الوجه حزينا)

وقال الأعشى الكبير[2]:

يا مَنْ يَرى عَارضاً قد بتُ أرقُبُهُ كأنَما البَرْقُ في حافاتِهِ الشّعل

(يقول: لقد بتّ أراقب هذا العارض وهو المطر كأنه البرق في سرعته يحمل الشرر)

5.7.5ـ طقوس الاستمطار:

لقد استخدم العرب–دون غيرهم من الأمم–النار طقسا سحريّا لإنزال المطر، وسموها"نار الاستمطار" ولهم فيها أساطير وحكايات وأشعار[3].

قالوا [4]:"**كما نوّر المصباح للعجم أمرهم**" (إن النار لهم كانت كنور المصباح المضيء)

وقالوا[5]:"**يلوح كأنّه مصباح بان**" (أي أنه كالضوء الظاهر لهم في الطريق)

7.5.6–صورة المطر في الفكر الجاهلي:

المطر حدث كوني إلهي لا يولد إلا بعد إلقاح وإخصاب وتزاوج؛ حيث تلقح رياح الصبا الرقيقة أو الرياح الجنوبية المخصبة تلقح السحب العجفاء فيمتلئ بطنها بالمطر[6].

قال "امرؤ القيس"[7]:

أبَسّتْ بِه الرّيح فَاســتاقها وَحَلّتْ عَزَالــيَهُ والجُـــلُودا

رَاحَ تَمريه الصّبا ثمْ انتَحَى فِيه شُؤ بوبُ جَنوبٍ مُنفجر

1–الحيوان، مصدر سابق،ج4،ص466.

2– حمد، مصدر سابق،ج1،ص140.

3– الأعشى، مصدر سابق،ص93.

4– عمرو بن معد يكرب ،مصدر سابق،ص164.

5– عبيد الأبرص،مصدر سابق،ص89.

6– أبو سويلم، أنور،المطر في الشعر الجاهلي،مرجع سابق،ص45.

7– ابن حجر،مصدر سابق،ص348.وص188.

وقال"عمرو بن قميئة"[1]:

مُتَحلّبٌ تَهْوى الجَنـــُوب بِه فَتـــكادُ يَعـدِلُهُ ويَنْجَفِل

وقال"طفيل الغنوي"[2]:

أبَسّت بِه رَيِح الجَنُوب فَأسعَدَتْ روايا لَهُ بِالماءِ لَمّا تَصَرمَّ

ويعبر"عمرو بن معد يكرب"عن إخصاب المطر تعبيرا رمزيا دقيقا،حيث يشبه البرق في لمعانه في عتمة السحب بمصباح رجل يماني بنى بعرسه،قال[3]:

أَلَمْ تَأرَق لِذْا الـــبَرْقِ اليَمانّي يَلوحُ كَأنـــّهُ مُصباحُ بَانِ

وبعد الإخصاب والإلقاح تأتي الولادة سهلة ميسورة،قال "سبيع بن الخطيم التيمي"[4]:

حَلّتْ بِه بَعْدْ الهُدُوّ نطاقَهَا مِسْعٌ مُسَهّلَةُ النّتَاج زَحُوفُ

ويتلو البرق رعد يهز الكون هزا،فيثير القلق والتوجس والخوف ،كما يعـرف هـو فحل هائج يهدر فتتبعه إنائه،قال"أبو ذؤيب الهذلي"[5]:

يَجُشّ رَعْداً كَهَدْر الفَحْل تَتْبَعهُ أدْمٌ تَعَطّفُ حَولَ الفَحْلِ ضَحْضاح

فَهُنّ صُعْرٌ إلَى هَدْر الفَنَيق ولَمْ يَجْفُر ولَم يُسْلِه عَنهـــُنّ إلقَاح

أما الضبّاع التي احترق دماغها من حرّ الصحراء،عندما يفاجئها المطر،تخرج من جحورها مذعورة،وتبحث عن ملجأ أكثر أمنا،قال"امرؤ القيس"[6]:

وتَرى الضَبّ خَفِـــــيفاً مَاهراً ثَانِـــــياً برثُنُهُ مـــَا يَنْـــعَفر

فأضْحَى يَسحّ الماءُ عنْ كَلِ فَيْقَةٍ يَحَوزُ الضِبّابَ فَي صَفاصِفَ بِيضِ

وقال"خفاف بن ندبة السلمي "[7]:

كَأنّ الضّبَاب بِالصّحارى عَشّيةً رَجالٌ دَعَاها مُسْتَضيف لمَوْسق

1- عمرو بن قميئة، مصدر سابق،ص94.

2- عمرو بن معد يكرب،مصدر سابق،ص174.

3- المصدر السابق ص164.

4- المفضل الضبي،مصدر سابق،ق112،ص374.

5-حمد، مصدر سابق،ج1،ص167.

6-ابن حجر، مصدر سابق،ص187وص162.

7- المفضل الضبي، مصدر سابق،ق112،ص374.

7.7.5-الفرس والمطر:

وتحدث القزويني:عن طريقة في الاستسقاء شاعت في الصين،قال: توجد قرية قرب غدير ماء،في كل سنة يجتمع أهل القرية ويلقون فيها فرسا من أجل سقيا المطر ،وكلما حاول الفرس الخروج منعوه وما دامت الفرس في الماء يأتيهم المطر،فإذا مطروا قدر كفايتهم،وامتلأ الغدير أخرجوه وذبحوه على قلّة الجبل،وتركوه حتى تأكله الطير،فإن لم يفعلوا ذلك في شيء من السنين لم يمطروا[1].

قال"زهير بن أبي سلمى"[2]:

فَأتْبَع آثَارَ الشّيــْاه وَلِيدُنا كَشُؤْبوب[3]غَيثٍ يَحْفِشُ الأكْم وَابلُه

(يقول:لقد تتبع خلف القطعان والمطر يتساقط ويسيل كأنه الغيث فوق الأكمة)

وقال"امرؤ القيس"[4]:

وَأدْرَكَهنّ ثَانِياً منْ عَنــانِه كَغَيْث العَــشيّ الأقْهب المتودّق

وقال"أيضا[5]:

وَوَلّى كَشُؤْبوب العَــشيّ بِوابلٍ وَيَخْرجْنّ منْ جَعْدٍ ثَراه مِنْصبّ

(يقول:لقد ذهبت دفعات المطر الشديدة النداوة التي كانت تنصب عن المرتفع)

فالشعراء كلهم يعتمدون في وصفهم للخيل على فكرة المطر،ويعطون في أوصافها مثل:شؤبوب غيث،شؤبوب العشي،الغيث المتحلّب،البرد، الوابل المتحلّب،أما امرئ القيس في وصفه لفرسه فاعتمد على فكرة السّيل فشبه الفرس بالصخرة التي سقط بها السّيل من قمة عالية.،قال"امرؤ القيس"[6]:

كُمَيتٍ يَزِلّ اللّبْدُ عنْ حَالِ مَتْنِه كَمْا زَلّت الصّفْواء بالمُتَنَزّلِ

1- القز ويني ،آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر،بيروت،1960،ص54.

2- ثعلب،مصدر سابق،ص108.

3- الشؤبوب:الدفعة من المطر.

4- ابن حجر،مصدر سابق،ص153.

5-المصدر نفسه،ص80.

6- المصدر نفسه،،ص46.

8.7.5-الاستحمام والمطر:

أشار "جيمس"إلى طقوس عرب أفريقيا في الاستسقاء حيث يلجأ الناس إلى الاستحمام بوسائل سحرية لجلب المطر،حيث يلقون بأحد رجال الدين-سواء أرضي أم لم يرض-في أحد الينابيع للتغلب على الجدب[1].وأشار كذلك المؤرخ اليوناني"ديوكاسيوس"إلى طقوس صانع المطر عند الرومان،بأن يستحم في العراء.وهذا الطقس يمارس إلى اليوم.[2].

9.7.5-الاستسقاء بالأنبياء والأولياء والقديسين:

عندما جاء الرسول(صلى الله عليه وسلم)واجه مشكلة القحط والجفاف،ولكنه عالجها من عندما جاء الرسول(صلى الله عليه وسلم)واجه مشكلة القحط والجفاف،ولكنه عالجها من ناحية دينية وذلك بالتضرع إلى الله في الاستسقاء:"اللهم اسقنا غيثا مغيثا،هنيئا،مريئا،،غدقا، مجللا، سحّا،عامّا،طبقا،دائما.اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك[3].

وفي أخبار "لبيد بن ربيعة العامري"أنه وفد على الرسول،(صلى الله عليه وسلم)وقومه يعانون المجاعة،وطلب إليه أن يدعو لهم بالسّقيا،وهذه المجاعة هي السبب في تفرّق"بني عامر" ففي ذلك قال "لبيد بن ربيعة" يخاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) [4]:

أَتَيْنَاكَ وَالعَذراءُ يَدْمى لَبَانُها ... وَقَدْ ذَهِلَت أمّ الصّبيّ عنِ الطّفلِ

فَإن تَدْعُ بِالسُقْيا وَبِالعفوِ تُرسلُ ... السّماءُ لَنَا وَالأمرُ يَبقى عَلى الأصلِ

وقوله تعالى:**(يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا)**[5].

1- فريزر، مرجع سابق،ص370.

2- فريزر،جيمس،الصحراء الكبرى،مكتبة الفرجاني،طرابلس،ليبيا،1967،ص42.

3- الأصفهاني، أبو نعيم ،دلائل النبوة،عالم الكتب،بيروت،(د:ت)،ص160.

4- لبيد بن ربيعة،مصدر سابق،ص277.

5-سورة نوح،آية11.

8.5-الكواكب والنجوم:

لقد عدت (آلهة السماء)أقدم أنواع الآلهة بمنظور الفكر الأسطوري،قبل أن تنزل منزلة البشر[2]،وفي مقدمة تلك الآلهة " الشمس والقمر"بوصفهما،إلهين قائمين بذاتهما،في حين كان يتم تشخيص بقية الآلهة عن طريق ارتباطها بالنجوم والكواكب السيارة[3].ولقد اعتبرت (الزهرة) ثمرة الزواج السماوي الأسطوري بين "الشمس والقمر"فكانت عندهم رمز لإلهة الجمال والحب ،وكذلك فإن العرب قد أضفوا عليها صفات مجتمعهم القلبي مثل:الطرب واللهو والسرور[4].

ومن جانب آخر عدّ العرب الزهرة"ربة الخمر"[5]،وقد تغنى بعض الشعراء الجاهليين بالخمرة البابلية وفي ذلك تأكيدعلىاستيعاب العرب للموروث القديم،ومنهم عبيد بن الأبرص في قوله:[6]

ظَلْتُ بها كأنّني شَاربٌ صَهْباءَ ما عَتقّتْ بابِلُ

الأعشى إذ يقول في نفس المعنى:[7]

وسبيئةٍ مما تُعتّقُ بابِلُ كَدمِ الذبيح سَلبْتُها جريالها[8]

وقد أفصح بعض الشعراء من مثل هذا التقليد،من حيث إذا سقوا وسقوا الصباح"سحرا"كقول أمرىء القيس:[9]

أغُادِى الصبّوُحَ عند هرٍ وفَرتْنى وليداً وهل أفنى شَبابيِ غيُر هرّ

1- ديورانت،مرجع سابق،م1،ج2،ص214.

3- كونتينو،جورج،الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور،ترجمة:سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي،بغداد،دار الحرية للطباعة،1979،ص430.

4- خليل،خليل أحمد،مضمون الأسطورة في الفكر العربي،بيروت ،دار الطليعة للطباعة والنشر،1987،ص41.

5- أبو سويلم،أنور،دراسات في الشعر الجاهلي،مرجع سابق،ص134.

6- عبيد بن الأبرص،مصدر سابق،ق29،ص98.

7- الأعشى الكبير،مصدر سابق،ق3،ص27

8-الجريال:صبغ أحمر.

9- ابن حجر، مصدر سابق ق14،ص110.

ويقول الأسود بن يعفر:[1]

وقُهوة صهباءَ باكَرتُها بجهمة والديكُ لم يَنْعَبِ

ولقد عبد العرب القدامى الشعرى لانفرادها عن بقية الكواكب بصفتها عرضاً، ويروى أنّ لخم وخزاعة قد عبدتها أيضاً-يقول فيها الشنفرى[2]:

ويَوْمٍ منَ الشعْرَى يَذُوْبُ لُوَابُهُ أَفَاعِيْهِ مِنْ رَمْضائِه تَتَملَمَلُ

والدبران والثريا والعيوق والشعرى وسهيل،حيث كان حديثهم عن الكرم مقروناً بغياب الثريا؛ والدبران،وهو من النحوس عند العرب،حتى قال"كثّير عزة"[3]:

إذا دبِرّانُ منْكَ يَوْماً لَقِيْتُهُ أُؤَمّلُ أنْ ألقَاكِ غُدْواً بِأسْعَدِ

ومن أساطير العرب،أيضاً،أن الجدي:وهو كوكب كبير أزهر،قتل نعشا فبناته تدور به تريده؛ ولعل المهلهل كان يومئ إلى الأسطورة،عندما رسم صورة شعرية للجدي في السماء بقوله[4]:

كَأنّ الجَدْيِ فَي مَثْنَاة رِيْقٍ أسِيْرُ أوْ بِمَنْزِلَةِ الأسِيْرِ

وقال"أبو ذؤيب الهذلي"[5]:

فَورَدْنَ وَالعيّوقُ مَقْعَدَ رابئ الضُـ رباءِ فَوق النَجم لا يتتلّعُ

وقال"بشر بن أبي خازم"[6]:

جَادتْ لَهُ الدّلوُ والشّعرى وَنَوءهُما بِكلّ أسَحمَ دَانى الوُدقِ مُرْتجِفِ

وقال أيضا[7]:

فَبِتّ مُسهدّاً أرقِـــاً كَأنّي تَمشّتْ فّي مَفَاصلي العُقارُ

أرَاقبُ في السّماء بَناتِ نَعْشٍ وَقَدْ دَارتْ كَما عَطَفَ الصّوارُ

1- ابن يشر النهشلي،مصدر سابق،ق6،ص22.

2- الحوت، مرجع سابق،ص45.

3- زكي، مرجع سابق،ص209.

4-المهلهل بن ربيعة،مصدر سابق،ص254.

5-حمد،مصدر سابق،ج1،ص6.

6- بشر بن أبي خازم، مصدر سابق،ق32،ص157.

7 - المصدر السابق ،ق15،ص65.

وفي الأسطورة العربية"أن الدبران خطب الثريا،وأوراد القمر أن يزوجه بها،فأبت عليه،وولت عنه،وقالت للقمر:ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له،فجمع الدبران قلاصة يتمول بها،فهو يتبعها حيث توجهت،يسوق صداقة قدامها"غير أن العيوق[1]. عاق الدبران عن لقاء الثريا،وفي ذلك يقول"طفيل الغنوي"[2]:

أمّا ابنُ طَوقٍ فَقَدْ أوَفى بِذمتِه كَما وَفّى بِقلاص النّجمِ حادِيهَا

إذا طلع الدبران توقدت الحزان،واستعرت الذبان،ونشت الغدران [3].وحسبا في ذلك قول الشاعر[4]:

غدّاة تَوخَى الملكُ يَلتمسُ الحبا فَصَادَفَ نَحساً كالدّبرانِ

درست موضوع الاتجاه الأسطوري في الشعر الجاهلي في ضوء نظرة شاملة ووافيه لهذا الاتجاه الأسطوري محاولا ربط أجزائه ربطا قويا محكما بالشعر الجاهلي وآراء الكتاب والباحثين في هذا المجال لعلي أصل إلى صورة ولو مصغرة عن هذا الموضوع الشائك في موضوعاته للوصول لرأي قاطع في مقدماته الشعرية في العصر الجاهلي ودلالاتها اللغوية.

ورأيت أن موضوع الاتجاه الأسطوري حتى يكون متكاملا، لا بد من ربط أجزائه، ولا يمكن فصلها عن بقية الموضوعات المرتبطة به من حيث الأسطورة في التراث العربي والإسلامي كذلك،واعتمدت في استخلاص نتائج الدراسة على الربط بين الشعر الجاهلي والمعتقدات الجاهلية وأساطيرها المختلفة،حيث نظرت في هذا الكم الهائل من الشعر نظرة فاحصة مرتبطة بصور مقدمات الطّلل والظعائن والمرأة بتلك الصور الفنية عند الشعراء بتفاوت بينهم ومرتبطة بأساطير ومعتقدات وقصص وخرافات كثيرة.

1-العيوق:كوكب أحمر مضيء يطلع قبل الجوزاء في ناحية الشمال(اللسان:مادة عوق).ص619.

2- طفيل الغنوي،مصدر سابق،ق46،ص113.

3-ابن سيدة،المخصص،القاهرة،المطبعة الكبرى الأميرية،المجلد التاسع،ص15،1319هـ.

4-الزمخشرى،المستقصي في أمثال العرب،حيدر آباد،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،1962.ص.ج1،ص185.والبيت بدون عزو لشاعر.

وقد بدأت للدراسة بمقدمة عامة مظهرا فيها أهمية موضوع الدراسة، والمنهج الذي اتبعته ،وثم عرضت لأهم المراجع والمصادر، والدراسات السابقة في هذا المجال،حيث عرضت أولا للأسطورة ومعانيها المختلفة لدى الكتاب والباحثين.

قسمت دراستي خمسة فصول.

الفصل الأول: فكان للدراسة التاريخية عن الاتجاه الأسطوري، حيث عرضت لمقدمة في الأسطورة ،وعن ارتباط الشعر بالأساطير والمعتقدات الدينية،وتحدثت عن الأسطورة في القرآن الكريم وموقفه منها،وعن معنى الأسطورة في المعاجم اللغوية بمعان عديدة ومختلفة، وانتقلت للحديث عن الأسطورة في الشعر ونشأتها وظهور الأساطير ومدارسها التاريخية،والطبيعية، والتعبيرية،والنفسية،وعن أنواع الأساطير وعلاقتها بالخرافة.

الفصل الثاني: فقد خصص للحديث عن الأسطورة في التراث الجاهلي من حيث عبادتهم للطير والحيوان والشجر،وتقديسهم وعبادتهم الملوك والكهان والمرأة والحيوان الطوطمي، وتحدثت عن القوى الخفية لديهم وعالم الجنّ،وعبادتهم الأوثان والجبال.

الفصل الثالث:الأسطورة في التراث العربي والإسلامي،فتحدثت فيه عن العرب والأساطير وعرضت لقصة آدم وجلجامش وذي القرنين ولقمان بن عاد ،وعن أساطيرهم البائدة وحروبهم مثل:حرب البسوس وذي قار،وأقسام الأسطورة ومنها الدينية،وتطور الأساطير القديمة عندهم والعرب والأدب الأسطوري الخارق،وعن الأسطورة في التراث الإسلامي ورفض عبادة الأوثان في الجزيرة العربية وعرض وجهة نظر الحنفية واليهودية والنصرانية، وتعريف والأصنام والأوثان والأنصاب،وموقف القرآن من الأساطير والحديث عن أسطورة خلق الشمس والزهرة وآدم وحواء وبعض قصص الأساطير مثل،كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة.

الفصل الرابع: فقد درست فيه موضوع شعر الطلل ورحلة الظعائن والتي تأتي في مقدمات قصائد الشعراء الجاهليين، والتي أخذت حيزا وأبعادا وأشكالا مختلفة عند الشعراء، بسبب رحيل الحبيبة والبكاء على أطلالها الباقية،وقد عرضت بصور وتشبيهات عديدة ورائعة لما كان لديهم من حس مرهف في تصوير أحاسيس البعد

والجفاء والفراق،لأن الديار أصبحت خالية من الأنيس والرفيق مقفرة من الأحباب والأصحاب، وهذا دليل على كون المرأة عندهم ليست مجرد امرأة بل لها رموز وطقوس وتقديس.

كما فعرضت فيه الإنسان أسطوريا،حيث تحدثت عن (الشاعر) ومكانته السامية عندهم فهو في نظرهم كالعراف يخافون لسانه وخصوصا في الهجاء،وعن (الكهنة) لأنهم خارقين للعادة ويعلمون الغيب وكشف السر ويقاومون الشر والأذى، فيجب اتقاء شرهم والعمل على إرضائهم. وعن(السيد) فهو المسؤول عنهم وعن حياتهم فله الاحترام والتقدير ويعملون على خدمته وراحته كما كان من حياة كُليب،وعن (البطل) لكونه صاحب قوة وخوراق طبيعية في المعارك والدفاع عن حمى البلد.وعن (الملك) وسطوته ومكانته فهو كالآلهة يجب احترامه وتقديره.وعن المرأة أسطوريا،فتحدثت عن ربط (المرأة بالأرض) وهذا يعني التمسك والتشبث بها،وعن (المرأة الممتلئة) والمكتنزة لأن الشعراء كانوا يحبون المرأة البدينة،وعن تصويرها بالدمى والتماثيل لجمال روعتها عندهم،وعن تشبيها بالغزال بسبب الخفة والحركة والنشاط والمرح،وكرهوا من المرأة بعض الجوانب السيئة.

الفصل الخامس:فتحدثت فيه عن الحيوان أسطوريا،فاخترت خمسة نماذج للحيوان هي:(الناقة، والفرس ،والحمار الوحشي،والبقر الوحشية،والظليم)فالناقة لديهم وسيلة هامة في الرحيل والانتقال من مكان لآخر لذا اهتموا بها واعتبروها شيئا مقدسا عندهم،و(الفرس)هي الوسيلة الهامة في الغزو والطرد والصيد والقنص لذلك كانت أثيرة لديهم وأعطوها اهتماما كبيرا وأن موتها يعتبر كارثة في نظرهم ولهذا ربطوها بالأساطير والمعتقدات الدينية.و(الحمار الوحشي)له اهتمام كبير في معتقدهم وتصورهم،فهو يعتبر رمزا للإخصاب وهو مقدس لذلك.و(البقر الوحشية) اعتبروها سفينة العبور لديهم كما يرمزله بالخصب والذكورة والطاقة الأنثوية.و(الظليم) ارتبط بصورة الناقة،وكان يمثل الخصب والنسل والأمومة واستمرار الحياة.

كما قد تناولت فيه بعض الظواهر الطبيعية واخترت أربعاً منها(الشمس والنار والمطر والكواكب والنجوم)حيث ربطوا الشمس بصور أسطورية متعددة لاتقاء شرها

وحرارتها اللاهبة، وكذلك النار وأنواعها المختلفة مثل:نار القرى ونار السلامة،ونار الحرب،ونار البراكين كلها ربطت بأساطير وقصص وخرافات ومعتقدات دينية قديمة لجلب الشفاعة لهم.وكذلك المطر وطرق الاستسقاء وكيفية الاستمطار كلها مرتبطة بالأساطير عندهم،وكذلك الكواكب والنجوم التي تشع بالدفء والحرارة ودليلهم في الليل كُلها رُبطت بأساطير ومعتقدات دينية قديمة.

الأفكار الواردة في الدراسة

أعرض هنا أفكار الدراسة الرئيسة:

1- إنّ شعر الطلل ورحلة الظعائن في مقدمات القصائد الشعرية،ما هو إلا رموز وإشارات لما يعتمل في خاطر الشاعر من هواجس وأفكار بسبب الفراق والبعد والجفاء.

2- إنّ انتقال رحلة الظعائن وراء الكلأ والعشب والمرعى،له بُعد أسطوري من نوع الاستقرار والثبات والدوام والبقاء في الأرض الخصبة من أجل العيش الهادئ الرغيد.

3- إنّ ذكر أسماء النساء في قصائد الشعراء، ما هي إلا أسماء وهمية من خيال الشاعر يعرضها على سبيل التوهم فقط، لما نعرف من غيرة العربي على أهله وعرضه.

4-الوقوف على الأطلال فعل طقسي ينم عن الشعور بالاحترام والتقدير والرهبة والخوف معا.

5-تشبيه المرأة بالشمس له مدلول أسطوري قديم؛ لأن كلا منهما يشع بالضوء والبهجة والسرور والعطاء.

6- للناقة شأن عظيم في حياة العربي ،فهي المعين والمساعد له في حياته أثناء التجوال والتنقل، لذا كنّ لها الاحترام والتعظيم والتقديس وربطها ببعد أسطوري للحفاظ عليها من عوادي وعثرات الزمن.

7-الشمس الساطعة ذلك الضوء العظيم بحرارتها التي تلفح الوجوه، ثم تختفي عن الوجود ونظر الجاهليّ إليها بتقديس وتعظيم كبيرين وجعلها رمزاً أسطورياً في حياته.

8-المطر رمز أسطوري رُبط بالخير والعطاء، و لاتقاء شره، (لأنـــه يـــدمر ويفتـــك ويسبب الكوارث والسيول الجارفة) قدموا له القرابين والطقوس والتقديس.

9-ارتباط صورة الظليم بالناقة،من حيث أنهما تشيران إلى الخصوبة والمحافظة على النسل والأمومة واستمرار الحياة.

10-ارتباط الثور بالناقة،فكل منهما عُدّ سفينة العبور،كما رمز له بالخصوبة بـــسبب مطاردته الكلاب والتغلب عليها،كما اعتبر رمزاً للإله القمر الـــذي لا يظهـــر إلا ليلا.كما يرمز له بالخصب والذكورة.

11-الكواكب والنجوم دليلهم في الليل،رُبطت بأساطير ومعتقدات دينية قديمة.

المراجع :

إبراهيم،نبيلة، 1976،الأسطورة ،**الموسوعة الـــصغيرة**،ع54،منـــشورات وزارة الثقافـــة والإعلام، بغداد،ص ص16.

أبو سويلم، أنور،1983**الإبل في الشعر الجاهلي**،دار العلوم،الرياض.

أبو سويلم، أنور،**1987 دراسات في الشعر الجاهلي**،دار الجيل،بيروت.

أبو سويلم، أنور،1987 **المطر في الشعر الجاهلي**،دار عمار،عمان دار الجيل؛بيروت،.

أبو سويلم، أنور،1991 **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**،دار عمار،عمان.

أبـــوعبيدة، معمر بن المثنى،(ت213هـــ) ،1976،**أيام العرب قبل الإسلام**،دراسة وتحقيق:عادل جاسم البياتي،مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر،بغداد.

أبي سلمى، زهير،(611م)،1950، **الديوان**،السكري:أبو سعيد الحسن بن الحسين،

الأحمد،سامي سعيد، 1970،**الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان**،،مطبعة الجامعة،بغداد.

أر نولد،هاو زر،1968، **فلسفة تاريخ الفن**،ترجمة:رمزي عبده جرجس،مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة.

الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري،(ت370هـــ) 1964، **تهذيب اللغة:** تحقيق عبد السلام هارون،الدار القومية للطباعة،القاهرة.

إسماعيل،عز الدين،1964، النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفـــسير، **مجلة الشعر**،ع2،س1،فبراير،ص ص 3-16.

الأصفهاني، أبونعيم،،(د:ت). **دلائل النبوة**،عالم الكتب،بيروت.

الأصفهاني،أبو الفرج،(ت)**الأغاني**،دار صادر،بيروت،1985.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب،(ت216هـــ)،1980،**اشتقاق الأسماء**، تحقيق: رمضان عبد التواب،وصلاح الدين هادي،المطبعة العربية الحديثة،القاهرة.

الأعشى الكبير،:ميمون بن قيس،(ت624م)، 1950،**الديوان**،تحقيق: محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة.

الألوسي، محمود شكري، (ت1342هـــ) (د:ت).،**بلوغ الأرب في أحوال العرب**،تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطابع دار الكتاب ،القاهرة،ط2،

الأنباري،أبو بكر محمد بن القاسم الأنبا ري،(ت328هـ)، 1969،**شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**،تحقيق:عبد السلام هارون،دار المعارف،القاهرة.

أنس،داود،1930 **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**،دار الجيل للطباعة،القاهرة.

الأودي،الأفوه، صلاءة بن عمرو بن مالك،(ت50ق.م)،(د:ت) **الديوان**،ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، تخريخ:عبد العزيز الميمني،دار الكتب العلمية،بيروت.

إبراهيم، معلوف،1966، **مصر والشرق الأدنى**،دار المعارف،القاهرة،ط2.

ابن الأثير،عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم،(ت630هـ) 1965، ،**الكامل في التاريخ**،دار بيروت للطباعة والنشر.

ابن الجوزي،أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي بن محمد البغدادي،(ت597هـ)، 1980،**زاد الميعاد في علم التفسير**: المكتب الإسلامي،دمشق،ج6.

ابن الزبعرى،عبد الله،،**الديوان**،1981، تحقيق : يحيي الجبوري،مؤسسةالرسالة،بيروت،ط2

ابن العجاج، رؤبة ،(90هـ)،1903،**الديوان**،**ضمن(مجموع أشعار العرب)** اعتنى بتصحيحه وترتيبه:وليم بن الورد، طبعة ليسبغ، برلين.

ابن بشرالنهشلي،الأسود ،(ت600م) ،1968،**الديوان**،،تحقيق: نوري القيسي،وزارة الثقافة والأعلام، بغداد.

ابن حجر، أوس ،(...- قبيل الإسلام)، **الديوان**،1957، تحقيق:حسين نصار،مطبعة البابي الحلبي،.

ابن حجر، أوس ،(...- قبيل الإسلام)، **الديوان**،1967، تحقيق: محمد يوسف نجم،دار صادر، بيروت.

ابن حجر، امرئ القيس، (ت540هـ) ،1989، **الديوان**،حققه:حنا الفاخوري،دار الجيل، بيروت.

ابن حجر،امرىء القيس ،(ت540هـ) 1964، **الديوان**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، إبراهيم،مطابع دار المعارف، القاهرة،

ابن حجر،امرىء القيس ،(ت540هـ)، **الديوان**،مراجعة:محمد عبد الرحيم، دارالكتاب العربي،دمشق،(د:ت).

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،(ت456هـ)،1962،**جمهرة أنساب العرب**، تحقيق:عبد السلام هارون،دار المعارف،القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ) ،1983، **المقدمة،تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر**،تحقيق:حجرعاصي،منشورات دار الهلال للطباعة والنشر،بيروت.

ابن سعيد الأندلسي،أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسي، (ت 610هـ) ،1982،**نشوة الطرب في تاريخ جاهليةالعرب**،تحقيق:نصرت عبد الرحمن،الجامعة الأردنية،عمان.

ابن سلام الجمحي،محمد بن سلام الجمحي، (ت231هـ)،1913،**طبقات فحول الشعراء**، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر ،مطبعة بريل،ليدن.

ابن سيدة،أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت358هـ)1319هـ،**المخصص**،القاهرة،المطبعة الكبرى الأميرية،المجلد التاسع.

ابن سيرين، محمد بن سيرين،(ت110هـ)،(د:ت).**تفسير الأحلام الكبير**، (د.ن:د.م).

ابن عبد ربه،أبوعمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)،1967،**العقدالفريد**، تحقيق:أحمد أمين،وإبراهيم البياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا،(ت395هـ)،1984،**مجمل اللغة**:مؤسسة الرسالة للطباعة، والنشر، بيروت.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(276هـ) **المعارف**،1960،تحقيق:ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب،القاهرة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(276هـ)**عيون الأخبار**،1963،المؤسسة المصرية للطباعة، القاهرة.

ابن مقبل**الديوان**،1962،تحقيق:عزة حسن ،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم،دمشق.

ابن منظور،: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ)،1955،**لسان العرب**، المجلد الرابع، دار صادر،بيروت.

بـــارت، رولان،1992، الأســـطورة اليوم،ترجمـــة:حـــسن العزفـــي ،**الموســـوعة الصغيرة**،ع245،مطابع الشؤون الثقافية العامة، بغداد.ص ص5.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد،(284هـــ) 1929،**حماسة البحتري**، المطبعة الرحمانية، القاهرة.

بدوي، عبده،1981،وجهة نظر حول قضيتّي:الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة،**فـــصول**، القاهرة،م1،يوليو،ص ص23-39.

البستاني،فؤاد أفرام،1980 **دائرة المعارف**،م13،(د.م)،بيروت،مارس.

البستاني،كرم،1944، **أساطير شرقية**،دار المكسوف،بيروت،ط1.

بشار بن برد،**الديوان**،1957،تحقيق:محمد الطاهر بن عاشور،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،.

بشور،وديع،(د:ت)،**الميثولوجيا السورية**،(د.ن:د.م).

البصري،صدر الدين علي بن أبي الفرج الحسن بن الحسن البصري،(ت656هـــ)،**الحماسة البصرية**،تحقيق: مختار الدين أحمد،ج2.

البطل،علي،1983،**الصورة في الشعر الجاهلي-حتى أخر القرن الهجري-،دراســـة في أصولهـــا وتطورها**،دار الأندلس،بيروت،ط3.

البعلبكي، منير،1994، **المورد**،(قاموس إنجليزي- عربي)،دار العلم للملايين،بيروت.

بكري،حسين الديار، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس مصر**،1302هـــ (د.م:د.ن).

البياتي،عادل،1973 تراث الحب في الأدب العربي،قبل الإسلام،**مجلة آداب المستصرية**، بغداد،

البياتي،عادل،1973، مقدمة القصيدة الجاهلية،1977، **مجلة أفاق عربية**،بغداد،آب.ص ص42.

البياتي،عادل،1977،رمز المرأة في أدب أيام العرب،**مجلة آفاق عربيـــة**،بغـــداد،آب،ص ص21.

البيضاوي،ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،(791هـــ)، 1848،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،دمشق.

التوتنجي، محمد،1980، **دراسات في الأدب الجاهلي**،مطبعة الشرق،حلب.

الثعالبي،أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النسيابوري،(ت427هـ)،**قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**،المكتبة الثقافية،بيروت،(د:ت).
ثعلب،أبو العباس1981،،**شرح شعر زهير بن أبى سلمى**،1981تحقيق:فخر الدين قباوة،دار الفكر العربي، بيروت.
الجاحظ،عمرو بن بحر الجاحظ،(ت255هـ)، 1906،**الحيوان**،دار الكتاب العربي،القاهرة،.
الجبوري،يحيى،1972،**الشعر الجاهلي-خصائصه وفنونه**،دار التربية للطباعة،بغداد.
الجندي،علي،1966، **تاريخ الأدب العربي**،دار مكتبة الجامعة العربية،بيروت، ج 2.
جورج،غيرستر،1961، **الصحراء الكبرى**،ترجمة:خيري حماد،المكتب التجاري،بيروت.
الجوزو،مصطفى، **من الأساطير العربية والخرافات** ، 1980،دار الطليعة،بيروت،ط1.
جياووك،مصطفى عبد اللطيف،1980، **الحياة والموت في الشعر الجاهلي**،دار الحرية للطباعة، بغداد.
الجيزاوي،سعد الدين،(د:ت)، **الملحمة في الشعر العربي**،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
حاوي، ايليا،1981، **النابغة-سياسته وفنه ونفسيته**-،دار الثقافة،بيروت،ط2.
حتي، فليب،وجرجي وجبّور، د:ت)،**تاريخ العرب المطوّل**،(د.ن:د.م).
حسان بن ثابت،(611م)،1980،**الديوان**،تحقيق:عبد الرحمن البرقوقي،دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.
حسن،حسين الحاج،1998، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت.
حسين طه،1926، **الأدب الجاهلي**،دار المعارف،القاهرة.
حسين،طه،1926، **حديث الشعر والنثر**،دار المعارف،القاهرة.
حمد،عيسى،الهذليين،**الديوان**، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،1965
حمدان،مصطفى،1970،**موسوعة الشعر العربي-العصر الجاهلي**-،ج1،بيروت.
حميده،عبد الرزاق،1926**شياطين الشعراء**،مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة.

حنون، كامل،1976،**عقائد ما بعد الموت-في حضارة بلاد الرافدين القديمة**-،دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط3.

الحوت،محمود سليم،1955،**في طريقة الميثولوجيا عند العرب**،مطبعة دار الكتب، بيروت.

خان،محمد عبد المعيد،**الأساطير والخرافات عند العرب** ،1981، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت،ط3.

الخطيب،بشرى محمد،1990،**القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي**،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد.

الخفاجي، شهاب الدين أحمدبن عمرالخفاجي،(ت1069هـ) ،1952،**شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،المطبعة المنيرية بالأزهر،القاهرة.

خليف، يوسف، صورة أخرى من المقدمات الجاهلية(اتجاهات ومثل)،**المجلة**، القاهرة،س9،ص ص4-15.

خليل أحمد، خليل،1973، **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الشريد،(ت24هـ)،1968،**الديوان**،دار التراث،بيروت.

الخنساء،تماضر بنت عمرو بن الشريد،(ت24هـ)،(د:ت).**الديوان**،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

دريد بن الصمة،**الديوان**،1981،تحقيق:محمد خير البقاعي،دار قتيبة،دمشق.

دياكونوف، وزميله،1973، **ملحمة جلجامش**،ترجمة:عزيز حداد،مكتبة الصيد،بغداد.

رؤبة بن العجّاج ، 1903الديوان، ضمن (مجموع أشعار العرب) اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم ابن الورد، طبعة ليبزغ، برلين.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الرازي،(ت544ه.ـــ)،1926،**التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر،بيروت،(د:ت)،المكتبة الرحمانية،القاهرة

رومية،وهب،1984، **الرحلة في القصيدة الجاهلية**،ط3،بيروت،مؤسسة الرسالة.

الزبيدي،محب الدين محمد بن محمد عبد الرازق الزبيدي(ت205هـ)،**تاج العروس من جواهر القاموس**، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،(د.ت).

زكريا،عيسى،1956،**مقدمة في تاريخ الحضارات-حضارة وادي النيل**-،شركة التجارة والطباعة، بغداد،ج1وج2.

زكي، أحمد كمال،1985التفسير الأسطوري للشعر القديم،**مجلة فصول**،م3،ع3،إبريل،1981،

زكي،أحمد كمال،1984،تراثنا الشعري والتاريخ الناقص، **مجلة فصول**،مج4،ع2،،ص11.ص ص54.

الزمخشري،عمر جار الله،(ت538هـ)،1953،**الكشاف**: تحقيق:مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة ،القاهرة.

الزمخشرى،عمر جار الله،(ت538هـ)،1962،**المستقصي من أمثال العرب**،حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

الزوزني، أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني(ت486هـ)،2002،**شرح المعلقات السبع**،دار صادر،بيروت،ص2.

زيدان، إيمن محمد،1995،**تغلب شعرها في الجاهلية**،معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني،(ت255هـ)،(د.ت)،**المعمرين والوصايا**، تحقيق:عبد المنعم عامر،(د.م)،القاهرة،(د.ت).

سعود، ميخائيل،1994،**الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**،دار العلم للملايين،بيروت.

سلوم، داود،1985، **الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة**،عالم الكتب،بيروت،ط2.

السواح،فراس،**1999مغامرة العقل الأولى،دراسة في الأسطورة لسوريا بلاد الرافدين**، دمشق:مطبعة الشرق،دمشق.

الشدياق، يوسف،1995،**نشأة وتطور الأساطير**،الأسبوع العربي، ع1326،ص ص25.

الشنقيطي، أحمد بن الأمين الشنقيطي(ت1331هـ)،1967،**شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، تحقيق: دار المعرفة،بيروت.

الشورى،مصطفى عبد الشافي،1966،**الشعر الجاهلي-تفسير أسطوري**،مكتبة لبنان،بيروت. ص ص127-140.

ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد القاضي،(ت هـ)،1912،**طبقات الأمم**،تحقيق: لويس شيخو،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين،بيروت.

الصفار،ابتسام مرهون،1974 **أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري**،دار الرسالة للطباعة،بغداد.

ضناوي سعدي،1992، **أثر الصحراء في الشعر الجاهلي**،دار الفكر اللبناني،بيروت،ط1.

ضيف، شوقي،1970،**البطولة في الشعر العربي**،(سلسلة اقرأ)،ع331،دار المعارف، القاهرة.

ضيف، شوقي،1979،**تاريخ الأدب العربي–قبل الإسلام والعصر الأموي**–،دار الحرية للطباعة، بغداد.

ضيف، شوقي،1982،**تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهلي**–،دار المعارف،القاهرة،ط

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،(ت310هـ)،1979،**تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة،ط4.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،(ت310هـ)1954،**جامع البيان عن تأويل القرآن** ،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة.

طربيه،جرجي،،(د.ت)،**الوجودية وأثرها في جذور المجتمع العربي**، مطابع المتنبي،بيروت،ط2.

طرفة بن العبد،(86–60ق م)،**الديوان**،شرح:مهدي محمد ناصر الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، (د:ت).

طفيل الغنوي،**الديوان**،1968،نشر:محمد عبد القادر،دار الكتاب الجديد،بيروت.

الطيب، عبد الله،(د.ت)،**المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**،دار الفكر،بيروت،ط2. ع7،ص ص90.

عبد البديع،لطفي،(د:ت)**عبقرية العربية،في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب**،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.

عبد الحكيم، شوقي،1982،**موسوعة الفولكلور والأساطير العربية**،دار العودة،بيروت.

عبد الرحمن، إبراهيم،1980،**الشعر الجاهلي:قضاياه الفنية والموضوعية**،دار النهضة العربية، بيروت،ط2.

عبد الرحمن، إبراهيم،1981،التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي،**مجلة فصول**،مج3،ع3،ص ص127-135.

عبد الرحمن،إبراهيم،1984،من أصول الشعر القديم،**مجلة فصول**،مج4،ع2،ص ص11-20.

عبد الرحمن،نصرت،1998،**الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**،(في ضوء النقد الحديث)،مكتبة الأقصى، عمان.

عبد الرضا،علي،1978،**الأسطورة في شعر السياب**،منشورات وزارة الثقافة والإعلام،بغداد.

عبد القادر،محمد،1985،**تاريخ اليمن القديم**،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت.

عبد الله ،محمد حسن،2000،**أساطير عابرة الحضارات"الأسطورة والتشكيل"**،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.

عبيد بن الأبرص،(...- 600م)،1957،**الديوان**،نشره:حسين نصار،شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

عجينة، محمد،1994،**موسوعة أساطير العرب**،(عن الجاهلية ودلالاتها)،دار الفارابي،بيروت.

عروة بن حزام،(د:ت). **الديوان**،تحقيق:إبراهيم السامرائي،وأحمد مطلوب،دارا لحرية للطباعة، بغداد.

عزّ الدين،حسن البنا،1988،**الكلمات والأشياء**،**(بحث في التقاليد الفنية للقصيدة الجاهلية)**، دار الفكر العربي،القاهرة.

عطوان، حسين،1970،**مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي**،دار المعارف،القاهرة.

علقمة الفحل،**الديوان**،1969 ،تحقيق:لطفي الصقال ودرية الخطيب،مطبعة الأصيل،حلب،.

علي،جواد،1970،**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**،دار الملايين،بيروت،ج1.

عمرو بن معد يكرب الزبيدي،(643م)،1974،**الديوان**،حققه:مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية،دمشق.

عنترة بن شداد،(ت8 ق.هـ)، 1970،**الديوان**،تحقيق:محمد سعيد مولوي،المكتب الإسلامي.

العهد القديم:**سفر التكوين**:الإصحاح2و3.

عوض،ريتا،1992،**بنية القصيدة الجاهلية**،(الصورة الشعرية لدى امرىء القيس)،دار الآداب، ،بيروت.

عياد، شكري،**البطل في الأدب**،1971،دار المعرفة بغداد،ط2.

عيسوى، عبد الرحمن،1984،**سيكولوجيّة الخرافة والتفكير العلمي**،دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

غزول، فريال جبوي،1981،المنهج الأسطوري مقارنا،**مجلة فصول**،م1،ع3،إبريل،ص ص109-113.

غوستاف فون،غرنباوم،1959،**دراسات في الأدب العربي**،ترجمة:إحسان عباس وآخرين ،مكتبة الحياة،بيروت.

فرانكفورت،هنري،وآخرون،1960،**ما قبل الفلسفة**،ترجمة:جبرا إبراهيم جبرا،مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر،دار مكتبة الحياة،بغداد.

فروم أيريل،1991،**اللغة المنسية**،دراسة لفهم الأحلام والحكايات العجيبة والأساطير،ترجمة: محمود منقذ الهاشمي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق.

فريدمان، نورمان،1986،الصورة الفنية،ترجمة:جابرعصفور،**مجلة الأديب المعاصر**،بغداد،ع،ص ص16.

فريزر،جيمس ،**أدونيس**،ترجمة:جبرا إبراهيم جبرا،دار الصراع الفكري،بيروت،1957

فريزر،جيمس،الصحراء الكبرى،مكتبة الفرجاني،طرابلس،ليبيا،1967

فهمي،عبد الله،1988،**المعتقدات الدينية في العراق القديم**،مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،(ت817هـ)،1979،**القاموس المحيط**، دار الجيل،بيروت.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب،(مجهول الوفاة)،1926،**جمهرة أشعار العرب**،المطبعة الرحمانية،القاهرة.

القزويني،زكريا بن محمد(ت682هـ)،1960،**آثار البلاد وأخبار العباد**،،دار صادر،بيروت.

القلماوي،سهير،1966،**ألف ليلة وليلة**،دار المعارف،القاهرة.

قيس بن الخطيم،(612م)، 1967،**الديوان**،تحقيق:ناصر الدين الأسد،دار صادر،بيروت.

القيسي، نوري،1979،**تاريخ الأدب العربي-قبل الإسلام**-،دار الحرية للطباعة، بغداد.

القيسي، نوري،1988،**البطل في التراث العربي**،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،
القيسي،نوري،1968،الأساطير وانتفاع الشاعر الجاهلي،**مجلة الأقلام**،ج4،س5.ص ص100.
القيني،1988،أبو الطمحان حياته وما تبقى من شعره،جمع تحقيق:محمد نايف الدليمي،**مجلة المورد**، ع3،ص ص
الكلبي،هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت204هـ)،(د:ت)،**كتاب الأصنام**، تحقيق:محمد عبد القادر أحمد وزميله،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.
كونتينو،جورج،1979،**الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور**،ترجمة:سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي،بغداد،دار الحرية للطباعة.
لبيد بن ربيعة العامري،(665م)، 1962،**الديوان**،تحقيق:إحسان عباس،وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد،(د:ت).**الكامل في اللغة والأدب**،تحقيق:محمد أبوالفضل إبراهيم والسيد شحاته،دار نهضة مصر للطبع والنشر،القاهرة.
مبروك،نافع،1952،**عصر ما قبل التاريخ**،(د:م)،القاهرة.
متري ،بولس، **الخوارق في روايات ميخائيل نعيمه وأقاصيصه**،1985،مطبعة بيسان، (د:م).
المتلمس الضبعي،جرير بن عبدالمسيح،(مجهول الوفاة)،1970،**الديوان**،تحقيق:حسن كامل الصيرفي ،معهد المخطوطات العربية –جامعة الدول العربية،القاهرة.
المثقب العبدي،(ت587هـ)،1971،**الديوان**،تحقيق:حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية،القاهرة.
المحاسني، زكى،1970،**الشعر الديني**، (د.م)،القاهرة.
محمود، علي عبد الحليم،1975، **القصة العربية في العصر الجاهلي**، دار المعارف،القاهرة.
المخبل السعدى–(د:ت)،حياته وما تبقى من شعره– **الديوان**،: تحقيق،حاتم الضامن،(د.ن:د.م).
المرزوقي:هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت204هـ)،1951،**شرح ديوان الحماسة**، تحقيق:أحمد أمين وعبد السلام هارون،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، ج1.

المسعودي، ،أبي الحسن علي بن الحسين علي المسعودي، (ت346هـ)، 1965،**مروج الذهب ومعادن الجوهر** دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

المطلبي، عبد الجبار،1980،**مواقف من الأدب والنقد**،(د:ن)،بغداد.

المعلوف، شفيق،**عبقر**،1949،منشورات العصبة الأندلسية،دار الطباعة والنشر العربية،سان باولو –البرازيل،ط2.

المفضل الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي،(ت189هـ)1994،**المفضليات**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،لجنة التأليف والترجمة،القاهرة. منشورات دار النصر،دمشق، بيروت.

المهلهل بن ربيعة التغلبي–**حياته وشعره**–1986.،دراسة وتحقيق:نافع منجل،رسالة ماجستير، كلية الآداب،الجامعة المستنصرية.

الميداني،أبي الفضل أحمد بن محمد النسيابوري(ت518هـ)، ،(د.ت)،ج1، **مجمع الأمثال** نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القومية للطباعة،القاهرة.تحقيق: أحمد محمد شاكر

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية(ت604م)،1968،**الديوان**،تحقيق:شكري فيصل،دار الفكر،

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (604) 1977،**الديوان**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة.

ناصف، مصطفى، **التشكيل الخرافي في شعرنا القديم**،من كتاب،دراسات في النقد الأدبي،1980، دار الأندلس، بيروت، ط2.

ناصف، مصطفى،1977، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**،دار الأندلس،بيروت.

ناصف، مصطفى،1983،**دراسة الأدب العربي**،دار الأندلس،بيروت،ط3.

النعيمي، إسماعيل، **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**،1995،سينا للنشر، القاهرة.

النوري، قيس،1981،**الأساطير وعلم الأجناس**،دار الكتب،الموصل.

نيلسن، ديتلف، وآخرون،1959،**التاريخ العربي القديم**،ترجمة:فؤاد حسنين،مكتبة النهضة

هر برت،ريد، 1975،**الفن والمجتمع**،ترجمة:فارس متري ظاهر،دار القلم،بيروت.

هلال، محمد غنيمي،1973،**النقد الأدبي الحديث**،دار النهضة العربية،القاهرة.

وجدي، محمد فريد،(د.ت)،**دائرة ، معارف القرن العشرين** ، نسخة مصورة،دار الفكر،بيروت.

وستلف،لوبون،1948،**حضارات الهند**،ترجمة؛عادل زعيتر،مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة.
ول،ديورانت،1975،**قصة الحضارة**،ترجمة؛محمد بدران،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
وهب ابن منبه،1347هـ، **كتاب التيجان في ملوك حمير**،مطبعة وزارة المعارف العثمانية، الهند.
ويللارد، جيمس،1967، **الصحراء الكبرى**،مكتبة الفرجاني،طرابلس،ليبيا.
اليسوعي،لويس شيخو،1967،**شعراء النصرانية-قبل الإسلام**-،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،ط2.
اليشكري،سويد بن أبي كاهل، ،**الديوان**،1972،تحقيق:شاكر العاشور،دار الطباعة الحديثة، البصرة.
اليعقوبي،ابن واضح اليعقوبي،**تاريخ ابن واضح اليعقوبي** (278هـ)، 1330هـ ،مطبعة بريل،ليدن،ج1.
اليوسف، يوسف،1982،**مقالات في الشعر الجاهلي**،ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر.
يونس،عبد الحميد، (د:ت). **الحكاية الشعبية**،مطابع دار الشؤون الثقافية،مشروع النشر المشترك، بغداد.
يونس،عبد الحميد،1972،الفلكلور والميثولوجيا،**مجلة عالم الفكر**،م3،ع1،أبريل-مايو-يونيو،ص ص 18-19.
يونغ، كارل جوستاف،1984، **الإنسان ورموزه**،ترجمة:سميرعلي،دار الحرية للطباعة، بغداد.

Jack Randolph1957. **The horn and the sword** Conrad, New York,
Montgomery, J.A. .(N:D) **The Jewish Encyclopedia**, V,1 Pennsylvania Press, London.
Smith.1859. **Dictionary of Greek and Roman**.Biography and Mythlogy.Boston.
Tzvestan Todorov. .(N:D). **Introduction la Littérature Fantastique,** édition du seuil, paris.

الاسم :- سمير محمد بن سعيد

الكلية :- كلية الآداب

التخصص :- لغة عربية - آداب

السنة :- 2003- 2004

البريد الالكتروني :- WWW.ABUABDOUSH@YAHOO.COM

الهاتف الأرضي :- 053248533

الهاتف النقال :- 0777778533

الفاكس :- 053246688

العنوان البريدي :- 11170 - 537